العرب (الثقافي)

اللعنة الأبدية تحل على المرأة

أمير العمري: ميلودراما مصرية لا تقنع أحداً

نوري الجراح: الإقامة في جغرافية المتاهة
ضرغام الدباغ: صرنا في العراق إخوة أعداء
تحسين الخطيب: الترجمة لا علاقة لها بالخيانة
عواد علي: أنتيغون شامية في عمان
عبد الله شقرون: دون جوان الإسلامي
سعيد خطيبي: الجزائر التائهة
ص 11 إلى 16 »

وجوه

سامي بن عامر ص 10 »
فنان تونسي حفرياته تهب الجمال جلالا
يوريكو كويكي ص 9 »
حاكمة طوكيو الأولى في التاريخ
شهرام أميري ص 8 »
العالم النووي الإيراني وقصة شنق معلن
أحمد أويحي ص 7 »
ما زال هناك أمل

العرب

alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/08/14 – الموافق لـ 11 ذي القعدة 1437

السنة 39 العدد 10365

Sunday 14/08/2016

39th Year, Issue 10365

جلسة البرلمان.. معركة رمزية حول الشرعية في اليمن

• ضغوط خارجية لمنع القوات الداعمة للحكومة من اقتحام صنعاء

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – سيطرت جلسة البرلمان اليمني، التي انعقدت بمن حضر، على تصريحات طرفي النزاع ما يعكس أهميتها ورمزيتها في حساب الشرعية لديهم.

يأتي هذا في وقت يراوح الحل العسكري فيه مكانه في ظل تصريحات لأطراف حكومية تتحدث عن ضغوط خارجية شديدة لمنع اقتحام صنعاء.

وعقد حزب الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح وشركاؤه الحوثيون السبت جلسة مجلس النواب التي دعوا إليها في صنعاء، غير أن مصادر سياسية مطلعة أكدت لـ"العرب" عجزهم عن حشد العدد الكافي من أعضاء المجلس ولجوئهم لإدخال شخصيات سياسية وإعلامية إلى قاعة البرلمان بهدف إرسال صورة لوسائل الإعلام تخفي غياب النصاب القانوني.

وأضافت المصادر أن الرئيس السابق أمضى الأسبوع الماضي في إجراء اتصالات مكثّفة بأعضاء مجلس النواب المنتمين لحزبه والذين يشكّلون أغلبية البرلمان بهدف حثهم على حضور الجلسة، غير أن مساعيه باءت بالفشل بسبب وجود الكثير من أعضاء المجلس خارج اليمن، وتواجد العديد منهم في الرياض بعد أن التحقوا بصفوف المؤيدين للحكومة.

وبلغت أعداد الذين حضروا الجلسة وفقا للمصادر ما يناهز التسعين فيما يشترط القانون تواجد نصف أعضاء المجلس البالغ عددهم 301 حتى تكون الجلسة دستورية.

وقالت المصادر إن بعض النواب أجبروا على حضور الجلسة بعد تلقيهم تهديدات من الحوثيين.

واكتفى رئيس المجلس وفي وقت قصير للغاية بحث النواب الحاضرين على مباركة تشكيل ما يسمّى المجلس السياسي الأعلى وهو الأمر الذي تمّ من دون تصويت، كما لم يتم إحصاء عدد النواب الحاضرين في القاعة وفقا لما هو متعارف عليه.

ولفتت مصادر "العرب" إلى أن الإخفاق في جمع النصاب الكافي عرقل خطوات إضافية كان يزمع صالح وشركاؤه الإقدام عليها، من قبيل التصويت بالموافقة على استقالة الرئيس عبدربه منصور هادي التي أجبر على تقديمها قبل أن يسحبها فور تمكنه من مغادرة منزله المحاصر في صنعاء إلى مدينة عدن في مارس 2015.

ووفقا للمصادر أجّل رئيس المجلس يحيى الراعي المقرّب من الرئيس السابق الإعلان عن شغور المقعد الرئاسي، وهو الأمر الذي لا يستبعد أن يتم في جلسة لاحقة.

ويرجح مراقبون أن يلجأ الرئيس عبدربه منصور هادي إلى خطوات مقابلة للتصعيد السياسي الذي أقدم عليه سلفه ومن بين الخيارات المطروحة الإعلان عن حل مجلس النواب والشروع في تشكيل مجلس وطني.

واعتبر المحلل السياسي اليمني عبدالله إسماعيل أن الفشل في عقد جلسة مثالية من الناحية القانونية والدستورية هو بمثابة سقوط لتوقعات صالح وشركائه في جلسة سعوا أن تكون قادرة على قلب الأوراق أو إقرار قرارات حاسمة.

وكان هادي قد بعث برسالة لرئيس وأعضاء رئاسة هيئة مجلس النواب تضمنت عددا من الملاحظات على عدم دستورية عقد مثل هذه الجلسة.

وحذر الرئيس عبدربه منصور هادي من إضفاء الشرعية على المجلس السياسي الأعلى الذي شكله الحوثيون باعتباره يتعارض مع الدستور والمبادرة الخليجية ومخرجات مؤتمر الحوار، ملوحا بمعاقبة كل من يدعم من وصفهم "الانقلابيين بالمجلس السياسي".

وكشف اللواء محسن خصروف رئيس دائرة التوجيه المعنوي في الجيش الوطني اليمني عن ضغوطات يتعرض لها الجيش لمحاولة ثنيه عن التقدم من نهم إلى العاصمة صنعاء.

وقال خصروف في تصريحات صحافية السبت إن قوات الجيش والمقاومة والتحالف تتعرض لضغوط دولية كبيرة وتحاول منعها من التقدم من فرضة نهم نحو صنعاء.

وفي اتصال هاتفي مع "العرب" عن حقيقة هذه الضغوط، أكد اللواء خصروف أن هناك ضغوطات مورست على الشرعية أثناء الحوارات السابقة، كما تمارس في الوقت الراهن للعودة إلى المفاوضات، مشيرا إلى أن المجتمع الدولي يضغط فقط على الحكومة وأن هناك ضغوطا شديدة تمارس على الجيش الوطني مختتما تصريحه لـ"العرب" بأن الجيش الوطني ماض نحو الحسم.

وتواصل العديد من المنظمات الدولية العاملة تحت منظمة الأمم المتحدة إصدار البيانات التي تحذر من الوضع الكارثي الذي قد يؤول إليه الوضع في اليمن على الصعيد الإنساني في حال استمرت الحرب.

وأشار ناشطون حقوقيون لـ"العرب" إلى أن مثل هذه المواقف تتصاعد مع كل تقدم يحرزه الجيش الوطني باتجاه العاصمة صنعاء.

وفي أحدث التطورات في هذا السياق، أكدت الحكومة اليمنية أنها تعمل من أجل التوصل إلى حل سياسي ينهي انقلاب ميليشيات الحوثي و صالح على الحكومة الشرعية ومؤسسات الدولة بقوة السلاح.

وأشارت الحكومة في بيان صحافي إلى أنها قبلت بمقترح المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة بهدف إحلال السلام والأمن وعودة الاستقرار لليمن وهو ما رفضته الميليشيات.

وجاء الموقف الحكومي ردا على بيان منسق الشؤون الإنسانية في اليمن والذي قال البيان الحكومي تعقيبا عليه "كان من الإنصاف على البيان وهو يبدي حرصه على الشعب اليمني أن يؤكد حقيقة أن هذا العنف جاء نتيجة لانقلاب دام واعتداءات مستمرة من المتمردين وانتهاكات جسيمة وممنهجة من ميليشيا الحوثي وصالح".

عودة البرلمان تعمق الأزمة

أردوغان يقبل بوقف تسلل المسلحين إلى سوريا

❑ **موسكو** – بدأت أوساط روسية في تسريب محتوى اللقاء الذي جمع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بنظيره التركي رجب طيب أردوغان بخصوص الملف السوري، لافتة إلى أن موسكو اشترطت على أنقرة وقف تسلل المسلحين إلى سوريا قبل البدء في تنفيذ المشاريع الاقتصادية التي تمّ الاتفاق عليها.

ولم تستبعد الأوساط أن يكون الردّ التركي بالقبول سريعا في ظل الوضع الصعب الذي تعيشه أنقرة سياسيا وأمنيا واقتصاديا، وفي ظل حالة البرود مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

وكشف رئيس لجنة الدفاع في مجلس النواب الروسي (الدوما) فيكتور فودولاتسكي في تصريح لصحيفة "إيزفيستيا" إلى أن موسكو عرضت "مسألة غلق الحدود التركية السورية لمنع تدفق الأسلحة والإمدادات والمسلحين إلى سوريا"، وأنها مستعدة لـ"تزويد الجانب التركي بالصور التي تلتقطها الأقمار الاصطناعية عن الممرّات، التي يستخدمها الإرهابيون في نقل الأسلحة والمؤن".

واعتبر محللون أن الطلب الروسي أمر متوقع، خاصة أن تركيا هي من بحثت عن التهدئة مع موسكو والاعتذار لها على إسقاط الطائرة الروسية، وأن الرئيس التركي الذي بحث عن استرضاء بوتين كان في وضع صعب بعد محاولة الانقلاب الفاشلة ضده.

ويرى المحللون أن التصريحات التركية التي تشير إلى توافق روسي تركي بشأن الملف السوري لا تعكس بدقة ما جرى في لقاء التاسع من أغسطس بين بوتين وأردوغان، لافتة إلى أن الموقف التركي صار متماهيا مع الموقف الروسي تجاه سوريا وليس العكس.

وليس مستبعدا أن يستمر المسؤولون الأتراك بالدعوة إلى تخلّي الرئيس السوري بشار الأسد عن السلطة، أو توقع تطورات مهمة قريبا في الملف السوري، مع أنها لا تعبّر عن تعهدات أردوغان في موسكو.

وقال رئيس الوزراء التركي، بن علي يلدريم، السبت إن أنقرة تتوقع حدوث تطورات "في غاية الأهمية" خلال الأشهر الستة المقبلة. ووصف المحللون "هذا التفاؤل" بأنه خطاب للاستهلاك الداخلي يساعد على التغطية على تغيّر الموقف التركي.

وقال المستشرق فياتشيسلاف ماتوزوف إنه "من الصعب أن أتصوّر تنفيذ المشروعات الاقتصادية التي تمّ الاتفاق بشأنها بين البلدين، في وقت تتسلل فيه الألوف من المسلحين من الجانب التركي إلى سوريا".

داعش لم يهدم المدن فقط بل هدم الأمل العراقي

أسعد البصري ص 5 »

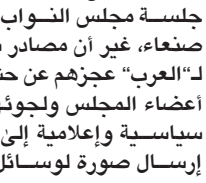

إرث نسيب لحود.. في لبنان يرفض أن يموت

خيرالله خيرالله

ص 5 »

إخوان الأردن يستثمرون شبهة «الإساءة للذات الإلهية» لإرهاب خصومهم

• ناهض حتر: الجماعة استغلت الرسم الكاريكاتيري لتصفية حسابات سياسية

❑ **عمان** – لا تعدم جماعة الإخوان المسلمين في الأردن الفرصة للتشفي من خصومها، وإرهابهم عبر بيانات توحي وكأنها مفوضة بالحديث باسم الله. فقد دخلت على خط أزمة الكاتب ناهض حتر، الذي نشر على موقعه بفيسبوك رسما اعتبره البعض مسيئا للذات الإلهية، وحاولت استثمار الموقف للهجوم على الكاتب الذي عرف بنقده اللاذع للجماعة ومواقفها.

ولم يشفع توضيح حتر وتفسيره لمغزى الرسالة التي أراد توجيهها من خلال رسمه، في وقف الهجوم الإخواني، وهو هجوم معهود على المبدعين وكل من يحاول تقديم رسالته بشكل لا يتواءم مع أفكارهم.

وقال الكاتب الأردني إن كاريكاتيره المعنون "ربّ الدواعش" يسخر أساسا من الإرهابيين وتصوّرهم للربّ والجنة، ولا يمسّ الذات الإلهية من قريب أو بعيد، بل هو تنزيه لمفهوم الألوهية عمّا يروّجه الإرهابيون.

وأوضح أن الذين غضبوا من الرسم نوعان، "أناس طيبون لم يفهموا المقصود بأنه سخرية من الإرهابيين وتنزيه للذات الإلهية عمّا يتخيل العقل الإرهابي، وهؤلاء موضع احترامي وتقديري"، والنوع الثاني "إخونج داعشيون يحملون المخيال المريض نفسه لعلاقة الإنسان بالذات الإلهية، وهؤلاء استغلوا الرسم لتصفية حسابات سياسية لا علاقة لها بما يزعمون".

وأشار معاذ الخوالدة الناطق باسم جماعة الإخوان بالأردن في بيان له إلى أن نشر الرسوم "يعتبر استفزازا لكل أردني، وإثارة للنعرات، وفتح باب للفتنة"، داعيا السلطات الرسمية إلى "اتخاذ أقصى عقوبات بحق كل من يتطاول على المعتقدات والدين".

وأعلن مصدر أردني رسمي السبت أن رئيس الوزراء الأردني هاني الملقي طلب التحقيق مع الكاتب الأردني اليساري ناهض حتر.

وقالت وكالة الأنباء الأردنية (بترا) إن رئيس الوزراء "أوعز إلى وزير الداخلية سلامة حماد بالتحقق في ما نسب إلى أحد الكتاب حول نشره مادة عبر وسائل التواصل الاجتماعي تمس الذات الإلهية".

وأضافت أن "رئيس الوزراء طلب من وزير الداخلية استدعاء الكاتب المذكور من خلال الحاكم الإداري واتخاذ المقتضى القانوني بحقه".

وأوضحت الوكالة أن "الملقي شدد على أن القوانين ستطبق بحزم على كل من يقوم بمثل هذه الممارسات الطارئة على مجتمعنا"، مشيرا إلى أن "حرية التعبير مصانة للجميع لكن ضمن المحددات الدستورية والقانونية".

واعتبر محللون أن جماعة إخوان الأردن التي تعيش وضعا صعبا بسبب الانقسامات والحظر القانوني لنشاطها تعمل على استثمار هذه المناسبة للعودة إلى الواجهة وكسب ودّ عامة الشعب، والمملكة على أبواب انتخابات تشريعية مقررة في 20 سبتمبر القادم.

وأكد عبدالجليل الشرنوبي، القيادي الإخواني السابق، أن الإخوان يبحثون عن أداة تخدم مشروعهم، ولا يفرقون بين رسم كاريكاتيري أو مسرحية أو حتى صورة، فما يهمهم هو توظيف الدين لخدمة أغراضهم.

وأضاف لـ"العرب" أن إرهاب المبدعين جزء من أهداف التنظيم الإخواني، مستبعدًا أن تجني هذه التحركات أيّ ثمار لها في إخافة المبدعين.

وتستغل التنظيمات الإسلامية هذه المناسبات للظهور الإعلامي. وقد استغلوا حدثا مماثلا خلال حكم الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، بعد رسم كاريكاتير مسيء في إحدى الصحف الأوروبية.

وسبق أن أثاروا زوبعة سياسية بسبب نشر رواية "وليمة لأعشاب البحر" للكاتب السوري حيدر حيدر.

ويرى جابر عصفور وزير الثقافة المصري الأسبق، أن حالة الاستنارة التي تشهدها المجتمعات العربية سوف تحول دون نجاح الإخوان في استغلال الإساءة للإسلام لتحقيق مآرب بعينها، أو حتى تحقيق هدفهم في إرهاب المبدعين.

وأضاف في تصريح لـ"العرب" أن الشعوب أدركت "ضيق أفق هذه الجماعات"، ومدى استغلالها لأيّ عمل إبداعي للترويج لنفسها سياسيًا بذريعة أنها "حامية للإسلام".

وشدد عصفور على أن هذه التحركات لا تخرج عن كونها "دفاع عن فكر حزب أو جماعة"، ولا علاقة لها بتحصين الدين الإسلامي من النقد أو الهجوم عليه، مستبعدًا تأثر الناس بمثل هذه التصرفات المشبوهة.

ويربط المراقبون بين الهجوم الإخواني على ناهض حتر، وبين مواقفه السياسية والفكرية المعلنة، ككاتب يساري معاد للتيارات الإسلامية بأنواعها وتوجهاتها.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

قطاع النفط في ليبيا رهين النزاعات السياسية والعسكرية

إعادة فتح موانئ التصدير الرئيسية خطوة قابلة للانهيار

تعيش ليبيا وضعا صعبا بفعل الصراعات السياسية والعسكرية التي تعصف بها، والتي أثرت بشكل كبير على القطاع النفطي الذي يشكل العمود الفقري لاقتصادها، ويقول محللون إنه ورغم وجود مساع لإعادة الحياة لهذا القطاع فإن الأمر يبقى غير مضمون في ظل انعدام حالة الأمن والتوافق السياسي بين الفرقاء الليبيين.

❏ **طرابلس** – تتطلع ليبيا إلى ولادة جديدة لقطاعها النفطي بعد الاتفاق على إعادة فتح موانئ التصدير الرئيسية، إلا أن النزاعات المسلحة والخلافات السياسية والصعوبات اللوجيستية تهدد بعرقلة هذا الهدف الحيوي لبلاد تشهد انهيارا اقتصاديا ونقصا في السيولة.

ويعيش قطاع النفط في ليبيا تراجعا مستمرا، منذ انتفاضة العام 2011 والإطاحة بنظام العقيد معمر القذافي، حيث انخفضت معدلات الإنتاج اليومي من نحو مليون و600 ألف برميل يوميا إلى حوالي 200 ألف برميل، لتصبح ليبيا، أغنى دول أفريقيا بالنفط بنحو 48 مليار برميل، أقل دول منظمة "أوبك" إنتاجا في العام 2015، بحسب موقع المنظمة.

وتعصف بهذا البلد الشمال أفريقي الذي يسكنه نحو ستة ملايين نسمة أزمات سياسية ونزاعات عسكرية عنوانها الصراع على السلطة، إلى جانب التهديدات الجهادية التي تسببت بوقف الإنتاج في العديد من الحقول وبإغلاق موانئ التصدير على فترات متقطعة وبانقسام المؤسسة التي تدير القطاع الذي يمثل العمود الفقري للاقتصاد الليبي.

وتقوم ليبيا حاليا بتصدير كميات بسيطة من النفط من عدد محدود من موانئها، بينها البريقة وطبرق في الشرق.

وظهرت في نهاية يوليو الماضي، بارقة أمل مع توصل قوات حرس المنشآت النفطية التي تضع يدها على أهم موانئ التصدير وعلى رأسها راس لانوف والسدرة في منطقة الهلال النفطي في شمال شرق البلاد، إلى اتفاق مع حكومة الوفاق الوطني المدعومة من المجتمع الدولي ومقرها طرابلس.

> الاتفاق على إعادة التصدير يواجه بالرفض من قبل السلطات في شرق البلاد التي لا تعترف بحكومة الوفاق وتلقى مساندة الجيش بقيادة الفريق أول خليفة حفتر

ونص الاتفاق بين الجانبين على إعادة فتح موانئ التصدير في هذه المنطقة بعدما أغلقت على عدة مراحل منذ العام 2011 وكان آخرها في بداية العام الحالي إثر تعرضها لهجمات من قبل تنظيم الدولة الإسلامية.

وفي مقابل تعهّد قوات حرس المنشآت بإبقاء الموانئ مفتوحة، فإنّ حكومة الوفاق تعهدت بأن تقوم بدفع رواتب لعناصر هذه القوات.

ولقي الاتفاق ترحيبا حذرا من قبل المؤسسة الوطنية للنفط في طرابلس التي تدير هذا القطاع منذ عقود، حيث اعتبرت أن إعادة فتح الموانئ يجب أن يتم بشكل "غير مشروط".

لكن رغم ذلك، أعلنت المؤسسة عن بدء الاستعداد لاستئناف تصدير النفط عبر إنجاز أعمال فنية وإرجاع اليد العاملة تدريجيا إلى موانئ التصدير الرئيسية وخصوصا راس لانوف والسدرة اللذين تبلغ طاقتهما التصديرية نحو 600 ألف برميل.

ويقول سكوت موديل المحلل في مؤسسة "رابيد غروب" الاستشارية الأميركية المتخصّصة في مجال الطاقة إن "فتح الموانئ يتيح للمؤسسة الوطنية للنفط بدء الإصلاحات، لكن هذا الأمر يحتاج إلى وقت".

ويضيف "المسؤولون الليبيون يتحدثون عن طموحات إيجابية منذ سنوات، لكن علينا ألا نصدق ما يقال حتى نراه يتحقق على الأرض".

وإلى جانب الصعوبات اللوجيستية والتقنية، فإن الاتفاق على إعادة التصدير يواجه بالرفض من قبل السلطات في شرق البلاد التي لا تعترف بسلطة حكومة الوفاق وتلقى مساندة الجيش بقيادة الفريق أول خليفة حفتر.

وهدد الجيش الموالي لبرلمان منتخب باستهداف ناقلات النفط في حال اقترابها من سواحل ليبيا بهدف نقل شحنات لصالح حكومة الوفاق الوطني من دون اتفاق مسبق مع سلطات الشرق التي تملك بدورها مؤسسة مستقلة للنفط في بنغازي (ألف كلم شرق طرابلس).

وتم التوافق في بداية يونيو الماضي على إعادة توحيد المؤسستين الوطنيتين للنفط، بحيث تعاود الشركة المنافسة في الشرق الاندماج بالفرع الرئيسي في طرابلس، إلا أن هذا الأمر لم يتحقق بعد.

وفي موازاة التهديد بضرب السفن، حرك الجيش الأسبوع الماضي العشرات من العربات والآليات العسكرية من بلدة أجدابيا على بعد نحو 900 كلم شرق طرابلس باتجاه ميناء الزويتينة الواقع على بعد حوالي 100 كلم (140 كلم غرب بنغازي) والخاضع لسيطرة حرس المنشآت.

واعتبر جهاز حرس المنشآت أن الجيش يسعى لوضع يده على الميناء والتقدم نحو الموانئ الأخرى القريبة منه، مؤكدا استعداد قواته للدفاع عن هذه الموانئ.

وقال المتحدث باسم قوات حرس المنشآت علي الحاسي "نحن مستعدون لمواجهة قوات (الجيش) ولن نسمح لهم بالسيطرة على الموانئ"، مضيفا "نتوقع أن تتخذ (حكومة الوفاق الوطني) موقفا حازما ضد تهديدات" الجيش.

من جهته استبق رئيس المؤسسة الوطنية للنفط في طرابلس مصطفى صنع الله في بيان الأحد الماضي النزاع المسلح بدعوة الطرفين إلى "الامتناع عن القيام بأعمال من شأنها الإضرار بالبنية التحتية للميناء"، مطالبا "بمنح المؤسسة ممرا آمنا قبل البدء في أيّ عمليات وذلك لنقل مخزون النفط في الميناء إلى موقع آمن".

ويبقى قطاع النفط رهين النزاعات السياسية والمسلحة، ليواصل الاقتصاد الانهيار بوتيرة غير مسبوقة مع توقف الخدمات والغلاء في المعيشة والتراجع الكبير للدينار الليبي أمام العملات الأجنبية والنقص الحاد في السيولة في المصارف التي تشهد أبوابها صباح كل يوم تجمعات لصفوف من مئات المواطنين العاجزين عن سحب رواتبهم.

ويقول مهندس نفطي يعمل في هذا القطاع منذ 30 عاما إن "ليبيا لن تستطيع إعادة تصدير نفطها قبل استتباب الأمن والاستقرار في كل أرجائها". وتابع المهندس الليبي الذي فضل عدم الكشف عن اسمه "لا يمكن أن يتحقق هذا الأمر (إعادة التصدير بشكل فعال) إلا في ظل حكومة قوية موحدة يساندها جيش تمتد سلطته لتشمل كل الأراضي الليبية". ويرى موديل أن "الأسس ليست متوفرة، والإعلان عن إعادة فتح الموانئ التي لا تعمل بشكل كامل أصلا لن يقلب المسار السياسي رأسا على عقب".

النفط.. محرك الصراعات في ليبيا

نساء تونس يقدن معركة الحرية ضد الجماعات المتشددة

منور مليتي

❏ **تونس** – تقود المرأة التونسية التي احتفلت بعيدها السنوي، السبت، معركة الحرية ضد الجماعات المتشددة ومشروعها السياسي والاجتماعي حيث نجحت منذ انتفاضة يناير 2011 في توحيد صفوف القوى التقدمية واستماتت في الدفاع لا عن حقوقها وحريتها فحسب بل أيضا عن مقومات دولة المواطنة ونمط المجتمع التونسي حتى أنها بدت خلال السنوات الأربع الماضية عنوان الحداثة.

وفي ظل ضعف التيارات العلمانية ومحدودية تأثيرها في المجتمع أصبحت المرأة التونسية رمزا للدفاع عن مكاسبها السياسية والاجتماعية التي حققتها دولة الاستقلال في البلاد منذ العام 1956 وهي اليوم تمثل جدارا منيعا ضد مشروع المتشددين الذي يسعى إلى العودة بتونس إلى القرن السابع.

وتقول الجمعيات النسوية "إنها ستستميت في الدفاع عن حقوق المرأة وعن قانون الأحوال الشخصية الذي يمثل نتاج نضالات أجيال من الوطنيين والمصلحين والفقهاء المستنيرين".

ويوم 13 أغسطس هو تاريخ إصدار قانون الأحوال الشخصية عام 1956 غداة استقلال تونس عن الاستعمار الفرنسي.

وتحوّل قانون الأحوال الشخصية منذ إصداره على يد الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة إلى "رمز للحرية والحداثة" التي تقودها الدولة في حالة فريدة من نوعها في العالم العربي، حتى أن مفهوم الحداثة يرتبط في أذهان التونسيين بحرية المرأة وبحقها في المشاركة في الحياة العامة.

ويمنع قانون الأحوال الشخصية تعدّد الزوجات ويقرّ الزواج المدني والطلاق عبر القضاء كما ينصّ على أن المرأة تتمتع بحقوق المواطنة التي يكفلها الدستور.

ومكّن القانون التونسيات من حق المشاركة في تنمية المجتمع إذ تمثل اليوم 30 بالمئة من القوى النشيطة.

وساهم تموقع النساء في مختلف المجالات وفي مراكز القرار الإداري والسياسي في بناء قوة اجتماعية نسوية تعتبر اليوم عقبة أمام دعاة "مجتمع الحريم"، فالمرأة التونسية تمثل 30 بالمئة في سلك القضاء و51 في المئة في سلك التعليم و48 في المئة في سلك المحاماة و60 بالمئة من الصحافيين كما نجحت في اكتساح مراكز القرار بنسبة 23 بالمئة.

وتقول ناشطات تونسيات أنه رغم تجذّر قانون الأحوال الشخصية في المجتمع سواء من حيث الثقافة أو من حيث الممارسة بعد أن اكتسحت المرأة مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية فإن هذه المكاسب باتت مهددة أمام تنامي سطوة الجماعات.

ومن جهته دق أستاذ القانون الدستوري الصادق بلعيد ناقوس الخطر إزاء "إمكانية تراجع مكاسب المرأة" مشددا على "أن خطر الارتداد عن المكاسب اليوم لا يتعلق بحقوق المرأة فقط، بل يتعلق بمكاسب الأنموذج المجتمعي في تونس الحديثة".

وتؤكد النخب التونسية أن حركة النهضة الإسلامية تستهدف قانون الأحوال الشخصية "ليس في ذاته فقط بل لأنه رمز لنموذج مجتمعي منفتح على القيم الكونية يكرّس حقوق الإنسان ويرفض التمييز على أساس الجنس".

وأعربت الناشطة الحقوقية منية العابد عن خشيتها من أن "يؤدي غياب ثقافة حقيقية للمساواة" إلى "مغالطة المجتمع".

وترى الأخصائية في علم الاجتماع سعاد التريكي أن المجتمع التونسي يتبنّى كليا محتوى مجلة الأحوال الشخصية "غير أن غياب استراتيجية واضحة والاستماتة في الدفاع عن مكاسب المرأة، قد يهدّد المنوال المجتمعي التونسي برمّته".

وتطالب رئيسة جمعية "تونسنا" آمنة منيف التونسيين بـ"تحمل مسؤوليتهم التاريخية في ضمان الحريات العامة والخاصة والتصدي لمشروع حركة النهضة التي ترى فيه تراجعا عن البرامج والوعود الانتخابية التي قدمتها الحركة"، مشددة على أن "المساواة بين الرجل والمرأة لا تراجع عنها".

ولم تخف راضية الدريدي، من جانبها، خشيتها من أن يشهد وضع المرأة التونسية تراجعا، مؤكدة أن الديمقراطية لا يمكن أن تتحقق دون ضمان حقوق الإنسان وكرامته ودون مساواة كاملة بين الجنسين.

> قانون الأحوال الشخصية منذ إصداره على يد الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة تحول إلى «رمز للحرية والحداثة» التي تقودها الدولة في حالة فريدة من نوعها في العالم العربي

وعبر رؤساء عدد من جمعيات المجتمع المدني عن دهشتهم مما أسموه "تجاذبات ومواقف عدد من السياسيين التي تستهدف ضرب مبدأ المساواة بين الجنسين وتعبّر عن رفض تام للحقوق الإنسانية الكاملة للنساء وضرب لكرامتهن ومواطنتهن".

أما الاتحاد العام التونسي للشغل الذي يعد أقوى مركزية نقابية فقد شدد على "ضرورة ضمان الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للنساء ومنها حق الشغل والمساواة في الأجر والمعاملة وظروف العمل بعيدا عن جميع أشكال التمييز".

كما دعا إلى إدماج مبدأ حقوق النساء ضمن أولويات برامج الحكومة والأحزاب والجمعيات من أجل مزيد نشر ودعم قيم الحداثة والتسامح والتصدي للمحاولات الرامية للالتفاف على أهداف الثورة.

وأمام الجهود التي تقودها نساء تونس ضد مشروع الجماعات الإسلامية يحاول رئيس حركة النهضة راشد الغنوشي طمأنة المجتمع بأن "النهضة لن تتراجع عن مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة وتعتبرهما متكاملين في الحقوق والواجبات"، مضيفا أن "بعض الأطراف تفتعل معركة سياسية واهية وتدخل في إطار حسابات سياسية وتتناقض مع الموضوعية".

وتؤكد معطيات موضوعية إجماع التونسيين على الدفاع عن حقوق المرأة، فقد كشف استطلاع للرأي أنجزه "مركز الدراسات المغاربية بتونس" و"مركز هولينغ للحوار الدولي" أن 70.4 بالمئة من التونسيين أكدوا عزم المرأة التونسية على الحفاظ على مكاسبها بغض النظر عن النظام السياسي القائم.

نساء تونس رائدات في النضال من أجل التحرر

النظام الإيراني يفتح النار على المعارضة

المحافظون يوظفون التصعيد الإقليمي في حملتهم ضد خصوم الداخل

"لا صوت يعلو فوق النظام"، شعار ما فتئ يردده التيار الأصولي في إيران، ومن خلاله يمنح نفسه أحقية ممارسة شتى أنواع العقوبات ضد الرافضين لسياسته المثيرة للجدل، ويزيد الوضع الإقليمي الملتهب من تمادي هذا التيار الذي لا يؤمن بالخطوط الحمراء في صراعه مع مناوئيه.

لا حياة لمن تنادي

□ **طهران** – ينزع النظام الإيراني يوما بعد يوم إلى منطق القوة في مواجهة خصومه، والأقليات العرقية والدينية داخل البلاد.

ويتجلى ذلك في اتخاذه لإجراءات عقابية قاسية ازدادت وتيرتها خلال الأشهر الأخيرة، حتى أنها باتت تلاحق حتى المنتقدين من داخل النظام نفسه.

ولوّح مستشار رئيس مجلس الشورى الإيراني، محمد رضا باهنر، بتطبيق أحكام الإعدام، التي تدينها جميع المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، ضد كل نفس مناوئ للنظام.

وقال باهنر، الذي تولى منصب نائب رئيس مجلس الشورى سابقا، إن كل معارض يجب أن يتوقع الإعدام، لافتا إلى وجود من اعتبرهم "أعداء للثورة من داخل النظام".

ويعد باهنر من أكثر الشخصيات الأصولية المثيرة للجدل في إيران، وهو عضو في مجمّع تشخيص مصلحة النظام، وعيّنه رئيس مجلس الشورى علي لاريجاني مستشارا خاصا له مؤخرا.

وكثرت في الفترة الأخيرة إطلالاته الإعلامية، وسط أنباء تقول إن هناك توجها لدى التيار المحافظ لترشيحه للانتخابات الرئاسية المقبلة.

وفي حوار مع موقع "نداي إيرانيان"، شدد النائب المتشدد على أن "من يعارض النظام ويعمل ضده لأيّ سبب كان، سواء عن عقيدة أو بحثا عن السلطة، يجب أن يتوقع الإعدام وأشياء من هذا القبيل".

وأوضح أن "النظام لا يجامل أحدا، وليس هناك بلد يسمح للمعارضة بأن تعمل ضد السلطة الشرعية في بلادها"، على حدّ زعمه.

تصريحات باهنر تعكس تمادي صوت الأصولية في إيران، التي تسوّق إلى أن كل معارض مرتبط بالأساس بأجندة خارجية تستهدف أمن البلاد. وتظهر هذه التصريحات المثيرة للجدل انعدام الثقة المتزايدة لدى النظام "المهووس" بنظرية المؤامرة.

وتتراوح العقوبات للنشطاء والشخصيات المعارضة بين الإعدام، والتعذيب في السجون وصولا إلى فرض التعهد بوقف العمل السياسي وهو ما عرض على المرشح الرئاسي السابق مير حسين موسوي في إطار مقايضة لرفع الإقامة الجبرية التي يخضع لها منذ قرابة الثماني سنوات.

وكان موسوي المحسوب على التيار الإصلاحي قد شارك في احتجاجات الحركة الخضراء التي أعقبت الانتخابات الرئاسية في 2009 والتي أفرزت وصول محمود أحمدي نجاد إلى السلطة.

وكشف مستشار رئيس مجلس الشورى أنّ موسوي، رفض قبول شرط إيقاف العمل السياسي مقابل رفع الإقامة الجبرية عنه.

واعتبر النائب الأصولي أنّ استمرار تطبيق حكم الإقامة الجبرية أفضل من اتخاذ قرارات أخرى، كاشفا أنّ خضوع كلّ من موسوي، والمرشح الآخر مهدي كروبي لمحاكمة رسمية "سينتهي بإصدار حكم ثقيل"، في تهديد مبطن بتنفيذ أقصى عقوبة وهي حكم الإعدام.

ويدلل كلام باهنر على عدم نزاهة القضاء الإيراني، وأن قراراته، وبخاصة تلك المتعلقة بالمعارضين، تخضع لحكم الساسة. وشهدت إيران خلال الفترة الأخيرة تزايدا في تنفيذ أحكام الإعدام ضد النشطاء وبخاصة المنتمين للأقليات العرقية والدينية، ما دفع المنظمات الدولية إلى إطلاق صيحة فزع، في ظل شكوك كبيرة في نزاهة التحقيقات.

وقد تم تنفيذ الإعدام مؤخرا بحق عشرين ناشطا ينتمون إلى الطائفة السنيّة، بتهم عديدة من بينها القيام بأعمال مسلحة ضد قوات الأمن والحرس، ومحاولة بث البلبلة وزعزعة الاستقرار.

ويرى حقوقيون أن النظام الإيراني يعاني في هذه الفترة حالة قلق متزايدة خاصة تجاه مواطنيه من الأكراد والسنة، في ظل ازدياد نار الطائفية بالمنطقة، وهو ما يدفعه إلى تكريس سياسته الراديكالية التي تستهدف أساسا هذين المكونين في المجتمع الإيراني.

ويقول هؤلاء إن السجون الإيرانية سيئة الصيت باتت مزدحمة بالنشطاء السياسيين والحقوقيين. وقد ذكر تقرير حقوقي، مؤخرا، بأن سجن رجائي شهر، الواقع في مدينة كاراج غربي العاصمة الإيرانية طهران، بات عنوانا للقمع وانتهاكات حقوق الإنسان في إيران.

وأفاد التقرير الذي أوردته وكالة "هرانا" الحقوقية المعارضة، بأن إدارة السجن صعّدت في الفترة الأخيرة من حملتها القمعية ضد السجناء السياسيين.

وكان مهدي محمودیان المتحدث باسم حزب جبهة المشاركة الإصلاحي قد نجح مؤخرا في تسريب رسالة من داخل السجن قال فيها إن الحراس يزوّدون السجناء الجنائيين بواقيات ذكرية ويطلبون منهم اغتصاب المعتقلين السياسيين.

وكشف محموديان في رسالته، أن الحراس يضعون المعتقلين مع أعتى المجرمين ورجال العصابات في نفس الزنزانة، ويمتنعون عن حمايتهم.

ولطالما تحدثت منظمات حقوقية دولية عن عمليات اغتصاب يتعرض لها المعارضون للنظام داخل السجون.

وجدير بالإشارة أن العشرين كرديا الذين أعدموا مؤخرا، كانوا محتجزين في هذا السجن الذي تحوّل إلى أشهر السجون سيئة السمعة في العالم.

قاتل الجندي السعودي يقر بانتمائه لتنظيم الدولة الإسلامية

□ **الرياض** – أعلنت السلطات السعودية، أن المقيم اليمني الذي دهس جنديا سعوديا ثم طعنه في محافظة بيشة جنوب غربي المملكة، قبل ثلاثة أيام، ينتمي لتنظيم الدولة الإسلامية، مشيرة إلى "اعتقال 6 يمنيين يشتبه في صلتهم بالجريمة إضافة إلى الجاني".

ونقلت وكالة الأنباء السعودية، عن المتحدث الأمني لوزارة الداخلية، اللواء منصور التركي، أن "نتائج التحقيقات الأولية مع الجاني عمر سعيد مهدي باهيصمي، الذي اعتقل الأربعاء الماضي، في نفس يوم ارتكاب الجريمة، كشفت عن إقراره بانتمائه لداعش ومبايعته للتنظيم".

وقال التركي إن "الجاني أكّد قيامه برصد المجني عليه داخل المسجد، وتعقبه بعد خروجه منه، وعندما حانت له الفرصة المناسبة، باغته بدهسه عمدا بسيارته، ثم ترجّل منها وأجهز عليه بتوجيه عدة طعنات إلى نحره حتى قتله، وأنّ دافعه على ارتكاب الجريمة لكون المجنيّ عليه من رجال الأمن".

وأشار إلى أن "الجاني أقرّ بتواصله مع عناصر تنظيم الدولة الإسلامية في الخارج قبل ارتكابه الجريمة للإعداد والترتيب لها".

وبيّن أن "أجهزة الأمن تمكنت من ضبط أداة الجريمة، وهي عبارة عن سكّين وجد عليها آثار دماء، والسيارة التي استخدمها في عملية الدهس، مع مبلغ مالي كبير وجد بحوزته".

وذكر أنه "تم إلقاء القبض على ستة أشخاص آخرين، جميعهم من الجنسية اليمنية للاشتباه في علاقتهم بالقضية".

وأفاد التركي أن "التحقيقات لا تزال مستمرّة في هذه الجريمة الإرهابية، والعمل جار على تعقب وضبط كل من له صلة بها، وسيتم الإعلان عن أيّ مستجدات تتوفر لاحقا".

والأربعاء الماضي، أعلنت الداخلية السعودية، تعرض العريف بدوريات أمن محافظة بيشة (التابعة لعسير)، مهذل فهد محمد السلولي، بعد خروجه من صلاة الفجر بمسجد الصماهدة، بحي العزيزية، في محافظة بيشة، إلى عملية دهس متعمد وطعن، نتج عنها مقتله. وأشارت الوزارة إلى أن الجهات الأمنية تمكنت من الإطاحة بالجاني والقبض عليه في اليوم ذاته، واتضح أنه مقيم يمني الجنسية، يدعى عمر سعيد مهدي باهيصمي (20 عاما).

ولم تذكر الداخلية آنذاك المزيد من التفاصيل حول هوية الجاني وأسباب الجريمة، وما إذا كانت ذات أبعاد جنائية أو أمنية أو ذات صلة بالحرب الدائرة في اليمن، قبل أن تكشف أن الجاني ينتمي لتنظيم داعش.

ويقول متابعون إن ما كشفت عنه التحقيقات من شأنه أن يثير المخاوف تجاه اليمنيين الوافدين إلى الرياض، خاصة وأن أنباء سابقة تحدثت عن وجود اختراقات في صفوف هؤلاء سواء كان من قبل الحوثيين أو داعش والقاعدة.

داعش يطلق سراح المئات من المدنيين بعدما أخذهم دروعا بشرية من منبج

□ **دمشق** – أطلق تنظيم الدولة الإسلامية سراح المئات من المدنيين بعدما أخذهم دروعا بشرية أثناء خروج آخر عناصره من مدينة منبج الاستراتيجية في شمال سوريا، بطريقة أثارت جدلا كبيرا، وسط معطيات تفيد بصفقة عقدت بين قوات سوريا الديمقراطية والتنظيم المتشدد تضمن انسحاب مقاتليه.

وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن "بعد وصول قافلة تنظيم الدولة الإسلامية مساء الجمعة من منبج إلى جرابلس وريفها، بات المئات من المدنيين بحكم الأحرار".

وأوضح أن "جزءا من المدنيين المختطفين هم من عائلات الجهاديين، أما الجزء الأكبر فهم مدنيون من سكان منبج، تم استخدام بعضهم دروعا بشرية وآخرون فضلوا الخروج مع عناصر التنظيم".

وأكد مصدر في قوات سوريا الديمقراطية "تم إطلاق سراح البعض وتمكّن آخرون من الفرار على الطريق إلى جرابلس شمالا"، من دون أن يكون بوسعه أن يؤكد إذا أطلق سراح جميع المدنيين.

وغالبا ما يلجأ تنظيم الدولة الإسلامية إلى احتجاز المدنيين لاستخدامهم كدروع بشرية تفاديا لاستهدافه، على غرار ما حصل خلال انسحاب عناصره من الفلوجة غرب العراق.

وتمكنت قوات سوريا الديمقراطية، التي تشكل وحدات حماية الشعب الكردية عمودها الفقري، في السادس من الشهر الحالي من السيطرة على مدينة منبج مع استمرار عمليات التمشيط لطرد آخر المقاتلين الجهاديين منها، إثر هجوم بدأته في 31 مايو الماضي بدعم جوي من التحالف الدولي بقيادة أميركية.

وتقع منبج على طريق إمداد رئيسي لتنظيم الدولة الإسلامية بين الرقة، معقله الأبرز في سوريا، والحدود التركية. وبحسب واشنطن، شكلت المدينة نقطة دخول وخروج مقاتلين أجانب من سوريا وإليها.

وكانت المعارك قد هدأت نسبيا في الفترة الماضية وسط معطيات بأن قوات سوريا الديمقراطية قد دخلت في مفاوضات غير مباشرة مع التنظيم للانسحاب من المنطقة لتفادي اللغط الحاصل حول تعرض مدنيين للقتل جراء المعارك الدائرة على الأرض أو نتيجة القصف الجوي لقوات التحالف.

وتحصن الجهاديون في الأيام الأخيرة في منطقة المربع الأمني في وسط منبج، قبل انسحابهم تدريجيا في الأيام الأخيرة إلى حيّ السرب على أطراف المدينة قبل أن ينسحبوا منه مع المدنيين. وأكد المصدر في قوات سوريا الديمقراطية أنه "لم يبق حتى الآن عناصر لداعش داخل منبج".

وفي مقاطع فيديو من داخل منبج بثتها "كوردستان 24"، وهي قناة كردية تبث من مدينة أربيل العراقية، يقف رجل أمام الكاميرا ويقص لحيته بواسطة مقص صغير قبل أن يتوجه إلى شخص آخر لقص لحيته أيضا.

وتظهر امراة تحرق النقاب الأسود الذي كانت ترتديه على الرصيف في وقت يعانق السكان بعضهم بعضا ابتهاجا بخروج آخر مقاتلي التنظيم من المدينة.

ويفرض تنظيم الدولة الإسلامية في المناطق التي يسيطر عليها أحكاما وقوانين صارمة منها منع الرجال من حلق ذقونهم وإجبار النساء على الاتشاح بالسواد من رؤوسهن إلى أخمص أقدامهن تحت طائلة عقوبات قاسية.

وبعد اقتحامها المدينة، واجهت قوات سوريا الديمقراطية مقاومة شرسة من الجهاديين الذين لجأوا إلى زرع الألغام وتفجير السيارات فضلا عن احتجاز المدنيين لإعاقة تقدم خصومهم.

وقال مصدر كردي لوكالة فرانس برس "المعركة كانت قاسية جدا، لأسباب عدة أهمها استخدام المدنيين دروعا بشرية، كما زرع مقاتلو داعش الألغام بشكل لا يوصف".

وروى أن "أحد شهداء قوات سوريا الديمقراطية دخل الجمعة إلى منزل وجد فيه حذاء فوق مصحف، وحين أقدم على رفع الحذاء، انفجر المصحف الذي كان مفخخا".

> قوات سوريا الديمقراطية دخلت في مفاوضات غير مباشرة مع تنظيم الدولة الإسلامية للانسحاب من منبج لتفادي اللغط الحاصل حول تعرض مدنيين للقتل جراء المعارك على الأرض أو نتيجة القصف الجوي لقوات التحالف الدولي

ووثّق المرصد منذ بدء هجوم منبج مقتل 437 مدنيا بينهم 105 من الأطفال، بالإضافة إلى 299 عنصرا من قوات سوريا الديمقراطية مقابل 1019 مقاتلا من تنظيم الدولة الإسلامية.

وتعد منبج الخسارة الأبرز للتنظيم على يد هذه القوات التي كانت قد طردته من مناطق عدة في شمال وشمال شرق سوريا منذ تأسيسها في أكتوبر الماضي.

وبحسب المرصد، يسيطر تنظيم الدولة الإسلامية حاليا على 35 بالمئة فقط من الأراضي السورية مقابل 50 بالمئة العام الماضي، بعدما مني بخسائر مهمة أبرزها مدينة تدمر (وسط) ومنبج.

ولا يزال التنظيم الجهادي يسيطر على مناطق في ريف حلب الشمالي الشرقي، من أهمها مدينتا الباب وجرابلس وبلدة دابق ذات الأهمية الرمزية.

وتعدّ مدينة الرقة، معقل التنظيم الأبرز في سوريا، إلا أنه يسيطر على 70 بالمئة من المحافظة التي يتواجد الأكراد في شمالها. وإلى الشرق من الرقة، يهيمن الجهاديون على كامل محافظة دير الزور الحدودية مع العراق باستثناء أجزاء من مدينة دير الزور ومطارها العسكري الذي ما يزال تحت سيطرة النظام السوري.

أخيرا أصبحنا أحرارا

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الأزمات تحاصر النظام المصري وفشله يزيد الاحتقان الشعبي

دوائر غربية تنصح السيسي بعدم الترشح لفترة رئاسية ثانية

أكد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي السبت، خلال افتتاح مجمع للبتروكيماويات بالشرق الأوسط في الإسكندرية شمالي البلاد، أنه لن يتردد في اتخاذ إجراءات إصلاح اقتصادي صعبة خشية اندلاع احتجاجات شعبية بدأت تشتد على وقع الأزمات المتواصلة والتي لم يسجل النظام المصري أيّ تقدم في طريق حلها؛ في وقت تزداد فيه الضغوط على الرئيس المطالب بإجراء مراجعة ضرورية إن كان يخطط لخوض غمار فترة رئاسية ثانية بعد حوالي عامين من الآن.

المراجعة ضرورية لتفادي تمدد الأزمة

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – رغم أن الوقت لا يزال مبكرا بشأن الانتخابات الرئاسية المصرية، إلا أن وتيرة التوقعات والتكهنات حول ترشح الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي لفترة رئاسية ثانية، تزايدت بشكل كبير في الفترة الأخيرة نتيجة الأوضاع الاقتصادية الصعبة وتصاعد حدة الانتقادات التي يواجهها النظام، ومحاولاته المستميتة لتخفيف الضغوط والأزمات، وهو ما فتح الباب لطرح تساؤلات حول مستقبله قبل نحو عامين من الانتخابات الرئاسية.

شهدت الأيام الماضية عدة مستجدات دفعت إلى الحديث عن هذه القضية، فبعد أن أعلن عالم الفضاء المصري عصام حجّي عزمه تشكيل بديل مدني استعدادا لخوض الانتخابات المقبلة، نصحت دوائر إعلامية غربية الرئيس السيسي بعدم الترشح لفترة رئاسية ثانية.

مقابل ذلك، دشن مؤخرا سياسيون مغمورون، في خطوة وصفها متابعون على أنها نوع من جس النبض، حملة تطالبه بالترشح، وجدد آخرون مطلب سابق بخصوص تعديل الدستور لزيادة فترته الرئاسية، من 4 إلى 6 سنوات.

ويبدو أن الجدل المبكر بشأن ترشح السيسي لفترة رئاسية ثانية، غرضه الخروج من أجواء الركود السياسي في مصر، والذي أضحى يميل نحو التسليم باستمراره، في ظل الفراغ الراهن، وعدم وجود منافسين حقيقيين، لكنّ أنصاره يخشون من المفاجآت، فسارعوا بتوسيع نطاق حملتهم.

يدور الصراع الخفيّ في اتجاهين متقابلين، أحدهما يأخذ بعدا داخليا والآخر ذو بعد خارجي، لكنه لا تعوزه الروافد والامتدادات الداخلية. على الصعيد الأول، هناك نوع من القبول بضرورة ترشحه مرة أخرى لظروف سياسية وإقليمية متذبذبة لا تحتمل المجازفة والتغيير.

وعلى النقيض، فإن بعض الدوائر الغربية بعثت برسائل عدة نصحته فيها بعدم الترشح، في ظل تدهور الوضع الاقتصادي الراهن والإحباط السائد من البيروقراطية التي تدار بها البلاد.

وفسر مراقبون "النصائح" على أنها تعكس الصورة السياسية المتدهورة لمصر في الخارج، والتي تأثرت سلبا بما يجري في الداخل من تراجع في مستوى الحريات وتفاقم الأزمات الاقتصادية، ما جعل النظام غير قادر على الإمساك بزمام المبادرة في قضايا إقليمية مشتعلة.

وقال سعيد اللاوندي، الخبير في شؤون العلاقات الدولية لـ"العرب"، إن الغرب لم يعد يهتم كثيرا بالأشخاص في ظل التغيرات الكثيرة التي حدثت في مصر والمنطقة العربية، لكنه يضغط في الاتجاه الذي يحقق مكاسب سياسية لبعض الأطراف التي يدعمها.

وأضاف أن بعض الإشارات التي أطلقت مؤخرا، ربما يكون هدفها فتح مجال الحريات على مصراعيه، أو الدفع باتجاه إبرام مصالحة مع جماعة الإخوان التي تحظى بدعم غربي، لجذبها إلى حقل مواجهة التنظيمات المتشددة.

وأشار اللاوندي إلى أن تحرك عصام حجّي حول تكوين فريق رئاسي من الولايات المتحدة، في نفس توقيت مطالبة "الإيكونومست" البريطانية السيسي بعدم الترشح، مؤشر قوي على تناغم موقف الغرب من ترشحه مرة أخرى.

وعبر سياسيون مصريون في أكثر من مناسبة عن أن هناك إشارات عن نزوع متصاعد لبعض الأطراف الغربية للضغط على الرئيس المصري لعدم استكمال فترته الرئاسية الأولى أو عدم الترشح لفترة ثانية، وهو ما ظهر للعلن عبر تقارير عدة، كان يتم تداولها في الغرف المغلقة.

بينما تنطلق دوافع الداخل للتمديد من نفس النقطة التي ينطلق منها الخارج، لكن النتيجة مختلفة، فهناك قطاعات كبيرة ترى ضرورة منحه فرصة كاملة لاستكمال مشروعاته، وتحمّل الأزمات المتراكمة.

وتبدو أولويات المصريين في تلك المرحلة منصبة على أهمية بقاء الدولة، باعتبار أن النظام الحالي يوفّر ضمانة قوية لعدم استئثار تيار بعينه بالسلطة، مثلما كان الحال في فترة حكم الإخوان، وتخشى العناصر المؤيدة من أن يؤدي خروج السيسي إلى عودة رجال الحزب الوطني المنحل للهيمنة على الحياة السياسية والاقتصادية مرة أخرى.

المفارقة تكمن في موقف بعض قوى المعارضة التي تؤيد هذا الطرح، فهي تدرك أن بديل السيسي قد يكون الإخوان أو فلول الحزب الوطني، وتعي أيضا أنها غير قادرة على المنافسة مع أيّ منهما في الوقت الراهن.

ويضمن استمرار نظام السيسي جانبا من المشاركة السياسية للأحزاب القائمة حاليا في حدود إمكاناتها، انتظارا لأن تأتي الفرصة المناسبة للحصول على أكبر قدر من المكاسب. كما أن الحركات الشبابية الثورية ترى أنها تستطيع ممارسة المزيد من الضغوط عليها من أجل الإفراج عن المعتقلين، بعيدا عن العودة للحالة الثورية التي لا تقدر على استعادتها في ظل الأوضاع الراهنة. وبشكل عام فإن المعارضة ترى أن التغيير يجب أن يكون من خلال السياسات، وأن الأشخاص غير جديرين بأن يكونوا أدوات مضمونة في هذا الفضاء، ومجرد التغيير فقط لن يؤدي إلى تطور حقيقي، إذ أن تجربة إزاحة نظام حسني مبارك ثم الإخوان تعزز هذه النتيجة.

وقال حسن سلامة، أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة لـ"العرب"، إن الداخل المصري يعي جيدا أن الحالة الاقتصادية الضاغطة في الوقت الحالي جاءت نتاج موروث قديم وليس نتاج سياسات حالية، والنظام الحاكم، بمقدوره توفير حلول وسط الدعم المؤسسي والشعبي للسيسي.

وأوضح أن المخاوف من تحوّل مصر إلى ليبيا أو سوريا أو اليمن تعلو فوق أيّ أزمات يمكن التغلب عليها في المستقبل.

وما يبرهن على ذلك أن أغلب الانتقادات التي توجّه تكون من نصيب الحكومة وليس الرئيس.

ويعتقد كثيرون أن هناك فجوة بين رغبات وطموحات الرئيس وآليات التنفيذ التي يعتمد عليها، ما يؤدي إلى عرقلة حل المشكلات الحالية.

لكنّ خبراء آخرين قالوا لـ"العرب" إن استمرار النظام في سياساته الحالية في التعامل مع الأزمات وتجاهله الانتقادات الخارجية، قد يضعه أمام مأزق كبير قبل انتهاء الفترة الرئاسية الأولى للسيسي.

وفي تلك الحالة لن يفيد النظام، لا الداخل ولا الخارج، حيث سيفقد القدرة على الاستمرار بسبب الرفض الشعبي الواسع الذي ربما يواجهه، عقب إغراقه بالمشكلات دون أن يدري.

وهذا الخطر تحديدا هو ما تنبأ به السيسي قبل الجميع ودفعه للتصريح في أكثر من مناسبة بأن أيّ نظام لا يمكن له الاستمرار، طالما أن هناك رفضاً شعبياً له.

وأكد محللون لـ"العرب" أن نقطة الاتفاق تكمن في القلق من فراغ المجال العام، بعدما ضيقت الحكومة المصرية الخناق على القوى السياسية ومنعتها من القيام بأدوارها، وهو ما أفضى إلى هشاشة المشهد السياسي، وعدم استبعاد اهتزازه أمام العواصف الشعبية المحتملة.

في ظل هذه الأوضاع لا شكّ أن الوضع المصري بشكل عام يحتاج إلى مراجعة عاجلة تتطلب فتح نوافذ الحوار العام والاستماع بجدية إلى المطالب المجتمعية ورفع المظالم السياسية بالإفراج عن كل المعتقلين الذين لم يتورّطوا في أعمال عنف.

وفي محاولة لامتصاص الاحتقان المتصاعد، أعلن الرئيس المصري السبت أن الدولة تحتاج إلى ضبط الدعم، وأكد أنه لن يتردد في اتخاذ اجراءات اصلاح اقتصادي صعبة كان يتجنبها الرؤساء السابقون خشية اندلاع احتجاجات شعبية.

وقال السيسي، خلال افتتاح مجمع للبتروكيماويات بالإسكندرية، إن قضيتي الإرهاب والفساد كانتا عاملين لإضعاف القدرة الاقتصادية المصرية، محذرا من الواقع الاقتصادي والذي وصفه بأنه تحد ضخم يؤثر على كافة قطاعات الدولة.

لماذا لم تتحول «رابعة» إلى حائط مبكى للإخوان

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❑ **القاهرة** – تمر اليوم الأحد الذكرى الثالثة على فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة في القاهرة، ولا تزال جماعة الإخوان المسلمين تردد مقولات المظلومية ذاتها، بشأن مصرع الآلاف من أتباعها في أثناء عملية الفض التي قامت بها أجهزة الأمن المصرية، وتحاول تبرئة نفسها من الأسلحة التي وجدت في مكان الاعتصامين، لكن النتيجة لم تكن على المستوى السياسي المطلوب.

وحتى الدعوة التي أطلقها السبت بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة بشأن ضرورة إجراء تحقيقات كاملة حول "مقتل المئات من المدنيين على أيدي قوات الشرطة والجيش المصري" خلال فض الاعتصام لم تجد تجاوبا سياسيا، فقد جاءت فارغة من المضمون الذي يدفع للتعاطف معها، لأنها جاءت متأخرة.

ومع أن الجرائم لا تسقط بالتقادم، إلا أن إطلاقها في هذا التوقيت لم يجعلها ذات أهمية في نظر دوائر كثيرة، ووضعها في باب المكايدات والمشاحنات، فلم تصطحب معها إجراءات قانونية لازمة، كما أن مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة هو المخوّل فقط بإنشاء لجنة للتحقيق عن "القتل الجماعي"، وهو ما لم يحدث حتى الآن.

ناهيك عن أن دعوة كي مون بدت كنوع من إبراء الذمة، قبل أن يغادر مقعد الأمين العام للأمم المتحدة قريبا، فهذه القضايا يصعب توفير الزخم اللازم لها ما لم تتوافر لها إرادة ورغبة دوليتان مناسبتان، تدعمان مسألة فتح تحقيق في ما حدث بميدان رابعة.

وفسّر بعض المراقبين دعوة كي مون على أنها تتسق مع تصاعد حدة الانتقادات الإعلامية الغربية للنظام المصري، وفهمت على أن هناك تكاملا بينهما، وثمة قوى دولية تدفع نحو مزيد من الضغوط على القاهرة، الأمر الذي منحها زخما في صفوف الإخوان، وتصور قادتها أنها بداية جديدة لملف رابعة.

حاولت الجماعة بشتى الطرق تحويل ميدان رابعة بشكل خاص إلى حائط مبكى، تتخذه ذريعة لتوجيه اتهاماتها للنظام المصري، ومعاقبته على ما أسمته "جريرة فض الاعتصامين". وسعت إلى توظيف حملات التعاطف الإنساني معها، من قبل بعض المنظمات الحقوقية، التي درجت على توجيه انتقادات حادة للقاهرة، غير أن ما حصلت عليه من مردود سياسي لا يتناسب مع حجم الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه.

> حاولت جماعة الإخوان بشتى الطرق تحويل ميدان رابعة بشكل خاص إلى حائط مبكى، تتخذه ذريعة لتوجيه اتهاماتها للنظام المصري، ومعاقبته على ما أسمته «جريرة فض الاعتصامين» وسعت إلى توظيف حملات التعاطف الإنساني معها غير أن ما حصلت عليه من مردود سياسي لا يتناسب مع حجم الجهود التي بذلت

ومع أن أنصار الإخوان حاولوا رفع شعار رابعة، وحفره في ذاكرة كثير من المواطنين، المحسوبين عليهم، إلا أنه لوحظ أن هناك انصرافا عنه في الداخل، ولم تفلح جهود الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي يتعمد التلويح بأربع أصابع في كل مناسبة يأتي فيها على ذكر مصر، أن تساعد حركة الإخوان على انتشار شعارها، ويكون أداة معنوية-رمزية تؤكد أنها لا تزال موجودة على قيد الحياة السياسية، وأن محاولات إقصائها عن المشهد العام لم تحقق غرضها.

حقيقة ما جرى أثناء فض اعتصامي رابعة والنهضة في 14 أغسطس 2013، جاءت في تقرير أعدته المنظمة المصرية لحقوق الإنسان العام الماضي، والذي حوى بعض الانتقادات للتعامل الأمني مع الموقف، لكنه حمّل جماعة الإخوان مسؤولية التضحية بأرواح الضحايا، مؤكدا امتلاك الجماعة لأسلحة آلية وسط المعتصمين، وهي شهادة مهمة أخرجت المعتصمين من النطاق السلمي إلى المسلح.

مياه كثير جرت في نهر فض اعتصامي رابعة والنهضة، كل طرف يحاول أن يثبت وجهة نظره، الحكومة المصرية لم تتزحزح عن وصف الاعتصام بـ"المسلح" والإخوان وأنصارهم أصروا على أنه "سلمي"، لكن الحصيلة التي أصبحت راسخة لدى الكثيرين، أن القاهرة كسبت غالبية الجولات، وبدت رؤيتها شبه معتمدة رسميا في دوائر كثيرة، في ظل تطورات إقليمية ودولية كثيرة، باتت تعمل لصالحها.

في المقابل، لم توفق غالبية التحركات التي قامت بها جماعة الإخوان، ومؤيدوها من قوى سياسية وجماعات حقوقية، في توصيل رؤيتها لقطاع كبير من الناس، بل حتى أتباعها وأنصارها في مصر، لم تعد لديهم جرأة لرفع شعار رابعة، بعد فرض عقوبات قاسية على رافعيه تصل لحد الاتهام بالترويج لتنظيم إرهابي، أو الحديث علانية عمّا جرى في الاعتصام، وأصبح الحديث يتمّ على استحياء، وسواء كان ذلك قسرا أو اقتناعا، ففي النهاية أخفقت الجماعة في نشر خطابها على نطاق واسع.

والسؤال هنا، لماذا بعد مرور ثلاث سنوات أخفق الإخوان في المتاجرة باعتصام رابعة وجني ثمار سياسية كبيرة من ورائه، ولم يتحول كما أرادت الجماعة إلى وسيلة أو سلاح للابتزاز؟

الإجابة متشعّبة ومتداخلة، لكن السياق العام الذي جرت في خضمه التحركات، وما أفرزته من نتائج سياسية، يجعلنا نلخّصها في أربع نقاط رئيسية.

* الأولى: ازدواجية الخطاب الذي اعتمده الإخوان، ففي الوقت الذي أعلنوا فيه مرارا أن اعتصامي رابعة والنهضة كانا سلميين، لم تتوقف عمليات العنف التي أثبتت أجهزة الأمن المصرية أن الجماعة تقف خلفها، تحريضا ودعما، وفي أحيان كثيرة، تنفيذا، كما أن الشماتة التي كانت تظهر على الجماعة عند وقوع خسائر بشرية ووسط صفوف العناصر الأمنية، والترحيب الذي أبدته مع كل عملية تقوم بها جماعات إرهابية، جعلتها تخسر قدرا من التعاطف الإنساني معها.

* الثانية: التحقيقات التي أجريت والتقارير التي أعدت في مصر وخارجها، أثبتت أن العنف في صميم منهج الإخوان، ولعل التقرير البريطاني الشهير بشأن أفعال الإخوان، والذي أشار إلى وجود علاقة بينها وبين الكثير من التنظيمات التي تتبنى العنف، خير دليل لفهم عدم شيوع خطاب الاضطهاد والمظلومية الذي تتبناه، ولم يخل من متاجرة من جانب العديد من أنصارها.

* الثالثة: ارتفاع درجة التوظيف السياسي من قبل بعض القوى التي ساندت الإخوان، ودخول ملفهم على خط حسابات سياسية معقدة، ولعل تحليل التوجهات العامة لكل من قطر وتركيا، يكشف عن هذا المعنى بجلاء، حيث يرتبط تصعيد ملف رابعة بما تريده كل من الدوحة وأنقرة من القاهرة، ويخفت عندما تتم التهدئة أو تظهر مؤشرات لها، ويزداد سخونة عندما تشتعل الخلافات.

* الرابعة: دبلوماسية القاهرة النشطة، والتي نجحت في تحييد دول كثيرة، كانت أو كادت تتعاطف مع الإخوان، فتداخل الملفات السياسية ووجود شبكة من المصالح، نحى جانبا فكرة استمرار مساندة الإخوان، كما أن دخول مصر على خط بعض الأزمات الإقليمية التي لها علاقة بالعنف والإرهاب في المنطقة، كبح جماح بعض الجهات التي مالت في وقت سابق ناحية الإخوان.

إذا كانت الجماعة لم توفق في تعميم خطاب المظلومية، لقصور في أدائها، وبراغماتية بعض القوى التي انحازت لمصالحها وتغير تقديرات بعض الأطراف، فإن حديث فض اعتصام رابعة، لم يكشف بعد عن جميع التفاصيل والكواليس السياسية، التي سبقته والتي لحقت به.

إرث نسيب لحود.. في لبنان يرفض أن يموت

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ تصدر بين حينٍ وآخر إشارات، وإن كانت خجولة، تؤكّد أنّ لبنان يرفض أن يموت من جهة وأنّ النواة الصالحة ذات العقل السليم في المجتمع ما زالت حيّة ترزق من جهة أخرى. تظل هذه الإشارات ظاهرة صحيّة في بلد، هناك من يسعىٰ إلىٰ تدمير مؤسساته بطريقة منهجية وتغيير طبيعة المجتمع فيه.

قبل أيام انتخبت الهيئة العامة لـ"حركة التجدّد الديمقراطي"، وهو الحزب الذي أسّسه نسيب لحود رئيسا جديدا لها. مرّة أخرى كانت الحركة، وهي حزب سياسي مختلف، وفيّة لنسيب لحود، الذي توفّيٰ في العام 2012. بقيت وفيّة لكل ما كان يمثّله الرجل علىٰ الصعيد اللبناني.

انتخبت الهيئة العامة للحزب فاروق جبر، الشخصيّة السنية البيروتية، رئيسا له، خلفا لكميل زيادة. نعم، هناك حزب لبناني أسّسه ماروني من جبل لبنان يخلفه ماروني آخر، ثمّ في مرحلة لاحقة، سنّي لديه نائبان للرئيس الأوّل شيعي (مالك مروة) والآخر أرثوذكسي (أنطوان حدّاد).

أسّس نسيب لحود، الذي كان نائبا للمتن بين 1992 و2005 ثمّ وزيرا في العام 2008، الحزب في العام 2001. أقدم علىٰ هذه الخطوة لتأكيد أنّ لبنان يستطيع تجاوز الطائفية والمذهبية وأن الجانب المشرق في الصيغة اللبنانية يمكن أن ينتصر علىٰ الجانب المظلم الذي طالت إقامته بعدما بسط ظلّه الثقيل علىٰ الحياة السياسية في البلد. أراد أن يقول بكل بساطة إنّه لا يزال في لبنان أشخاص فوق الطائفية والمذهبية والمناطقية ويتمتّعون في الوقت ذاته بالقدرة علىٰ أن يكونوا نظيفي الكف.

بقيت "حركة التجدّد الديمقراطي" وفيّة لنسيب لحّود الذي كان يمكن أن يكون أفضل رئيس للجمهورية في لبنان نظرا إلىٰ أنّه كان مختلفا عن معظم السياسيين اللبنانيين بدءا برفضه كلّ نوع من أنواع الطائفية والمذهبية، كما قدّم نموذجا لرفض الفساد في بلد غارق في هذه الآفة إلىٰ ما فوق أذنيه.

الأهمّ من ذلك كلّه، أنّ نسيب لحود لم يكن فقط في خانة أخلاقية لا علاقة لها بتلك التي حشر فيها السياسيون الآخرون، في معظمهم، أنفسهم فيها. مثّل حالا فريدة من نوعها بالقول والفعل في آن. كان أوّل ما عمله عندما دخل المعترك السياسي اللبناني بعد عودته من واشنطن، حيث كان سفيرا لكلّ لبنان ولكل اللبنانيين، إعلان رفض شركته المتخصصة في

الرئيس الحلم

بناء المحطات الكهربائية الدخول في أيّ مشاريع داخل لبنان. في موازاة ذلك، أكد نسيب لحود في كل يوم أنّه شخصية سياسية مستقلة لا تقبل أن تكون تابعة لأحد، مهما كان ثمن هذه التبعية. هذا هو الجانب الأهمّ في شخصية رجل استثنائي لا تمكن مقارنته سوى مع عدد قليل من السياسيين اللبنانيين المترفّعين عن المادة مثل ريمون إده وفؤاد شهاب وآخرين غيرهما لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين.

كان نسيب لحود فوق رئاسة الجمهورية التي فقدت بريقها في لبنان منذ اغتيال الأجهزة السورية الرئيس رينيه معوّض في تشرين الثاني ـ نوفمبر 1989 وذلك بعدما أصرّ علىٰ أن يكون رئيسا للبنان. رفض رينيه معوّض أن يكون مجرّد موظف برتبة مدير عام، أو ما دون ذلك، في رئاسة الجمهورية السورية، فدفع من حياته ثمنا لذلك.

جاء انتخاب فاروق جبر رئيسا لـ"حركة التجدّد" لتذكير اللبنانيين أن القيم التي مثّلها نسيب لحود لم تمت. لا يزال هناك من يؤمن بهذه القيم، خصوصا بين الشباب اللبناني. من الواضح أنّ مهمة رجل عاقل وحكيم في عمر فاروق جبر هو زرع القيم التي آمن بها نسيب لحود في نفوس الشباب اللبناني وفي تكوين شخصيتهم. وقد نذر الرجل نفسه لهذه المهمّة.

ثمة من سيقول إنّ "التجدّد" هو حزب النخبة في لبنان وأن لا أمل له في تحقيق انتشار واسع يوما حتىٰ في الأوساط المتعلمة. يمكن أن يكون ذلك صحيحا إلىٰ حدّ كبير. هناك أدلة كثيرة تدعم وجهة النظر هذه بما في ذلك نتائج الانتخابات في المتن حيث ترشّح نسيب لحود في دورة العام 2005 ولم ينجح. تقدّم عليه، في هذه المنطقة، التي يعتبر سكانها من ذوي المستوى التعليمي المعقول، مرشحون لا يصلح أفضلهم، أن يكونوا حاجبا عند نسيب لحود، هذا إذا استثنينا بيار أمين الجميّل، الذي اغتيل لاحقا، ثم سامي أمين الجميّل رئيس حزب الكتائب حاليا. هل من ظلم أكبر من هذا الظلم يلحق بأفضل رجالات لبنان؟ هل من دليل أكبر علىٰ مدى التدهور والانحطاط والتعصّب الأعمىٰ داخل قسم من المجتمع المسيحي في لبنان؟

كان آخرون، غير نسيب لحّود، استسلموا لليأس وللغرائز التي تسيّر قسما من اللبنانيين. بين هؤلاء للأسف من لا يزال يعتقد أنّ ميشال عون سيستعيد حقوق المسيحيين! أصيب نسيب لحود بإحباط، لكنّه لم يستسلم.

جاءت الانتخابات الأخيرة لـ"حركة التجدّد" لتثبت أن هناك من لا يزال مصرّا علىٰ المحافظة علىٰ إرث نسيب لحود وعلىٰ ما يمثّله علىٰ كل صعيد. فنسيب لحود من السياسيين المسيحيين القلائل الذين أدركوا باكرا حجم التغييرات التي ألمّت بلبنان علىٰ كلّ صعيد، خصوصا في مجال التوازن العددي القائم بين المسيحيين والمسلمين. من هذا المنطلق لم يقاطع الانتخابات النيابية للعام 1992، بل شارك فيها من منطلق أن بداية عودة المسيحيين إلىٰ لعب دور علىٰ الصعيد الوطني تكون بالانخراط مجدّدا في الحياة السياسية علىٰ الرغم من الوصاية السورية التي كانت قائمة وقتذاك. كانت تلك الوصاية تقوم علىٰ وضع أسوأ نوع من المسيحيين في الواجهة السياسية من أجل إذلال اللبنانيين جميعا وليس المسيحيين وحدهم.

> نعم، لا يزال في لبنان حزب لا يفرق بين مسيحي ومسلم وغني وفقّير ومنطقة وأخرى. حزب غير محسوب لا على طائفة ولا على مذهب. مثل هذا الحزب هو المقاومة الحقيقية لكل ما له علاقة بالتخلف والفسّاد والمذهبية في هذه المرحلة المظلمة التي يمر فيها لبنان الذي عليه أن يعيش من دون رئيس للجمهورية

كان نسيب لحود يعرف تماما معنىٰ اتفاق الطائف الذي يسعىٰ "حزب الله" ومن خلفه إيران إلىٰ التخلّص منه هذه الأيّام. كان يعرف معنىٰ قول رفيق الحريري"أوقفنا العدّ"، أي أوقفنا المقارنة بين عدد المسلمين وعدد المسيحيين في لبنان حفاظا علىٰ الشراكة بين اللبنانيين والعيش المشترك وصورة البلد.

نعم، لا يزال في لبنان حزب لا يفرّق بين مسيحي ومسلم وغني وفقير ومنطقة وأخرى. حزب غير محسوب لا علىٰ طائفة ولا علىٰ مذهب. مثل هذا الحزب هو المقاومة الحقيقية لكلّ ما له علاقة بالتخلّف والفساد والمذهبية في هذه المرحلة المظلمة التي يمرّ فيها لبنان الذي عليه أن يعيش من دون رئيس للجمهورية. أكثر من ذلك، علىٰ البلد أن يتفرّج علىٰ ميليشيا مذهبية مسلحة تضم شبّانا لبنانيين تشارك في الحرب علىٰ الشعب السوري بأوامر من إيران.

في ظلّ كلّ هذه التحديات التي يعيشها لبنان لا يزال هناك من يؤمن بما زرعه نسيب لحود، هذا الرجل الفاضل والمهذّب والصديق دائما، الذي لا يزال هناك من يؤمن به وبفكره وعقله وقدرته علىٰ الربط بين الفكر والممارسة، بعيدا عن الشعارات الفارغة والمزايدات والغرائز المذهبية.

كان بالفعل الرئيس ـ الحلم للبنان. لم يعن رحيله أنّ علىٰ اللبنانيين التوقف عن الحلم، بمقدار ما ازداد تعلّق القريبين منه بما مثّله وما زال يمثّله وبأنّه حلم لن يموت في بلد يستطيع مسلم أن يخلف مسيحيا وأن يخلف مسيحي مسلما في موقع ما من دون عقد وتبجّح من أيّ نوع كان. أليس هذا معنىٰ ما شهدته "حركة التجدّد" قبل أيّام؟ أليس هذا دليلا علىٰ أن لبنان لم يمت بعد؟

داعش لم يهدم المدن فقط بل هدم الأمل العراقي

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ يتحدث الكاتب عبدالرحمن الراشد عن الإيزيدية نادية مراد. الفتاة العراقية التي أبكت مجلس الأمن، وزارت مصر، وتحدثت إلىٰ العالم بأسره وذكرت بأن داعش ذبح 700 رجل من قريتها في ساعة واحدة، وكيف أن هذه الفتاة الصغيرة اغتُصبت وبيعت مرارا، كل ذلك باسم الإسلام والجهاد.

وقبل ذلك سمعنا كثيرا عن حالات اغتصاب في سجون سرية للحكومة العراقية لنساء مسلمات. الفارق هو أن الحكومة لم تعترف بحدوث انتهاكات، أو على الأقل لا يوجد مسؤول سياسي أو رجل دين شيعي يبرّر الانتهاكات علنا بينما داعش يفتخر بعودة الرق، ويبيح بيع البشر وشراءهم والتمتع بالفتيات السبايا.

هل تعلمون أنه طيلة فترة الاحتلال الصهيوني لفلسطين لم تُسجّل حالة اغتصاب واحدة ضد الفلسطينيات؟ لم يرتكب جندي إسرائيلي أو متطرف يهودي انتهاكات من هذا النوع.

قبل يومين التقيت بفتاتين سوريتين كانتا تعملان في الأمم المتحدة بسوريا. واحدة مسلمة متخصصة بحالات النساء المغتصبات، والثانية مسيحية متخصصة بحالات الأطفال المغتصبين، كوارث كبيرة وقصص في المناطق المنكوبة والمخيمات. السيدتان سحاقيتان وتتساءلان هل العار والإثم أن تتزوج مثليتان بالغتان أم العار هو اغتصاب الأطفال والنساء بالقوة؟

الشيء الأساسي الذي يحزّ في النفوس هو أن سنة العراق أصحاب حق ومظالم. مقاتل السنيين طيلة عشر سنوات من الاحتلال منحتهم نوعا من التعاطف والمقبولية لدى المثقفين الشيعة أنفسهم، خصوصا في فترة الاعتصامات والمطالب المشروعة التي أقرّتها الأمم المتحدة ومنظمات حقوقية. عشر سنوات تحت حكم ولاية الفقيه البغيض ذاقوا خلالها الويلات والتهجير والتصفيات.

كل ذلك تبخر في لحظة سقوط الموصل بيد داعش في العام 2014، وتحول الموضوع من مظالم وحقوق إلىٰ جرائم السنة، وهذه العمليات ضد داعش مصحوبة للأسف بهدم المدن كحواضن للإرهاب وتشريد الناس كمشبوهين. وبدلا من أن يكون الحديث حول التخلص من الحكم الطائفي، تحول الحوار إلىٰ سُبل التعاون مع إيران للقضاء علىٰ الإرهاب السني.

خسارات كبيرة تعرضت لها المسألة الوطنية في العراق، وصارت مهنة الناشط السني هي محاربة داعش وفضح الإسلام المتطرف السني، بدلا من أن تكون مهمته الأساسية المطالبة بحقوق طائفته في نظام فاسد وعنصري عميل لإيران. هذا الانقلاب القهري هو أحد أكبر الخسارات المعنوية والثقافية في العراق الحالي الذي اختلط فيه الحابل بالنابل.

لا توجد طائفة في العالم تتجرأ علىٰ ما قام به سنة العراق. احتلال مدن، وإعلان خليفة لداعش، وتبنّي كل عمليات التفجير والذبح في العالم الحر القوي، بل يحرّضون عليها ويتفاخرون بإصدارات ذبح لأجانب وغربيين.

لو أن الخلافة أعلنها رجل غير عراقي لما كان لها تأثير. المشكلة في وجود سني عراقي مثل البغدادي. إن ثقل سنة العراق في العالم تاريخيا ليس بالقليل، وهذا جعل المعاناة أعقد وساهم في النهاية بإبادة المدن العراقية بتحالف دولي، كما ساهم في ضياع التفوق المعنوي والأخلاقي لمدن محبوبة عربيا كالموصل والأنبار وبغداد. لقد ضاعت عذابات ومظالم ودموع ودماء لعشر سنوات من الاحتلال.

صديقي الأميركي صار يقول أنت متعاطف مع سنة العراق، بينما العالم يراهم اليوم مثل الأميركيين الجنوبيين بعد الحرب الأهلية الأميركية. ويقول ألم يدع أبراهام لنكولن إلىٰ تأسيس جيش من المتطوّعين بعد هجوم قوات الولايات الفيدرالية علىٰ القواعد العسكرية وهزيمتها؟ ألم تقدم الولايات المتحدة 600 ألف قتيل من الجنود وعددا مجهولا من المدنيين في سبيل توحيد البلاد وإعلان العالم الجديد؟

ثم إن الجنوبيين استمروا بعناد ولسنوات بعد خسارتهم الحرب بقتل العبيد ورفض تحريرهم ورفض مشاركتهم في الانتخابات، وإلىٰ وقت قريب كانت بعض المدن العنصرية ترفض اختلاط السود مع البيض في المطاعم والمتاجر رغم توقيعهم علىٰ شروط الهزيمة والقبول بنهاية الرّق.

بسبب داعش صار العالم ينظر إلىٰ سنة العراق كجماعة مشابهة للأميركيين الجنوبيين الذين اعتادوا علىٰ استعباد الناس، ورغم هزيمتهم عسكريا ما زالوا يرفضون المساواة، وبهم يحقق المرشح الجمهوري دونالد ترامب تقدما في الانتخابات الرئاسية اليوم.

المقارنة والإسقاط علىٰ التاريخ الأميركي خطأ. إلا أن داعش في النهاية رسّخ هذه الفكرة لدى العالم. داعش في كل مكان هذا صحيح لكن خليفته سني عراقي، وهذه مشكلة كبيرة جدا حطمت كل طموحاتنا بالعدالة والمساواة في العراق.

> خسارات كبيرة تعرضت لها المسألة الوطنية في العراق، وصارت مهنة الناشط السني هي محاربة داعش وفضح الإسلام المتطرف السني، بدلا من أن تكون مهمته الأساسية المطالبة بحقوق طائفته في نظام فاسد وعنصري عميل لإيران. هذا الانقلاب القهري هو أحد أكبر الخسارات المعنوية والثقافية في العراق الحالي الذي اختلط فيه الحابل بالنابل

شباب الموصل يرفع راية الموت

الميليشيات في سوريا والعراق تشارك في القضاء على داعش، وعلى الدولة

لينا الخطيب
باحثة لبنانية

❏ في 26 يونيو أعلنت الحكومة العراقية استعادة مدينة الفلوجة، الواقعة غرب بغداد، بعد أكثر من سنتين من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية عليها. ولعب الجيش العراقي دورا أساسيا في العملية لكنه لم يكن لينتصر لولا قوات الحشد الشعبي والضربات الجوية للتحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية.

بيد أن الحكومة العراقية تلكأت في الاعتراف بتبعيتها لتلك الأطراف وصورت قوات الحشد الشعبي على أنها مجرد مساعد للجيش العراقي بالرغم من أن الكثير من المجموعات المحاربة تحت راية الحشد تعمل باستقلالية. وهذه المجموعات لا ترسل تقاريرها للحكومة العراقية وبعضها لديها رعاة آخرون بمن فيهم إيران.

وبالرغم من التقليل من وزنها، فإن توصيف بغداد لقوات الحشد الشعبي يساعد على إعطاء مشروعية للشراكة معها من خلال السموّ بمكانتها من ميليشيات إلى قوات مساعدة للحكومة وكذلك يجعل الجيش الوطني والحكومة الضعيفين يبدوان أقوى من الواقع. لكن هذا التكتيك خطير ويمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية، فما يقوم به العراق بالأساس هو تفويض الحرب على داعش لميليشيات مدعومة من إيران، وهو أمر يمكن أن يضعف شرعية الدولة وسيادتها على المدى البعيد. وهذه الطريقة نفسها معتمدة في سوريا.

> كلما زادت قوة الميليشيات قل قبولها لاتخاذ مقعد خلفي وراء النخب السياسية في بغداد ودمشق. وللتأكد من ذلك لننظر إلى لبنان حيث كان أحد العوامل التي أدت إلى بروز حزب الله المدعوم من إيران ضعف دفاعات الدولة ضد إسرائيل في ثمانينات القرن العشرين

بدأ الجيش العراقي في الانحدار بعد الغزو الأميركي لسنة 2003، وأدّت الحالة الفوضوية بعد الحرب إلى عقد من سوء الإدارة من الحكومة ومساندِيها الدوليين. وفي الأثناء في الطرف الآخر من الحدود أضعف كلّ من المتمردين والمجموعات المتطرفة دفاعات الرئيس بشار الأسد. وردا على ذلك كان على جيشي العراق وسوريا التعويل على قوات أخرى لمحاربة خصومهم.

وفي سنة 2012 عقدت الدولة السورية شراكة مع إيران لإنشاء قوات الدفاع الوطني، وهي عناصر متكوّنة من موالين للأسد يوصفون على أنهم "مقاتلون وطنيون متطوعون لدعم الدولة ضد الإرهاب"، وهي عبارة موسّعة. وفي وقت لاحق أضافت سوريا للخليط القوات الديمقراطية السورية المدعومة من روسيا، وهي ميليشيا كردية بالأساس تحارب تنظيم داعش في المناطق الشمالية والشرقية من البلاد.

استخدام الأسد للميليشيات غير الحكومية لا يقتصر على قتال داعش، بل يتعلق كذلك بتسمية تجارية جديدة. النظام السوري يسعى إلى تصوير قمع الدولة لما بدأ في شكل انتفاضة على أنه مجهود شعبي لاستئصال الإرهاب، فالميليشيات المكونة من طيف متنوع من السوريين تساعد على تقوية وإعطاء المشروعية نوعا ما لذلك الخطاب إذ أن السوريين يتضامنون لحماية بلدهم من الخونة والمتمردين.

وبالرغم من أن العراق يعمل في سياق مختلف عن السياق السوري بما أن لديه حكومة معترفا بها دوليا، فهو يستعمل كذلك الميليشيات لتعزيز الدعم الشعبي، خاصة أنه يواجه ضغطا متزايدا من الفاعلين في المعارضة. ومكّن تشريك السنّة في قوات الحشد الشعبي الحكومة العراقية من وضع المعركة ضد داعش الذي يجاهر باتّباع نسخة متطرفة من الإسلام حسب المذهب السني في إطار غير مذهبي. ووصل الكثير من داخل المجتمع السنّي إلى مدح قوات الحشد الشعبي، داعين إياها بـ"الحركة الوطنية لمساعدة الدولة".

لكن في الواقع يمكن للميليشيات في كلّ من العراق وسوريا أن تكون خارجة عن السيطرة وغير منضبطة. مثلا عرف عن قوات الدفاع الشعبي في سوريا بأنها تهاجم حتى المدنيين الموالين للنظام بينما وصل بعض الأعضاء الأكراد في القوات الديمقراطية السورية إلى قتل أو طرد العرب في تل أبيض في شمال شرق سوريا عندما أخرجوا منها داعش في صيف 2015. وعمدت بعض المجموعات الشيعية من قوات الحشد الشعبي إلى مهاجمة المدنيين السنّة، ولن يزيد هذا السلوك إلا في خلق تظلّمات ضد الدولة والمزيد من الانقسام الطائفي، وهو أمر يمكن أن يضعف في النهاية مسعى الدولة للشرعية.

زيادة على ذلك، كلما زادت قوة هذه المجموعات قل قبولها لاتخاذ مقعد خلفي وراء النخب السياسية في بغداد ودمشق. وللتأكد من ذلك لننظر إلى لبنان حيث كان أحد العوامل التي أدّت إلى بروز حزب الله المدعوم من إيران ضعف دفاعات الدولة ضد إسرائيل في ثمانينات القرن العشرين. باركت الدولة حزب الله باعتباره حركة مقاومة للاحتلال الإسرائيلي في جنوب البلاد لكنها لم تتنبأ بتحول هذا التنظيم إلى أبرز حزب سياسي في البلاد يستمد جزءا كبيرا من سلطته من القوة العسكرية التي يملكها.

وكذلك بإمكان إيران وروسيا، بحكم دعمهما للتنظيمات العاملة في العراق وسوريا، استخدام هذه الميليشيات بمثابة أدوات سياسية لممارسة النفوذ على البلدين وتقوية حضورهما في الشرق الأوسط. وهذا شبيه باستخدام إيران لحزب الله من أجل الاستحواذ على الدولة اللبنانية، وهو أمر يزيد من قضم سيادة الدولة. وقبل كل شيء يعرف حزب الله بأنه "دولة داخل الدولة"، بالرغم من أنه في الحقيقة أشبه بدولة داخل دولة ظل نظرا لضعف الحكومة اللبنانية.

ليس من الصعب تخيل الميليشيات تستخدم شعبيتها الراهنة لدفع نفسها إلى مواقع سلطة. ففي العراق تتزعم بعض المجموعات من الحشد الشعبي شخصيات حققت الشهرة في المجتمع الشيعي نتيجة لسجلّها ضد داعش وعبرت عن اهتمامها بخوض الانتخابات المحلية والبرلمانية المقبلة. ويكمن الخطر في أن هذه المجموعات عندما تصبح في السلطة قد ترتهن بالنظام السياسي في البلاد.

في لبنان لم يندمج حزب الله في هياكل الدولة مثل القوات المسلحة اللبنانية بتعلّة ضعف هذه الهياكل. والحقيقة هي أن حزب الله سعى جاهدا لتبقى مؤسسات الدولة اللبنانية ضعيفة من أجل تبرير امتلاكه للأسلحة، ويفعل ذلك باسم الدفاع الوطني. ثم تستخدم هذه الأسلحة لترهيب الخصوم السياسيين المحليين، مما يجعل حزب الله أهم دافع للعملية السياسية في البلاد. وما المأزق السياسي الحالي في لبنان (دون رئيس لعامين كاملين، كما تم تجميد الانتخابات البرلمانية) إلا نتيجة مباشرة لارتهان الدولة.

في العراق وسوريا قد تعمل الميليشيات في النهاية بنشاط لضمان بقاء الدولة ضعيفة حتى تبقى هي قوية. ومن ثم إذا كانت بغداد ودمشق تحققان انتصارات صغيرة اليوم ربما تجدان نفسيهما في مواجهة أزمة شرعية غدا.

الدخان الحارق لسواد داعش لا يجب أن يعمي العيون عن خطر الميليشيات

* عن المعهد الملكي البريطاني للعلاقات الدولية، تشاتام هاوس

للفساد وجوه عديدة وأذرع طويلة

محمد بن امحمد العلوي
كاتب من المغرب

❏ عندما تذكر المندوبية السامية للتخطيط أن أغلبية الأسر المغربية غير قادرة على الادخار خلال 12 شهرا المقبلة، فهذا الأمر يدعو للقلق على مستقبل استقرار العائلات الفقيرة والمتوسطة، النفسي أولا، والسوسيواقتصادي ثانيا. والغلاء وانخفاض القدرة الشرائية والبطالة المستشرية في صفوف الشباب أسباب منطقية لهذه الوضعية التي تتحمل الحكومة والسياسيون وأصحاب الدكاكين الانتخابية معارضة وأغلبية المسؤولية كاملة عنها.

وفي الوقت الذي تخرج فيه لنا وزارة الداخلية بأرقام هزيلة تهم أعداد المسجلين في اللوائح الانتخابية لسنة 2016، بعدد يقارب 500 ألف طلب تسجيل خلال آخر مراجعة هذه السنة بالمقارنة مع 1.9 مليون طلب العام 2015، فلا شك سيؤثر هذا الواقع في نسبة المشاركة. وهذا الأمر يتطلب منا طرح سؤال رئيسي حول الدور الذي تلعبه الأحزاب والإدارة والنخبة السياسية في المغرب في إقناع الناس بجدوى الانتخابات وأهميتها في تطوير النموذج الجنيني للديمقراطية ببلادنا.

إذا لم تقدر تلك الأحزاب والحكومة على إقناع فئة من الشباب والشابات للتسجيل والمشاركة في الانتخابات فهذا دليل على فقر في طريقة التواصل وسوء التدبير والتأطير وفشل في الاستقطاب، تعيشه كل الأحزاب دون تمييز أو تفضيل بين اليسار واليمين وما يعرف بالوسط.

كثرت في الآونة الأخيرة فضائح السياسيين، وكان أبرزها قضية ما أصبح يطلق عليهم فئة "خدّام الدولة"، بعدما استغل عدد من السياسيين والمسؤولين الإداريين ورؤساء أحزاب الثغرات القانونية وسطوا على أراض داخلة في أملاك الدولة بأثمان أقلّ ما يمكن القول عنها إنها زهيدة ولم يراعوا سوى مصالحهم. حتى حزب العدالة والتنمية الذي رفع شعار محاربة الفساد واشتكى ممّا أسماه بالتحكم، لم ينج هو الآخر من فلسفة السطو واستغلال المنصب، ولو بشكل غير مباشر وبمبررات تستنجد بمواد القانون تارة وبخدمة الصالح العام تارة أخرى.

وللوقوف على المسألة برزت على سطح النقاش السياسي قضية الحبيب الشوباني، القيادي بحزب العدالة والتنمية ورئيس جهة درعة تافيلالت بمثابة رئيس حكومة مصغرة، الذي رفع تحدي استغلال 200 هكتار من أراضي الجموع. كيف يمكن لرئيس جهة تعتبر حسب الأرقام والإحصائيات فقيرة تبرير ما فعله وقد وقع في تناقض سافر مع قيم الترشيد والحكامة.

دافع الحبيب الشوباني عن مشروعه الاستثماري بالقول "إنه يخدم المنطقة التي يقلّ فيها علف المواشي، كما أنه يوفر مناصب شغل للعشرات من الشباب"؛ وكالعادة اتهم "خصومه" بالمزايدة السياسية والإعلامية.

ورد عليه زميله القيادي في حزب العدالة التنمية وعضو أمانته العامة، خالد الرحموني قائلا "ليس لنا الوقت والطاقة والمروءة للدفاع عن نزواتكم، ارتقوا ولو إلى حين، كل الخوف أن يصبح المصلحون عبئا على خط الإصلاح".

لكن هل من حق الشوباني كراء 200 هكتار من أراضي الجموع لإنجاز مشروع تجاري لإنتاج أعلاف معدلة ومطورة؟ هنا مواد القانون المنظم للجهات واضحة وتمنعه بصفته رئيسا للجهة من الاستثمار مفردا أو مساهما مع آخرين للاستثمار في أيّ مشروع وتحت أيّ ذريعة درءا لشبهة استغلال النفوذ وتضارب المصالح. هل بإمكاننا إقحام الشوباني ضمن زمرة باتت تسمّى في المغرب بـ"خدام الدولة" من سياسيين ومسؤولين استولوا على أراض ببخس التراب؟

الجواب نعم، والعتب عليه وعلى أصدقائه في الحزب كونهم صدّعوا رؤوسنا بمعارضتهم لجمع السلطة والمال في يد واحدة، فهل انقلبت المفاهيم واختلت الموازين وتداخلت المصالح؟ وكيف يستطيع الشوباني العدل بين مسؤولية إدارة مصالح الناس ومصالح هكتاراته الزراعية؟

عجيب أمر سياسيينا، يتحدثون مطولا عن الأخلاق وزراعة الأمل في الوقت الذي يدخلون فيه تلك القيم الثلاجة ويجمّدونها بلا أدنى اكتراث، كلما تعارضت مع مصالحهم وتطلعاتهم.

لا يهمني ما يقوله الخصوم السياسيون للشوباني، ولا يلزمني تصيّدهم لأخطائه والركوب على حواشيها، ولا يهزني ما تدبجه أقلامهم ولا ما تنتجه محابر أفكارهم، المهم هو أن ننقد من وجهة نظر غير متحيّزة إلا لمصالح الشعب المغربي وأحلام مواطن تشرد وآخر انتحر باحثا عن كرامة وعدالة وشخص غلبه الخوف فآثر الانزواء والسكوت عن حق مهضوم.

الحبيب الشوباني حرق سفنه ولازال يغرق الباقي. والمعارضة الضعيفة لم تقدم بديلا سياسيا مقنعا للناس فعبّر المواطن عن رأيه مبكرا في هؤلاء وأولئك برفضه التسجيل في لوائح الانتخاب.

مشكلتنا أننا عاطفيون إلى أبعد حد في التعاطي الصارم مع من يعتبرون أنفسهم فوق القانون والتاريخ ومصالح البلاد والعباد. نستنكر فسادهم وننكر تصرفاتهم دون أن نتعدى إلى ردّ فعل أقوى بالقانون وتحت سلطته.

نعترف أن الأمر ليس سهلا لكنه ليس بالمستحيل بل يحتاج إلى إرادة سياسية وضغط شعبي ومؤسساتي. حين يكون من المفترض أن تصبح مفوضا من الشعب لتدبير شؤونه فالأولى أن تعمل كلّ ما في وسعك لتحقيق هذا الغرض وهو بالمناسبة ليس إعجازا سياسيا. كل ما في الأمر انتباه المسؤول إلى خط السّير حتى لا يتعارض مع القيم التي يدّعي الدفاع عنها.

الذين ينغّصون علينا ديمقراطيتنا الفتية هم الفاسدون النهمون بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية والأيديولوجية، والذين أثبتوا أن للفساد وجوها عديدة وأذرعا طويلة. فهم ينهبون باسم القانون والدين ويتطاولون على ممتلكات الدولة ويعتدون على مستقبل الوطن والمواطن ويدّعون كذبا وزورا خدمة المصالح العامة.

محاربة الفساد مسؤولية جماعية

رجل دولة جزائري يرفض خطاب الإسلاميين وانتهازية الليبراليين

أحمد أويحي
ما زال هناك أمل

خالد عمر بن ققه

❑ **أبوظبي** – الخطاب السياسي في الجزائر، من نظام الحكم ومن المعارضة، يحاول تقديم إجابات للتساؤلات الكبرى، لكنها لا تتضمن رؤية، تؤسس عليها مشاريع يمكن التعويل عليها لدفع البلاد حول ديناميكية تؤهلها لمواجهة التطورات المقبلة المحلية والإقليمية والدولية.

كما أن ذلك الخطاب بعيد عن التفاعل الشعبي أو المجتمعي من ناحية التأثير الإيجابي، في ظل انتقاد متواصل لنظام الحكم وللمعارضة ولممثلي الشعب في البرلمان وللجيش ولكل مؤسسات الدولة. ولهذا من الصعب أن تتغيَّر المواقف داخل الجزائر، وأقصد هنا مواقف الشعب، وذلك حسب الطبيعة النفسية للشعب الجزائري، وهي التي تشكّل "الأنا الجمعي"، إلا بظهور قائد ملهم، أو زعيم جامع، ولو تتبّعنا حركة المجتمع الجزائري منذ الاستقلال، لوجدناها ذات صلة بدور القائد أو الزعيم، الذي يُفجّر طاقة الشعب وعبقريته، والشعب هنا لا يعنيه إن كان القائد عسكريا أو سياسيا أو مدنيا.

زعماء

بالنسبة إلى التفاعل بين الشعب والقائد من منطلق الزعامة والقيادة نجد على المستوى العسكري هواري بومدين، واليامين زروال، وبالنسبة إلى علاقة الشعب الحميمة بالزعيم الحاكم من منظور سياسي تبدو جلية أمامنا شعبية أحمد بن بلة، ومحمد بوضياف، وعبدالعزيز بوتفليقة، وعلى المستوى الديني نجد عباسي مدني ومحفوظ نحناح.

> الحملات التي تشن ضده على خلفية أنه يسعى ليكون رئيسا للجزائر في المستقبل فاشلة لا ريب، ليس فقط لأن الوصول إلى أعلى هرم السلطة من حق كل الجزائريين، فما بالك بقائد مثل أحمد أويحي؟ ولكن لأنه أثبت خلال السنوات الماضية قدرته على صناعة الفعل السياسي داخل السلطة وخارجها

وإذا استثنينا من التجربة الرئيس الحالي عبدالعزيز بوتفليقة، لأسباب كثيرة، من أهمها أن تجربته في الحكم لم تنته بعد، وأنه، إلى الآن، يمثل حالا من التوازن بين عدة أطراف، وهو باختصار عبارة عن كثير من الماضي المتراكم. وقليل من الحاضر الفاعل، ليس على مستوى التغييرات والولاء، وإنما على مستوى توقيف زحف جماعات الفساد.

البحث عن قيادة

رغم ذلك كله، فإن الرئيس بوتفليقة يحظى بشعبيّة أكبر مقارنة بغيره من الرؤساء السابقين، باستثناء بومدين، وهو بذلك يكسر القاعدة المتعارف عليها، والمختصرة في أن شعبية الزعيم السابق منافسة وأحيانا قاتلة لشعبية وتفاعل ومكانة الزعيم اللاحق، فالرئيس اليامين زروال أقل زعامة من الرئيس الراحل هواري بومدين، وشعبية محمد بوضياف، كانت أقل من شعبية أحمد بن بلة، ومحفوظ نحناح أقل شعبية من عباسي مدني.

الجزائر اليوم، اعتماداً على تجربتها السابقة، في حاجة إلى زعيم سياسي يكون ملمّا بكل التجارب السابقة، ومضيفا لها من خبرته ودوره، وكثير من السياسيين الجزائريين يحاولون اليوم أن يبدوا فاعلين، وقد تكون لهم تجارب ثرية في العمل السياسي، التنظيمي ـ الحزبي، أو أثبتوا أهمية وجودهم في مؤسسات الدولة، عبر مختلف المواقع، لكن قلة تلك التي تملك رؤية سياسية وتجربة محلية ودولية، وقارئة للتاريخ، ومتابعة للسياسة الدولية، ومن تلك القلة يظهر أحمد أويحي، مدير ديوان رئيس الجمهورية الأمين العام للتجمع الوطني الديمقراطي.

من خلال سيرته الذاتية يبدو أويحي الأوفر حظا لقيادة الجزائر في المستقبل القريب، بمقاييس الحقائق السياسية وليس بمقاييس الواقع الحالي الذي تتبارى فيه شخصيات لا يكمن مقارنتها به، وهي إمّا بنت شرعية أو غير شرعية للماضي، أو دخيلة عن الواقع، قد تكون لها شعبية أكثر من أويحي نتيجة للمناورات والتحالفات، لكن الجزائر تعاني من أزمة فكرية وليست سياسية، ما يعني أن من سيقودها في المستقبل المنظور عليه أن يكون صاحب مشروع سياسي، مؤسس على رؤية فكرية خلاقة، وهو ما ظهر في الخطاب الطويل الذي ألقاه أحمد أويحي، في السادس عشر من يوليو الماضي في وهران، خلال إشرافه على افتتاح الجامعة الصيفية الـ17 للاتحاد العام للطلبة الجزائريين.

في تجربة أويحي الحياتية ما يؤهله لقيادة الجزائر سواء تعلق الأمر بمستواه الدراسي، فهو خريج المدرسة العليا للإدارة بالجزائر ومتحصل على شهادة الدراسات العليا في العلوم السياسية من جامعة الجزائر، أو من ناحية تقلده للعديد من المناصب ومعاصرته لكل رؤساء الجزائر، باستثناء الزعيم الراحل أحمد بن بلة.

عملياً، تتميز حياة أويحي السياسية بالثراء، فهو من السياسيين الجزائريين القلائل، الذين جمعوا بين المعايشة الطفولية للثورة، إذ لم يتجاوز عمره العاشرة عند الاستقلال، وبين التكوين الجامعي، وبين العمل السياسي، الذي لم ينقطع لفترة تجاوزت الأربعة عقود، قضى ما يقارب العقدين منها في العمل الدبلوماسي، بدأها بكاتب للشؤون الخارجية عام 1975، وفي 1981 عيّن مستشارا للشؤون الخارجية بسفارة الجزائر بأبيدجان، وفي 1984 أصبح مستشارا بالبعثة الجزائرية الدائمة لدى الأمم المتحدة. وفي 1988 أصبح ممثلا مساعدا بمجلس الأمن.

وبعدها بعام واحد، أي في 1989 أصبح مستشارا بديوان وزارة الشؤون الخارجية، ثم مدير عام "أفريقيا" بالإدارة المركزية لوزارة الشؤون الخارجية في 1990، وسفيرا لبلاده في مالي عام 1992، ثم كاتب دولة مكلف بالتعاون والشؤون المغاربية في 1993.

الإلمام بمكانة الجزائر

تعدُّ مسيرة أويحي السابقة المرحلة الأولى من حياته العملية، وفيها تمكّن ـ عبر العمل الدبلوماسي ـ من الإلمام بعلاقة الجزائر ومكانتها ودورها دوليا، وهي مرحلة تخصُّ العمل الخارجي للدولة الجزائرية. وقد واصل طريقه، ولكن هذه

> قادة الأحزاب الجزائرية الأخرى، الذين يعملون على تطويع الدولة ومؤسساتها لصالح أجندتهم ومصالحهم، يختلف أويحي عنهم جذريا، فقد طوع نفسه وحزبه لخدمة الدولة الجزائرية، وحين اقتضت المصلحة الوطنية أن يخدم البلاد في رحابتها بعيدا عن ضيق الأحزاب ومصالحها كان من السباقين لذلك

المرة صوب الداخل، إذ اختير مديرا لديوان الرئاسة في 1994، ومنذ ذلك التاريخ وإلى غاية اللحظة الراهنة لا يزال فاعلا في مؤسسات الدولة، ولم يتم استبعاده، لأن الدولة الجزائرية في حاجة إليه وإلا ما كان يعتلي منصب الحكومة ثلاث مرات في فترات مختلفة، مُرُوراً بمناصب أخرى مثل وزارة العدل، ووزير دولة ممثل شخصي لرئيس الجمهورية، وغير ذلك.

وعلى خلاف قادة الأحزاب الجزائرية الأخرى، التي تعمل على تطويع الدولة ومؤسساتها لصالح أجندتها ومصالحها، فإن أحمد أويحي طوّع نفسه وحزبه لخدمة الدولة الجزائرية، وحين اقتضت المصلحة الوطنية أن يخدم البلاد في رحابتها بعيدا عن ضيق الأحزاب ومصالحها كان من السبَّاقين لذلك.

بين السلطة والمعارضة

عرف أويحي بتمكنه من الانتقال بين السلطة والمعارضة، وفي الحالتين أثبت أنه رجل دولة من الطراز الأول. ولأنه على النحو السابق، يهاجم اليوم من قادة الأحزاب، ومن المنافسين له داخل السلطة.

الحملات التي تشنُّ ضدّه على خلفيّة أنه يسعى ليكون رئيسا للجزائر في المستقبل فاشلة لا ريب، ليس فقط لأن الوصول إلى أعلى هرم السلطة من حقّ كل الجزائريين، فما بالك بقائد مثل أحمد أويحي؟ ولكن لأنه أثبت خلال السنوات الماضية قدرته على صناعة الفعل السياسي داخل السلطة وخارجها، بما يخدم المصالح العليا لبلاده بصمت، أو بتصريحات قليلة ومقتضبة ومركزة، وبعمله الدؤوب وتجربته الثرية وقراءاته المتنوعة ورؤيته الواعدة، فقد يحقق طموحه في منصب الرئيس إن سعى إليه، وذاك حق مشروع.

أجدادنا الشيعة ونحن

❑ لا يكاد يمر أسبوع أو اثنان، دون أن يوجّه أويحي رسائله السياسية بهذا الاتجاه أو ذاك، لتشكل مجتمعة محددات سياسته الشخصية، ونهجه الخاص الذي يرى من خلاله الجزائر وتحولاتها الداخلية وتأثرها بالتطورات الجيوسياسية.

قال أويحي خلال كلمته في افتتاح الجامعة الصيفية للاتحاد العام للطلبة الجزائريين بوهران، معلقاً بصورة حذرة على الانقلاب الفاشل الذي وقع في تركيا مؤخراً، ورداً على الاحتفالات التي شهدتها الساحة الوطنية الجزائرية بسبب "التهليل الإخواني لأردوغان"، الذي رفعت صوتها به الأحزاب الإسلامية في الجزائر، إن دور تركيا كان متخاذلاً خلال الاستعمار الفرنسي للجزائر. وشدّد على أنه يجب على الجزائريين ألا ينسوا هذا.

وفتح أويحي النار على حديث المذاهب والطائفية، والشرخ الكبير الذي يعيشه العالم الإسلامي خلال هذه السنوات الدامية. ودعا الطلبة إلى الاعتزاز بتاريخ أجدادهم الذين رفعوا راية الإسلام في الأندلس بقيادة طارق بن زياد من قبيلة ولهاصة، وبنشر الإسلام في أعماق الصحراء وأفريقيا. محذراً من أن نيران الطائفية قد تصل إلى الجزائر، لأنها مرتبطة بمخططات خارجية. وقال أويحي إن "الشعب الجزائري شعب مسلم منذ 14 قرنا، وأجدادنا كانوا شيعة ورفعوا راية الشيعة، لكننا اليوم نحن مالكيون".

ولأنه في بيت الطلبة، لم ينس أويحي أن يستحضر أحد رموز الحركة الشبابية الجزائرية، الشاب حسني، ابن وهران، مستشهدا بأغنيته "ما زال كاين ليسبوار" (مازال هناك أمل). مذكراً الحاضرين بحفل الفنان الراحل في صيف 1993، وقال أويحي إن حفلاً كهذا لم يكن حينها للرقص، ولكنه كان من أجل بعث الأمل في تلك الفترة الصعبة.

وكرر نداءه لمصارحة الشعب وقول الحقيقة والابتعاد عن الديماغوجيا، منتقدا تصريحات بعض قادة المعارضة. حين ذكّر بالتضحيات الكبيرة التي بذلت لتحقيق الاستقلال بالقول "بفضل 1.5 مليون شهيد تحصلنا على الاستقلال. وليس بفضل ضابط أو مسؤول فرنسي كما يقول بعض الساسة"، رداً على تصريحات عمار سعداني، الأمين العام لجبهة التحرير الوطني.

إيران تعدم بطلها القومي لإخفاء أسرار مفاعلاتها

شهرام أميري

العالم النووي الإيراني وقصة شنق معلن

ثائر الزعزوع

❑ **باريس** – المكان هو مطار الخميني في العاصمة الإيرانية طهران. والزمان هو الخامس عشر من يوليو عام 2010، تحط طائرة تحمل على متنها عدداً من الركاب، يلوّح حسن قشقاوي نائب وزير الخارجية الإيراني آنذاك، لأحد الرجال والذي يتقدم بخطوات واثقة باتجاه صالة كبار الشخصيات.

عدد كبير من الصحافيين وعدسات المصورين تلاحق الرجل وهو يسير رافعاً شارة النصر، وراسماً على وجهه ابتسامة، ذلك الرجل ليس سوى شهرام أميري الذي قيل إنه عالم نووي إيراني، وإنه عاد حراً لأرض الوطن بعد أن تحرّر من الأسر.

هكذا أطلقت وسائل الإعلام الإيرانية العنان لخيالها لنسج أحداث تناسب تحويل حكاية أميري إلى فصل من فصول المقاومة والبطولة. لكن أميري قال للصحافيين "أنا ليست لي أيّ علاقة بالمواقع النووية. ولم أقم بأيّ أبحاث في المجال النووي. أنا باحث بسيط أعمل في جامعة مفتوحة أمام الجميع وليس فيها أيّ سرّ".

قيل إن شهرام أميري كان يؤدي مناسك العمرة في المملكة العربية السعودية في يونيو العام 2009 وبينما كان في طريقه للمسجد، تقدمت منه مجموعة من الرجال الذين لم يكونوا سوى عملاء للاستخبارات الأميركية، وقاموا باختطافه بمساعدة المخابرات السعودية، ثم وضعوه في طائرة حربية طارت به حتى أوصلته إلى الولايات المتحدة، وتحديداً إلى مدينة تاكسون في ولاية أريزونا.

> السيناتور الجمهوري الأميركي توم كاتن يؤكد خلال مقابلة له مع قناة سي بي إس الأميركية أن الرسائل التي قام بتسريبها موقع ويكليكس والخاصة بالمرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون عندما كانت تشغل منصب وزيرة خارجية بلادها يتضمن بعضها مراسلات لمساعديها ومستشاريها مع الجاسوس الإيراني شهرام أميري

تعرض أميري، حسب الرواية الإيرانية، في الشهرين الأولين، لأسوأ عمليات التعذيب الجسدي والمعنوي. أما هو فأضاف إلى تلك الرواية الكثير من التفاصيل البوليسية في كل مرة أتيح له أن يتحدث عن "معاناته" وأشهر المأساة الطويلة التي مرّ بها، كما قال في أول ظهور له بعد أشهر من اختفائه من خلال مقطع فيديو، مضيفاً "أخذوني إلى منزل يقع في مكان ما لم أعرفه، وأعطوني حقنة مخدر، وكان هناك محققون إسرائيليون حاضرين أثناء استجواب المخابرات الأميركية لي".

عرضت وسائل الإعلام الإيرانية مقطع الفيديو وبدأت حملتها على الولايات المتحدة، العدوّ الذي اختطف عالماً إيرانياً ليحصل منه على أسرار حساسة، التزمت واشنطن الصمت بداية، ثم قالت بأن أميري جاء إليها بمحض إرادته، وإن لا ضغوط مورست عليه. مضيفة أن الرجل تقدم بطلب لجوء إليها وإن طلبه قيد الدراسة حالياً.

وقد ظهر أميري بعدها في مقطع فيديو جديد ليعلن أنه لجأ إلى واشنطن لإتمام دراساته والحصول على الدكتوراه.

صناعة الوهم

عاد أميري ليظهر في مقطع فيديو آخر، قائلاً "أنا شهرام أميري مواطن من الجمهورية الإسلامية، قبل دقائق نجحت في الإفلات من قبضة عملاء استخبارات أميركيين في فيرجينيا". ومثلما فعلت في المرة السابقة، تولت وسائل الإعلام الإيرانية بث حديث مواطنها المخطوف، وعادت لتطالب واشنطن بالإفراج عنه.

قالت وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك هيلاري كلينتون "إن أميري حرّ في السفر وكان حراً في الحضور إلى الولايات المتحدة"، دون أن تشرح كيفية وصوله إلى بلادها على الأقل لتفنّد رواية الخطف الإيرانية.

لجأ أميري إلى السفارة الباكستانية في واشنطن باعتبارها تمثّل مصالح إيران في الولايات المتحدة إثر قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في أعقاب ما يعرف بالثورة الإسلامية في إيران وحادثة احتلال السفارة الأميركية في العاصمة طهران. أطلّ بعدها الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية رامين مهمان براست ليعلن في مؤتمر صحافي أنه "بفضل الجهود التي بذلتها الجمهورية الإسلامية وتعاون سفارة باكستان في واشنطن، غادر شهرام أميري الأراضي الأميركية متوجهاً إلى إيران عن طريق بلد ثالث".

وقال نائب وزير الخارجية الإيراني حسن قشقاوي "أميري سيعود إلى الوطن عن طريق قطر. سيكون المسؤولون والمواطنون في استقباله في مطار الإمام الخميني الدولي".

نقلت إيران وقتها تصريحات لرئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في البرلمان الإيراني علاء الدين بروجردي يطالب فيها الولايات المتحدة بالاعتذار من الشعب الإيراني بسبب اختطاف المواطن الإيراني شهرام أميري، معتبراً أن قضية اختطاف أميري هي واحدة من مئات العمليات المشابهة التي تقوم بها الولايات المتحدة في العالم الأمر الذي يعكس سياسة إرهاب الدولة التي تمارسها أميركا.

الجاسوس الخائن

وصل أميري إلى طهران وظلّ يعامل معاملة الأبطال. نفى أن تكون السلطات الإيرانية قد مارست أيّ ضغوط على عائلته لإجباره على العودة. وظهر على التلفزيون الحكومي ليروي حكايته وبطولاته.

لكن شهر العسل بينه وبين سلطات بلاده ما لبث أن انتهى بشكل مفاجئ، حين أعلن والده أن ولده قد اعتقل، واقتيد إلى مكان مجهول. بعد أشهر قالت السلطات الإيرانية إنها حكمت عليه بالسجن عشر سنوات بتهمة التخابر مع جهات أجنبية وتهديد الأمن القومي.

كان أميري قد نفى أيّ علاقة له من قريب أو من بعيد سواء بالبرنامج النووي أو بأيّ نشاط تقوم به الحكومة، مشيراً إلى أنه مجرد محقق في المجال النووي بجامعة "مالك أشتر" الصناعية، علماً أن الجامعة المذكورة تتبع مباشرة للحرس الثوري الإيراني، وهذا ما كان قد أكده في وقت سابق بروجردي نفسه، حين قال إن الأميركان كانوا يظنون في البداية أنهم قاموا "باصطياد شخص يمتلك معلومات نووية كبيرة قبل أن يتبين لهم لاحقاً أن الذي قاموا باختطافه هو باحث وأستاذ جامعي عادي وحينها أدركوا بأنهم ارتكبوا خطأً كبيراً".

لكن ما الذي حدث

بعد مغادرته الأراضي الأميركية قال مسؤول أميركي يوصف بالنافذ، إن الرّجل غيّر رأيه وعاد لبلاده تاركاً وراءه خمسة ملايين دولار تلقاها مقابل معلومات تتعلق بشأن ملف إيران النووي وصفها المسؤول الأميركي الذي رفض الكشف عن اسمه بأنها مفيدة.

وكانت شبكة التلفزيون الأميركية إيه بي سي قد أوردت بالمقابل نقلاً عن "مصادر في الإدارة الأميركية" قولها إن أميري منشق، وهو يتعاون مع وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية "سي آي إيه". وهو ما أكده من قبل أيضاً المتحدث باسم الخارجية الأ ا مير كية حين قال إن أميري موجود في الولايات المتحدة بمحض إرادته. بعد ستّة أشهر على اختفاء أميري، الذي قالت طهران وقتها إنها عملية اختطاف، تحدثت بعض وسائل الإعلام عن معلومات تشير إلى أن أميري قد تم تجنيده فعلاً من قبل الـ"سي آي إيه"، أثناء توجّهه في رحلة بحثية إلى مدينة فرانكفورت الألمانية، علما أنه كان مقربا من الوفد الإيراني المفاوض في الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وكان ذهابه إلى الأراضي السعودية بحجة أداء مناسك العمرة جزءاً من المخطط الذي تم الاتفاق عليه من أجل نقله إلى الولايات المتحدة الأميركية.

السيناتور الجمهوري الأميركي توم كاتن قال مؤخراً خلال مقابلة مع قناة سي بي إس الأميركية إن الرسائل التي قام بتسريبها موقع ويكليكس والخاصة بالمرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون عندما كانت تشغل منصب وزيرة خارجية بلادها يتضمن بعضها مراسلات لمساعديها ومستشاريها مع الجاسوس الإيراني شهرام أميري.

وقال كاتن إن تلك المراسلات التي تعود إلى العام 2010 تتضمن تفصيلات لمساعد كلينتون حول رأيها بالجاسوس أميري. فقد أرسل مستشار كلينتون جايك سوليفان في الثاني عشر من يوليو عام 2010، أي قبل يومين فقط من مغادرة أميري الأراضي الأميركية، رسالة إلكترونية يعلمها فيها بأن أميري ذهب إلى السفارة الباكستانية التي تستضيف مكتب رعاية المصالح الإيرانية في محاولة للعودة إلى إيران.

كتب سوليفان في الإيميل "يبدو أن الرجل توجه إلى مكتب رعاية المصالح لدولته، لأنه مستاء من طول الوقت المستغرق لتسهيل عودته".

لكن وسائل إعلام أميركية تنفي أن يكون لتسريب البريد الإلكتروني لكلينتون أيّ علاقة بإعدام شهرام أميري في إيران، لأن السلطات الإيرانية لم تصدق منذ البداية قصة اختطافه، وأنها قامت باستدراجه باستخدام الضغوط على عائلته التي كانت بين يدي السلطات في تلك الفترة.

أعدم شنقا

المكان مدينة كرمنشاه غربي إيران، والزمان السابع من أغسطس عام 2016، قالت والدة أميري "إن جثة ابنها أُعيدت إلى مسقط رأسه وبها علامات حبل حول الرقبة، تُظهر أنه أعدم شنقا".

وقد أكدت السلطات الإيرانية تنفيذ حكم الإعدام بحق أميري، بعدما أدين بتسريب معلومات خطيرة حول البرنامج النووي الإيراني لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية سي آي إيه. فيما اكتفى المتحدث باسم وزارة العدل الإيرانية غلام حسين محسني بالقول إن "أميري قام بإمداد العدوّ بمعلومات حساسة عن الجمهورية الإيرانية".

بعد قرابة ست سنوات من الاعتقال طوت إيران صفحة أميري بإعدامه. لكن لا أحد يعلم ماذا حدث داخل الأقبية المغلقة، وما هي المعلومات التي تقول طهران إنه قام تسريبها حول البرنامج النووي الإيراني لمن تسمّيهم بالعدو وهي التي نفت أصلاً أن يكون الرجل عالماً نووياً.

ويبدو أن تلك المعلومات ستظل أسراراً تضاف إلى حوادث اغتيال أربعة علماء نوويين إيرانيين ساهموا في تنفيذ برنامجها النووي. وقد اتهمت طهران وقتها إسرائيل والشيطان الأكبر أميركا بالوقوف وراء عمليات اغتيالهم دون أن تطلع رأيها العام على نتائج تحقيقاتها ولا أدلتها، فهو اتهام قد يكون مجازياً وربما يخفي حقائق قد تستغرق سنوات قبل أن تتكشف.

● المعلومات التي تتهم طهران أميري بتسريبها يبدو أنها ستظل أسرارا، بعد إعدامها له وهي التي استقبلته استقبال الأبطال في حادثة تضاف إلى حوادث اغتيال أربعة علماء نوويين إيرانيين ساهموا في تنفيذ برنامجها النووي. وقد اتهمت طهران وقتها إسرائيل وأميركا التي تسميها «الشيطان الأكبر» بالوقوف وراء عمليات اغتيالهم.

يابانية تولعت بالثقافة العربية تنضم لنادي النساء القويات

يوريكو كويكي
حاكمة طوكيو الأولى في التاريخ

عبدالله مكسور

❑ **لندن** – "أريد طوكيو يلمع فيها الجميع، من الأطفال إلى المسنين والمعاقين، لتصبح حياة الجميع أفضل. سأتبع سياسة غير مسبوقة، ستصبح طوكيو كما لم تروها من قبل".

بهذه الكلمات انطلقت اليابانية يوريكو كويكي مخاطبة الجماهير التي منحتها الأصوات في سباق الانتخابات على منصب عمدة العاصمة اليابانية طوكيو، لتكون بذلك المرأة الأولى في تاريخ البلاد التي تنجح بالوصول إلى هذا الكرسي الذي شابته صراعات سياسية حزبية أطاحت بالكثيرين قبلها بسبب اتهامات بالفساد.

> الاتجاه نحو الحملات الاجتماعية يمكن كويكي من كسب أصوات الملايين، تلك الحملات التي كانت أولاها في عام 2003، حين أطلقت دعوتها للمجتمع الياباني لارتداء ملابس أكثر تحررا في الصيف بهدف الحد من استخدام مكيفات الهواء ولمكافحة الاحتباس الحراري في اليابان. فضلا عن حملات أخرى كانت تعنى بالبيئة والنظافة والحفاظ على التراث الياباني

كويكي الغارقة بالشرق البعيد عن اليابان كما يقول عارفوها عن قرب، تتقن العربية بطلاقة متحدثيها، فالمرأة تخرجت من قسم علم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القاهرة العريقة في مصر. حيث وصلت إلى القاهرة مع مطلع سبعينات القرن العشرين لتتعلّم اللغة العربية بعد أن أقنعها والدها يوجيرو كويكي، الذي كان يشتغل بتجارة مواد الطاقة وخصوصاً البترول، بتعلم العربية نظراً لإيمانه بضرورة تعزيز العلاقات بين اليابان الفقيرة بالموارد الطبيعية مع الدول المنتجة للنفط بوصفها مركز إمداد مستقر من الذهب الأسود.

في الخامس عشر من العام 1952 وُلدت كويكي في مدينة آشيا في مقاطعة هيوغو غربي اليابان. درست في منطقتها، قبل أن تنتقل إلى جامعة غاكوين في عام 1971 لدراسة علم الاجتماع. وبعد عام واحد فقط قادها الطريق العلمي نحو مقاعد اللغة العربية لتدرسها عاما كاملا في الجامعة الأميركية في القاهرة، ثم انتظمت بدراسة علم الاجتماع في العاصمة المصرية حيث أنهت دراستها الأكاديمية هناك عام 1976.

إتقانها للعربية والإنكليزية إلى جانب لغتها الأم مكنها من الولوج إلى حقل الترجمة القانونية. فبرزت في هذا المجال عدة سنوات قبل أن تنتقل للعمل كمترجمة فورية ومذيعة في التلفزة الوطنية اليابانية، ومن هنا كان طريق الأضواء سالكاً لها حيث بدأ اسمها يتردد في الأوساط الشعبية وهذا ما دفعها إلى دخول اللعبة السياسية خاصة وأن نشأتها كانت في بيت حمل طابع الممازجة بين الاقتصاد والسياسة معاً.

كويكي في البرلمان

مع مطلع تسعينات القرن الماضي انضمت يوريكو كويكي إلى حزب اليابان الجديد ليتم انتخابها في عام 1992 عضواً في مجلس مستشاري الحزب الجديد ولتكون هذه العضوية بوابتها لدخول البرلمان الياباني لدورتين متتاليتين كممثلة عن مقاطعة هيوغو الثانية، وفي الانتخابات النيابية عام 2000 دخلت يوريكو في الحزب المحافظ ممثلة عن مقاطعة هيوغو6 لتنتقل بعد عامين فقط إلى الحزب الديمقراطي الليبرالي.

في تلك الفترة البرلمانية من حياة كويكي تنقلت بين العديد من المناصب الإدارية في لجان خاصة بالمجلس النيابي. لتبدأ بالاتجاه نحو الحملات الاجتماعية التي كانت أولها في عام 2003، حين أطلقت دعوتها للمجتمع الياباني لارتداء ملابس أكثر تحرراً في الصيف بهدف الحد من استخدام مكيفات الهواء ولمكافحة الاحتباس الحراري في اليابان. فضلاً عن حملات أخرى كانت تعنى بالبيئة والنظافة والحفاظ على التراث الياباني من خلال التمسك بالأزياء التقليدية التي تحرص كويكي دوماً على الظهور بها خلال اللقاءات العامة التي تجريها ممثلة لبلادها.

بعد الفترة البرلمانية دخلت الحياة السياسية لكويكي بعداً آخراً حين تولّت حقيبة وزارة البيئة في اليابان بعد ترشيح الحزب الليبرالي الديمقراطي لها وهو ذات الحزب الذي أوكل لها في وقت لاحق، حقيبة وزارة الدفاع في البلاد بعد الإطاحة بالوزير السابق بسبب فضيحة تنصّت.

وصفت يوريكو عملية تطويق تلك الفضيحة، حينها، بالمعركة الحقيقية. لتبدأ منذ أغسطس من العام 2007 مشروعها الخاص بوزارة الدفاع والقائم على تفعيل قوانين مكافحة الإرهاب في البلاد التي عانت ويلات الحرب العالمية الثانية.

في سنوات اشتغالها في العمل الحكومي الوزاري حرصت كويكي على زيارات منتظمة إلى أقطار الوطن العربي، حيث سعت إلى بناء جسور التواصل اعتماداً على إتقانها للغة العربية و اقتناعاً منها بضرورة تعميق العلاقات بين طوكيو وعواصم البلاد العربية.

الطريق نحو الرئاسة

في سبتمبر من عام 2008، أطلقت كويكي حملتها الانتخابية نحو رئاسة الحزب الديمقراطي الليبرالي الحرّ، وخطبت في كوادر الحزب بكلمات لم ينسها اليابانيون، حول استراتيجيتها التنموية للمجتمع الذي يعاني من الجمود، تلك الانتخابات التي أسفرت عن خسارتها لرئاسة الحزب وفوز تارو اسو بما يقارب من 351 صوتاً.

مع مطلع العام الحالي بدأت التجاذبات السياسية في العاصمة اليابانية تطفو على السطح، خاصة عقب الحديث عن فضائح مالية واختلاسات وتلاعبات تتعلق بتنظيم دورة الألعاب الأولمبية في طوكيو 2020، العاصفة السياسية في العاصمة طوكيو بدأت عقب استقالة عمدة المدينة ناوكي إينوزيتول في ديسمبر من عام 2013، ليخلفه ماسوزوي الذي استقال في يونيو، حزيران من هذا العام، بعد أن تم تداول شبهات بالفساد تحيط بولايته ومسؤوليته عن مخالفات تتعلق بتنظيم دورة الألعاب الأولمبية المقبلة في طوكيو.

في تلك الظروف وجدت كويكي الظروف مواتية لإعلان ترشحها لكرسي حاكم العاصمة طوكيو، ترشيح لم يلق دعماً وقبولا من الحزب الديمقراطي الليبرالي الحرّ الذي دعّم منافسها هيرويا ماسودا. مما دفعها لتخوض الانتخابات كمستقلة أمام 22 مرشحاً آخرين، ولتوصلها هذه المغامرة في نهاية المطاف إلى الفوز بأصوات الناخبين في الحادي والثلاثين من يوليو الماضي، ولتكون أول امرأة تعتلي هذا المنصب في تاريخ اليابان الضارب في التاريخ البعيد.

النتائج التي أظهرت فوز كويكي على أقرب منافسيها بنحو سبعمئة ألف صوت، وضعتها أمام ملفات عالقة وقضايا متنوعة. ربما يكون أبرزها تحديات الإشراف والتنفيذ لأولمبياد طوكيو 2020، التي تحوم حولها اتهامات بالرشوة تخضع للتحقيق في القضاء الفرنسي الذي يتولّى هذه القضية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن للملف أبعادا اقتصادية، حيث تضاعفت الكلفة الإجمالية لتنظيم البطولة الدولية ما يقارب ثلاث مرات للكلفة التقديرية المالية الأوليّة التي تم على أساسها الاعتماد الداخلي لترشيح العاصمة اليابانية التي تعاني أساساً من التعرض الدائم للتصدُّعات الزلزالية الجغرافية.

الملفات العالقة

كويكي اليوم أمام اقتصاد تملكه العاصمة طوكيو يعادل في قدرته المالية اقتصاد سنغافورة ويمثل خمس اقتصاد اليابان، هذه الملاءة المالية الكبيرة التي تشمل أكثر من 80 ألف مصنع تقوم بتشغيل أكثر من مليون ونصف مليون عامل، يعملون في صناعات عديدة أبرزها الطباعة والنشر وعالم الإلكترونيات، تحتاج إدارة ملفات الاقتصاد فيها على جبهات متعددة إلى خطط عديدة تتعلق بالتنمية الداخلية والاجتماعية والصحية والخدَمية والتعليمية التي أعلنت الحاكمة الجديدة بأنها ستسعى للتصدي لنقص مدارس الأطفال في المدينة، واختصرت كلماتها حين تم إعلان النتيجة بقطع وعد للناخبين بأنها ستتولى إدارة طوكيو بطريقة غير مسبوقة، وبأنّ العاصمة ستكون كما لم يرها أحد من قبل.

مدينة يقطنها مع ضواحيها ما يقارب ربع عدد سكان اليابان، تقع شرق البلاد عند نهاية خليج طوكيو الشمالي الغربي الممتد على سهل كانتو، لتكون بين نهر أيدو شمالاً وشرقاً ونهر تاما جنوباً، مُقسَّمة على 23 حيّاً، ولتمتد على أكبر رقعة منخفضة في البلاد حيث ترتفع فقط ما يقارب 24 متراً عن سطح البحر.

> إتقانها للعربية والإنكليزية إلى جانب لغتها الأم مكنها من الولوج إلى حقل الترجمة القانونية. فبرزت كويكي في هذا المجال عدة سنوات قبل أن تنتقل للعمل كمترجمة فورية ومذيعة في التلفزة الوطنية اليابانية، ومن هنا كان طريق الأضواء سالكا لها حيث بدأ اسمها يتردد في الأوساط الشعبية

العدد الهائل من السكّان في طوكيو يسبب تلوُّثاً بيئياً كبيراً، ويمثل هذا التلوث تحدِّياً إضافياً على طاولة الحاكمة الجديدة كويكي، خاصة وأن الأخيرة ضمّت في خطة ترشحها للانتخابات، بيانات تتعلق بتطوير السياحة في العاصمة التي تضم معالم تاريخية مثل القصر الإمبراطوري وبرج طوكيو والمعابد البوذية القديمة، التي يمثل معبدُ كانون التاريخي جوهرتها الفريدة إلى جانب المتاحف المتنوعة.

العرب بعيون يابانية

قبل فترة وجيزة صدر كتاب عن دار الجمل بنسخة عربية للمستعرب الياباني نوبواكي نوتوهارا حمل اسم "العرب بعيون يابانية". في فصوله العديدة قدَّم الكاتب سبراً للذات اليابانية التي يحملها في جيناته، في محاولة منه لإبراز آثار الثقافة العربية فيه.

لا شك أنّ كويكي اطّلعت على ذلك الكتاب بخاصة أنها تخرجت من الجامعة المصرية ذاتها التي درس فيها نوتوهارا الذي وصل بعد ما يقارب نصف قرن من دراسته للعرب بأن اكتشاف الثقافة العربية لا يتم من خلال الكتب، بل من خلال الاحتكاك المباشر مع المجتمعات التي تحمل قيَم وعمق الثقافة العربية العريقة.

وهذا بالضبط ما فعَلَته عمدة طوكيو الجديدة حيث حرصت خلال مسيرتها السياسية على رئاسة لجان عديدة لإدارة محاور الصداقة اليابانية مع أقطار عربية عديدة. وفي ذات الوقت اشتغلت خلال وجودها في البرلمان الياباني على إنجاز توأمة بين العديد من المُدن العربية والعاصمة اليابانية، ذلك أن التوأمة بين المدن في العالم مشروع عظيم يستحق الدراسة والاستفاضة والبحث لما يحمله من أبعاد حضارية وتاريخية وتكنولوجية في ذات الوقت.

اليوم في العام 2016 دخلت يوريكو كويكي التاريخ بوصفها المرأة الأولى التي تحكم طوكيو في تاريخ اليابان، فهل تستطيع أن تنجح يوما ما في تعزيز العلاقة التي تربطها بالعربية من خلال تنمية المجتمعات العربية وتعزيز الاتفاقات الكبرى بين مدينتها ومدن عربية كبرى لا تقل عراقة عن طوكيو؟

● كويكي الحريصة على التراث الياباني والثقافة العربية تواجه اليوم اقتصاداً تملكه العاصمة طوكيو يعادل في قدرته المالية اقتصاد سنغافورة و يمثّل خُمس اقتصاد اليابان، يشمل أكثر من 80 ألف مصنع تقوم بتشغيل أكثر من مليون و نصف عامل، بالإضافة إلى ملفات صعبة تتعلق باستضافة المدينة لأولمبياد 2020.

فنان تونسي حفرياته تهب الجمال جلالا

سامي بن عامر
رسام الأشياء بهذيان موسيقاها

فاروق يوسف

❑ **لندن** – من الصعب أن يرث رسام تونسي تجارب رسامي بلاده الطليعيين كلها. فتونس التي أدهشت الفنان السويسري بول كلي بضوء شمسها وباللون، كما لو أنه لم يتعرف على اللون من قبل كانت قد أنجبت في العصر الحديث سلالة رساميْن، توزعوا بطريقة عادلة بين التشخيص والتجريد ليحيطوا بما وهبته الطبيعة لبلادهم من جمال.

المحلق وراء عطر زهرته

من المؤكد أن سامي بن عامر قد اهتدى إلى سر ذلك الجمال. الطبيعة، ولا شيء آخر.

هناك ما يسرّ في لوحات ذلك الرسام، ما تقوله الطبيعة في لحظة هذيان لوني. علينا أن نعيد الانطباع إلى لحظة انفجاره الشعري. هذا رسام يهندس خطواته وفق إيقاع ساحر، يملي على الحواس إلهامه.

يرسم مشاهد طبيعية ولا يخونها حين يصل بها إلى خلاصاتها البصرية. "البحر قريب من صفاقس أما كان عليه أن يفكر بـ(تيرنر)؟ هذيان فرشاته ينقذه من الزخرفة، بمعادلاتها الرياضية التي تملأ أذنيه بنغم قادم من الأندلس. يُهرّب بن عامر من خلال رسومه لفائف قادمة من الماضي. لا يضعها في خزانته، بل يعرضها تحت الشمس لتتزود بلغات أبناء وبنات العم الذين رأيتهم في سوق صفاقس.

بن عامر هو وارث أساليب الرسم التونسي الحديث كلها. غير أن مغامرته الحقيقية تكمن في ذلك الاحتفال الصاخب بالحياة. احتفال يمزج الفن بالطبيعة، فترى الطبيعة تحلم من خلال الفن وترى الفن يتلمّس الطريق إلى جمالياته من خلال الطبيعة. مرآتان، كل واحدة منهما تعكس ما في الأخرى فلا تظهر إلا صورتها.

لعبة أجاد بن عامر نسج قواعدها ودرّب حواسه عليها.

> كتابه «الفنون الجميلة: الاصطلاح وموقعه من الفكر الحديث» يقول أشياء كثيرة عن الفن بوضوح في سياق خبرة عملية هي نتاج طريقة حديثة في التفكير في التفكير في الفن. وهو ما انعكس على تجربة سامي بن عامر في الرسم. فلا شيء في رسومه هو وليد الصدفة

الأشياء وإيقاعها

"ما يُرى وما لا يُرى هو الشيء نفسه" يقول باطمئنان وهو يعرف أنّ ما يراه من الطبيعة ليس الطبيعة كلها وما لا يراه من الرسم ليس الرسم كله. فهو حين يستعير الزهور من الطبيعة فإنه لا يمنع فرشاته من مطاردة عطر تلك الزهور. لذلك ليس من باب الخيال القول إن مَن ينظر إلى زهور بن عامر في إمكانه أن يشم عطرها.

ولد سامي بن عامر عام 1954 في صفاقس، التي هي بمثابة العاصمة الاقتصادية لتونس. درس الفنون التشكيلية في المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية والتعمير بتونس العاصمة. أكمل دراسته الفنية بباريس وحصل على شهادة الدكتوراه في الفنون التشكيلية، نظريا وتطبيقيا من جامعة باريس الأولى (بنتيون سوربون).

مارس بعدها تدريس الفن في المعهد العالي للفنون الجميلة بتونس، حيث قام بإدارة المعهد بين سنتي 2008 و2011. كان بن عامر ناشطا على مستوى نقابي، وهو ما أهله لكي يُنتخب أمينا عاما لاتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين لثلاث دورات متتالية، بدءا من 1999 وانتهاء بـ2004. لا يكتفي بملاحظات الرسام في ما يكتبه، بل يتخطّى ذلك إلى النظرية الجمالية، وهو ما جعل من كتاباته مرجعا مهما لفهم أصول وبنية ووظيفة الفن بناء على الخبرة العملية، وهو ما ميّزه عن معلّمي الفن القادمين من دراسة الفلسفة، وما أكثرهم في تونس.

كتابه "الفنون الجميلة: الاصطلاح وموقعه من الفكر الحديث" يقول أشياء كثيرة عن الفن بوضوح في سياق خبرة عملية هي نتاج طريقة حديثة في التفكير في الفن. وهو ما انعكس على تجربته في الرسم. فلا شيء في رسومه هو وليد الصدفة. فعل الرسم لدى هذا الرسام، وإن بدا للبعض كما لو أنه نوع من اللعب، هو في حقيقته فعل واع يسبقه الكثير من التفكير الذي تكون الصورة ثمرته.

ولأن الأمور في الفن ليست ميكانيكية كما ورد في الجملة السابقة فإن تلك الثمرة هي المادة التي يستخرجها الرسام من تقاطع عالمين. وعيه ولاوعيه، يقظته وأحلامه، الواقع وخياله باعتبارهما مؤثرين يصدران من الشيء نفسه. وفي كل الأحوال فإن رسوم بن عامر تتميز بصرامة مدرسية، يعبّر عنها ذلك الإيقاع الهذياني الذي يعينها على تجاوز الوصف، من غير أن تتخلى عن تأثيره على المتلقي. تصف تلك الرسوم أشياء واقعية كثيرة بعد أن تمررها من خلال شاشة الخيال. مادته الجاهزة الوحيدة، هي الزخرفة، لكنه لا يلجأ إليها إلا من أجل الثناء على خيال هندستها. لذلك تشرق رسومه بالموسيقى. أليست الموسيقى رياضيات.

> لغته الجمالية تتكون مما لا يحصى من المفردات. تعينه على اختراق عالم الكتابة بجمل ليست غامضة أو ملتبسة المعاني. فعالم بن عامر الذي يبدو كما لو أنه يتحرر مباشرة لحظة الرسم من قيوده السابقة، هو في حقيقته ليس ابن اللحظة

يقول "أواصل اليوم الإبحار في عناصر الكون لمزيد من الاستماع إلى سمفونيته، بالاعتماد على طاقة الحركة ولمعان الألوان ولاجسمية الفضاءات. أليس الكون كامنا فينا؟ أليست حركاتنا التي تحدث الطاقة وتهب الريح وتبثّ الحرارة، شاهدة على ذلك؟ من العضوي إلى اللاعضوي، من الصلب إلى السائل، من المادي إلى اللامادي، من الطاقة المتراكمة وتحت الأرضية إلى الحركة المتحررة والفضاءات الدينامية، من الداكن إلى المضيء، من المعتم إلى الشفاف، من الانطوائية إلى الانفتاح على الخارج، هكذا تندفع رسوماتي إلى خارج مستقبلي".

قليلون هم الرسامون الذين يمكن أن يصفوا تجربتهم في الرسم بمثل تلك الدقة وذلك الوضوح. لا مشكلة لدى بن عامر مع اللغة. لغته الجمالية التي تتكون مما لا يُحصى من المفردات تعينه على اختراق عالم الكتابة بجمل ليست غامضة أو ملتبسة المعاني. فعالمه الذي يبدو كما لو أنه يتحرر مباشرة لحظة الرسم من قيوده السابقة هو في حقيقته ليس ابن اللحظة. ما يبدو عفويا كان الرسام قد درسه بإمعان. يمكنني القول إن الطاقة التي تنبعث على شكل انفجارات لونية هي ما يختزنه الرسام من أفكار وذكريات ورؤى وتجارب واقعية وأحلام وصبابات ولحظات نزق مغامر وتوق إلى الذهاب إلى الحافات، حافات الفكر وحافات العاطفة.

يعرف الرسام أن لعبته خطرة، فهي تعبّر عن مسعاه لإزاحة المكان والزمان عن موقعهما واللعب بعين المتلقي، لكي لا أقول تخريبها من خلال الانحراف بها عن بداهة ما كانت رأته في أوقات سابقة. وهو ما يجعله يفيض في شرحه وهو يصف عالمه بما ينطوي عليه من تلاقيات غريبة، هي أساس ذلك الانسجام الذي تشرق به لوحاته.

ما يبقى يقوله الفن

حفرياته تتبعه أينما حلّ. حفريات معرفية وحفريات مادية على حدّ سواء. الرسام المولع بالتنقيب يقتفي أثرا لينصت إلى إيقاعه. في الأشكال التي صارت عبارة عن مأثورات مادية يجد ضالته التي تمزج عاطفته بالمكان. وقد يكون مشروعه الفني "برج منيف" الذي استطاع أن يختزله في فيلم فيديو قصير أشبه بواحدة من خلاصات عمره.

الحكاية تبدأ بذلك البرج الآيل للسقوط لتخترق سنوات عمر، حاول الرسام أن يجمع موادها التي صارت تختفي، مثلما يفعل رواة الحكايات الشعبية. صرخته من أجل المكان الذي يحيله إلى طفولته فتُحت أمامه طريق العودة إلى مملكة سعيدة، خُيّل إليه أنها أغلقت دونه أبوابها. يستعيد الرسام أدوات البيت والعمل في زمن، كانت فيه أبراج صفاقس تغمض عينيه على عظمتها.

ينقل بن عامر فعل الرسم من اللوحة المغلقة على ذاتها إلى المكان العمومي، بمواد مستعارة من ذلك المكان المهدد بالزوال.

"ما يبقى يقوله الفن"، تلك هي الخلاصة التي يسعى الرسام إلى أن يقاوم بها زوال الأمكنة. يراهن بن عامر على الفن، على قدرته على المقاومة، على قوته التي تحفظ للجمال هيبته وجلاله.

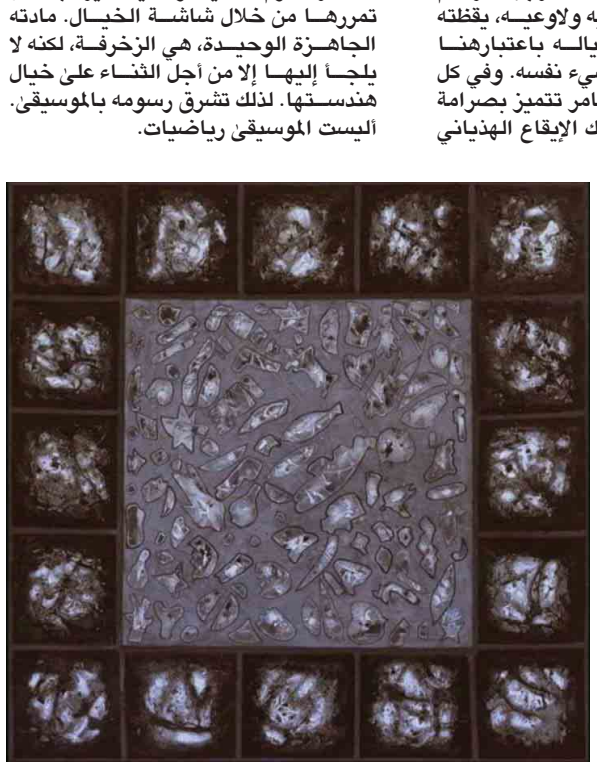

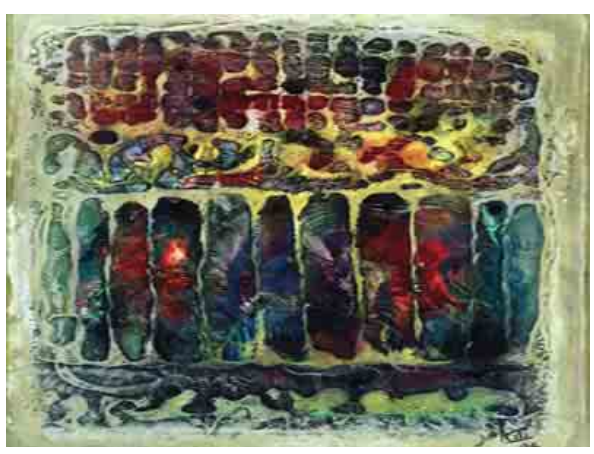

الإقامة في جغرافية المتاهة

الأسئلة الطائشة والفرد المغلول والجماعة التائهة

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❑ لا تتوقف الثقافة العربية عن طرح الأسئلة. وهي غالبا أسئلة كبيرة وباهظة، لكونها في كل مرة ومع كل نقاش فكري أو جمالي تطال مرة واحدة الأفكار والمصطلحات والقضايا ومشكلات جمة تتصل بالعملية الجمالية والمغامرة الفكرية والإبداعية من جهة، ومن جهة أخرى بمستويات تطال مجمل المنظومة المعرفية وعلاقة المجتمع بالثقافة والثقافة بالمجتمع والتاريخ.

ولكن هل ازدحام الأسئلة وتكدّسها وتحوّلها في ذاتها إلى مشكلة عويصة في حياة المثقفين والمبدعين، هو أمر طارئ على الثقافة العربية أم هو علة كامنة في صلب هذه الحركة لأسباب اجتماعية وتاريخية ماتزال لم تظهَّر جميعها، وتحتاج إلى درس متعمق من قبل المؤرخين والمفكرين وأهل القلم؟

> بدلا من أن يهتدي العرب إلى الأسئلة المفاتيح ومنها إلى مخارج تنقذهم أفرادا ومجتمعات، إذا بالمتاهة العربية تتسع أكثر فأكثر وتطبق عليهم بل وتتحول إلى جغرافيا أسطورية مقيمة داخل جغرافية الحاضر العربي

من تجاربنا في الحياة العربية نرى أن ما من نقاش في قضية مهما صغرت أو كانت جزئية، إلا ويقود إلى شبكة من الأسئلة الكبرى المعقدة المرجأة والمراوحة، كما الحياة العربية المرجأة والمراوحة في أمكنتها، بل والناكصة المتقهقرة إلى ما دون السؤال والجواب معا. وهو ما ظل يضع الجميع أمام جدار عال يسد السبيل على السائل والمتسائل ومعهما جمهور عريض من الأحياء المنتظرين عند فتحة النفق، إن لم يكونوا من الذين احتلوا لقرن من الزمن رقعة المتاهة العربية.

***

المثقف العربي أثبت أنه لا يستطيع أن يكون واقعياً أكثر مما تتيح له دراما الحياة اليومية المتفاقمة والتي تحمّله أكثر مما يحتمل كائن نسبة إلى قدراته.

لطالما كان السؤال عن الفرد وإمكاناته ودوره في المجتمع حاضرا في المناقشات التي ما برحت تدور في المتاهة الثقافية العربية. لكن هذه المناقشات كان مصيرها غالبا أن ترجئها وقائع داهمة سيرجئ النقاش فيها ومن حولها انهدام وتقهقر جديدان، إلى أن وجدنا أنفسنا أخيرا في قلب الحريق الكبير.

وبدلا من أن يهتدي العرب إلى الأسئلة المفاتيح ومنها إلى مخارج تنقذهم أفرادا ومجتمعات، إذا بالمتاهة العربية تتسع أكثر فأكثر وتطبق عليهم بل وتتحول إلى جغرافيا أسطورية مقيمة داخل جغرافية الحاضر العربي.

***

لن يهتدي العرب إلى أبواب المستقبل ما لم يهتدوا إلى أنفسهم أولا. ولن يهتدوا إلى أنفسهم كجماعة، قبل أن يهتدوا إلى قيمة الفرد منهم، ليس بوصفه واحداً في قطيع يرعاه راع يسوق القطيع حيثما شاء من وهم إلى وهم ومن كارثة إلى كارثة، ولكن بوصفه كينونة قائمة في ذاتها مصونة الحقوق صائنة للواجبات، في علاقة خلاقة للفرد بالجماعة تطلق طاقاته المبدعة، جاعلة من الفرد أسوة منظورة من بقية الأفراد. ولأجل ذلك لا مناص أمام سليلي الحضارة العربية من أن يستلهموا ما أنجزته الحضارات فلا تتقوقع جماعتهم ولا تنغلق على نفسها، لا سيما في حاضر عالمي متصارع نعم، لكنه متصل ومترابط ولا سبيل لازدهار جزء منه بعيداً عن بقية الأجزاء.

هنا في صورة الفرد وعلاقته بالمجتمع وصيرورة العلاقة بينهما يتراءى السؤال الأول وحجر الزاوية الرئيس في نهضة المجتمعات وخلاصها من النكوص والتقهقر الحضاريين.

فلنفكر بالفرد، فليتفكر الفرد بنفسه، فلنكن أفراداً أولاً قبل أن نكون جموعاً، أفراداً أحراراً ولهم كرامات، كيانات وكينونات ثمينة .وهو بالضرورة سؤال فاتح يقود إلى أسئلة العلاقة لهذا الفرد بالمجتمع والحضارة.

هذا هو السؤال الأكثر جوهرية، عندما يأتي زمن يركع فيه الفرد ويعطي رأسه ليصبح مجرد عنق تجزها السكين.

فلنردد إذن مع ابن عربي:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

الحياة الحرة أقوى من كل الأفكار، أعمق من كل ما نفكر فيه بينما نحن نعبر مفردين في الجموع .بينما نحن نعبر ويهيأ لنا واهمين أننا بتنا أنفسنا .ذلك يحدث بفعل تلقين لئيم يحتّم علينا أن نكون أسوياء مندرجين في السوية الاجتماعية، وقد خسرنا أغلى ما نملك أنواتنا العميقة؛ سجيّتنا الخالصة صاحبة الأنا الحرة .ذلك هو الخضوع، نخضع لهذا التقليد ونخضع لتلك الفكرة، ونصبح عبيداً في هيئة أحرار.

أن يعيش المرء حقاً، أن يكون فرداً وأن يظل عابراً حراً في العالم ..تلك هي القصيدة.

***

الشعر سؤال، والأسئلة هي المفاتيح. وما ولع الشاعر بالأسئلة سوى استجابة لمغامرة البحث عن اللغز. الشاعر المبتهج بغرابة وجوده هو الشاعر الذي يهتف :أنا جاهل كبير.

***

كل قصيدة يكتبها الشاعر، وهو فرد ثائر في جماعة، هي جملة في رسالة تودّع العالم بينما هي تستقبله، وإذا كان عمل الشاعر مع الكلمات هو عمل في المستقبل، ومع المستقبل، فإن فكرة الوداع نفسها تصبح التباساً كبيراً.

***

مهما كانت قصيدة الشاعرة موارَبة في قصدها، وفي زينتها ولعبها، فإن طاقة الحدس والخبرات الشعورية العميقة التي تبني الرؤى الشعرية إنما أورثت شاعرها منذ أقدم الأزمان الحس الفادح بالفقد، بالهارب من الزمن، والهارب من الجمالات، وإذا كان الشاعر هو ذلك الطفل المغترب أبداً في مرايا العالم، فإن أساه الحقيقي يبدأ عندما يكتشف أن شغفه الذي لم يتوقف في البحث عن خيالات طفولته يواجه بنصال الزمن والمواضعات اليومية المعادية لكل ما هو طفولي في مجتمعات لا تدين للسجيّة الإنسانية، ولا للفردي، أو للعفوي، بمقدار ما تدين للقناع الاجتماعي وأعماله الشريرة.

***

عندما تتجلى القصائد في خيالات أقرب إلى الكوابيس والهواجس منها إلى بستان الألوان الضاحكة في وجود ضاحك، إذ ذاك ننفذ من قشرة الوجود إلى لبّه نحو الأعمق في الكينونة.

والشعر الذي يطلع من الأعمق هو شعر جارح ويائس وحزين بالضرورة. وما قصائد الشعراء، التي يمكن للمستقبل أن يعتدّ بها، إلا نداءات يائسة، صرخات أناس في عالم يغرق. الشعر هو الصوت الحقيقة الذي اغتيل في الإنسان، في عالم مُرهق من ألم الخيانة والجريمة، فهل بقي له إلا أن يُضاء بالكوابيس؟

***

الشعر هو الشعلة الكونية والشعراء رسل أبطال في مارثون العالم .هو الروح الكونية الكبرى التي اقتسمها الشعراء وأضاؤوا بها وجودهم ولغاتهم .لذلك لا شعر وطنيا في كتاب الشعر .أسوأ الشعر هو الشعر الوطني.

مسألة قلما ناقشها الشعراء العرب، قلما بذلوا جهدا في تأملها وأعني بها علاقة الشعر بالفلسفة وصولا إلى ما يمكن أن نسميه فلسفة الشعر.

هل يمكن لنا أن نتخيل شعراً ذا قيمة عالية لا ينتج رؤاه ولا يبلور أسئلة من خلال علاقة الشعر بالرؤى الكونية، وهذه بالفلسفة؟ ولا يغامر ليكون له موقف من العالم والوجود.

القصيدة أولا وأخيراً موقف فلسفي من العالم، وموقف رؤيوي من الوجود .جدير بالشعراء أن يتساءلوا عن السبب الجوهري لهذا الإهمال في ثقافتنا الشعرية المعاصرة. أهو ضعف في الشعر، أم ضعف في ثقافة الشاعر ووعيه بظاهرة الشعر وبالصنيع الشعري وموقعه هو من هذه الكينونة المتصلة وأسئلتها الجوهرية.

يخيّل إليّ أن القصيدة التي لا تنتج رؤيا خاصة بها هي قصيدة ولدت بلا رأس. قصيدة مقطوعة الرأس.

***

منذ سنوات قال لي شاعر من جيلي كنت أحب شعره: ما هذا الشيء الغريب الذي تكتبه؟

قلت ما هو الغريب في ما أكتبه؟ قال هل تعتبره شعراً ؟ قلت ماذا تعتبره أنت؟ قال لا أعرف. قلت أنا أيضا لا أعرف!

وهكذا سكت بيننا كل كلام في الشعر، وكل سؤال.

ومذ ذاك وأنا ألجأ من عقد شعري جديد إلى عقد شعري أجد، متخذاً مكاني بين شعراء شباب وافقوا على اعتباري واحداً منهم .شعراء صار في وهمهم أن زمنهم لم يأت بعد. فلأكن إذن واحداً من هؤلاء.

***

يقول الشّاعر العاشق للكلمات أحبّ أن أكون شاعرا غير متحقّق لأعيش طويلا وأغامر على أمل أن« أتحقق»، وبمناسبة أنني أريد أن« أتحقّق»أخدع خاطف الأرواح وأرسل روحي على ميل آخر، لأعيش أكثر.

***

ويقول الشاعر: كنت أحبّ أن أموت شابا لتكون لي أسطورة ما، والآن، فلأمت متى ما متّ ولكن هل من أمل أن يبقى شعري نضراً ووسيما كشاب لعوب؟!

تلك أنانية من لم يمت شاباً .على أن كل شيء في النهاية هو عبث وجودي خالص، ما دمنا نحن الشعراء لا نكف عن الجري وراء ذلك الضوء الغريب الذي يشبه ضوء نجم محترق منذ ملايين السنوات يلمع لأعيننا المشدوهة ويختفي، ونحن نطارده ونسمّيه الشعر.

الشعر زائغ مراوغ متغير أبداً لا يقرّ على حال، ولا ينتهي إلى تجلٍ إلا ليفارق تلك الصورة ويتحول إلى تجلٍ آخر، ربما بحثا عن جوهر ما، ومعنى ما، إنما من دون صورة سبقت إليها العين.

لذلك فإن الشعر في العالم يأس خلاق؛ نبش وراء أمل ما يفضي بشاعره إلى يأس آخر. وقد يبدو ضربا من العبث.

«كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء»، كم أحب هذا السطر الشعري.

وبينما كثرة من النقاد تستدل به على البساطة الفاشلة والسذاجة لدى شاعر أعتبره من أطرف وأجمل أبيات الشعر العربي.

فلنتأمل مليا ومديدا، ولنتخيل الصورة والطلب الذي طلبه الشاعر من الصورة التي صوّر، وهو يصطاد صورته الشخصية بين صور من جلسوا. المفتاح هو في كأننا. التي تفتح أبواب الزمن لتكون صورة اللحظة، هي الصورة التي هربت، وها هو الشاعر يستعيدها.. في زمن مراوح. عاشها ورآها هاربة واستعادها، في كأننا. لم يقل إننا. ولكنه اقترح« كأننا» المخاتلة ..وليست الكاف هنا مجرد أداة تشبيه.

أولم ير كثيرون في هذا البيت الشعري ضرباً من العبث الذي لا يقول شيئاً.

***

هل الشاعر عبر التاريخ إلا فشل ذريع دائم في اصطياد الطريدة الكبرى؛ الجمال النهائي، أوليس هذا الفشل الرائع هو الذي ظلّ يحبل بالشعراء ويلدهم في كل عصر؟

أخيراً، ما سلف تأملات تصل الأسئلة ببعضها، الجارح منها واللطيف، وتنفتح بالشعر على السؤال الإنساني، فالشاعر الذي تحدّر إلينا من وادي عبقر، ليس نبياً في كهف، إنه مواطن في مدينة بوظيفة نبيٍّ .هو سارق النار الملعون، وهو راء، وصاحب سؤال.

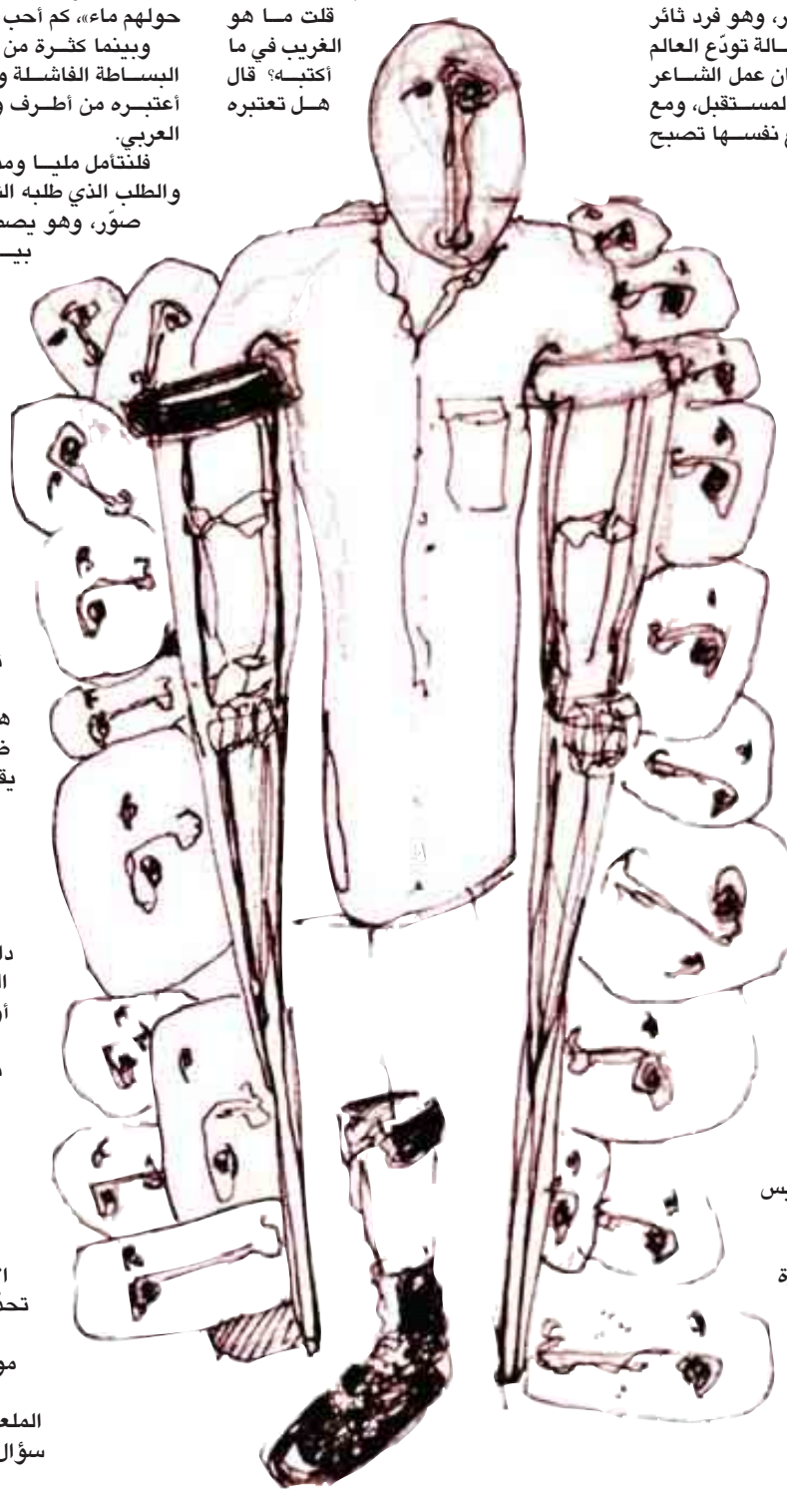

الجزائر التائهة

سعيد خطيبي
كاتب من الجزائر

❑ إلى غاية يونيو الماضي، كانت كلمة «استعمار» في الجزائر تطلق حصراً على الوجود الفرنسي، في البلد، والذي دام 132 عاماً (1830–1962)، لكن بدءاً من الخامس من يوليو الماضي، صارت هذه الكلمة يقصد بها الاحتلال الفرنسي، وكذا الوجود الأموي ثم العبّاسي في البلد، رغم أن تاريخ الأمويين والعبّاسيين، ووصولهم إلى الجزائر، يُدرّس للأطفال، في المرحلتين المتوسطة والثانوية، من منظور إيجابي، باعتباره «فتحاً»، ومرحلة ناصعة من تاريخ البلد، فكيف حصل هذا الانقلاب المفاجئ، في الموقف الرّسمي في الجزائر، في نعت الأمويين والعباسيين بالمستعمرين؟

بمناسبة عيد استقلال الجزائر الأخير (5 يونيو)، كتب الرّئيس عبدالعزيز بوتفليقة رسالة إلى الشّعب، نشرتها وكالة الأنباء الرّسمية، وجاء فيها «على شبيبتنا ألا تنسى ما تكبّده شعبنا من ويلات طوال 132 سنة (فترة الاحتلال الفرنسي)، تلك الويلات التي تمثّلت في المجازر ومحاولات إبادة أهلنا وتجريدهم من أراضيهم وتصميم على طمس ثقافتنا ومحو هويتنا وجعلنا في خبر كان.

أو ليس الأمر كذلك بالنسبة للأمويين والعباسيين. علينا أن نجعل أبناءنا على علم بممارسات الغطرسة الهمجية التي طالت أسلافهم كلما حاولوا كسر قيود الاستعمار، وقد بلغت حدّ نفي الآلاف منهم إلى ما وراء المحيطات».

هذه المرّة الأوّلى في تاريخ البلد، يضع فيها مسؤول الوجود الأموي ثم العباسي في بوتقة واحدة مع الوجود الفرنسي، ولسنا نعرف هل الأمر يتعلّق بمراجعة تاريخية، أم بخطأ سيتم تداركه قريباً؟ فالواقع الجزائري يتعامل مع الفرنسيين من جهة، والأمويين والعباسيين من جهة أخرى، بمكيالين مختلفين، ينظرون للجار الشّمالي من البحر الأبيض المتوسط كمستعمر حقيقي، ويتعاملون مع القادمين من «الشّرق» باعتبارهم حاملي رسالة دينية!

تاريخياً، تأخّر وصول الأمويين إلى ما يسمّى الجزائر حالياً حتى عام 701 ميلادية، أي تقريبا 40 سنة بعد تأسيس الخلافة، ولم تكن مهمتهم سهلة في مواجهة المقاومة المستميتة التي قادتها امرأة وهي الكاهنة أو ديهيا (664–701)، وسقطت في المعارك بين الطّرفين مئات الأرواح من الجنود وغير الجنود، قبل أن يواصل الأمويون طريقهم، من الجزائر إلى الأندلس، بقيادة قائد محلي أمازيغي هو طارق بن زياد، والشّيء الجديد الذي حمله الأمويون إلى الجزائر وشمال أفريقيا عموماً هو الإسلام، الذي يمثّل الآن واحدا من ثوابت الدّستور الجزائري، أفلا يتعارض هذا الأمر مع وصف الأمويين بالمستعمرين؟ وناب العباسيون عن الأمويين بداية من منتصف القرن الثامن، لكنهم لم يستقروا طويلا قبل ظهور الخوارج، ودخول البلاد مرحلة أخرى، لتتوالى لاحقاً الحركات الاستعمارية، من أسبان ثم عثمانيين، بدءًا من القرن السّادس عشر. وهنا سؤال آخر: لماذا لم يصف الرّئيس بوتفليقة الوجود العثماني في البلد بالاستعمار؟

المرجعيات التّاريخية تصف بالتّفاصيل فترتي الوجود الأموي والعباسي، في الجزائر، أو المغرب الأوسط، ولا تغفل عمّا حصل وقتها من فظاعات، من قتل وحرق وسبي، لكن كتب التّاريخ الرّسمية وشبه الرّسمية، في البلد، ظلّت منذ الاستقلال (1962) تنعت تلك المرحلة بـ«الفتح» وتارة أخرى بـ«الفتح الإسلامي»، وإعادة تسميتها اليوم بالاستعمار تستلزم الاعتراف بفضل ونضال القبائل الأمازيغية التي واجهت الجيوش الإسلامية، وعلى رأسهم الملكة الكاهنة، التي على أهميّتها تظلّ شخصية تاريخية مهمّشة في الجزائر، ينظر إليها بعين الرّيبة، وما تزال بعض الجماعات الإسلامية، لحدّ السّاعة، تصفها بأقبح الأوصاف وتتحامل عليها!

هنا إذن، يظهر الخلل في الرّسالة الأخيرة للرّئيس عبدالعزيز بوتفليقة للشّعب، والتي أثارت نقاشاً خافتاً، لكنه قلق، في الأوساط الثّقافية، فهل نعتبر كلماته اجتهاداً تاريخياً، وإعادة جادّة لتصحيح المسميات التّاريخية، أم هي مجرد خرجة ذاتية، وأن الرّئيس يفكر في إعادة كتابة التّاريخ على هواه، كما أعاد كتابة الدستور، ثم صحّحه بما يتوافق مع طموحاته السّياسية؟

تحطم الإناء الذي يجمعنا وصرنا في العراق إخوة أعداء

المشترك بين «قمر أبو غريب كان حزينا» و«شيوعيون وناصريون» في تجربة السجن

أعادتني هدية الصديق ضرغام الدباغ وهي كتابه "قمر أبو غريب كان حزيناً... وقائع سجن أبو غريب قسم الأحكام الخاصة 1987–2002"، أكثر من أربعة عقود إلى الوراء. يومها قرأت عدداً من الكتب التي صدرت وتضمنت يوميات السجون لسياسيين ومثقفين من الإخوان المسلمين والماركسيين في مصر وظل كتاب "شيوعيون وناصريون" لفتحي عبدالفتاح عالقا في ذهني من بين تلك الكتب لأن أغلبها كتب بقلم "السياسي" لا "المثقف". وحين يكتب السياسي يحول التجربة إلى صراع أيديولوجيات ويعمل كل ما بوسعه لتشويه صورة النظام الذي سجنه فيبتعد عن الموضوعية ويسقط في فخ النبرة الانتقامية، وكنت وأنا أقرأ كتاب ضرغام أحاول أن أقارن بينه وبين تلك الكتب وأنا على قناعة بأن المثقف لا يكتب تحت وطأة الشعور بالمظلومية، وإنما يعكس ثقافته فيما يقدمه للقارئ من تجارب تحت وطأة السجون والمعتقلات، فالكتابة تحت وطأة الشعور بالمظلومية تبعد الكاتب عن الموضوعية ولديّ العشرات من الأمثلة التي لا يتسع المجال لاستعراضها.

ليث الحمداني
كاتب من العراق

ضرغام مثقف من طراز خاص، فهو، بالرغم من كل ما مر به من ظروف، يدير اليوم مؤسسة ثقافية فردية، ويكتب ويترجم وينشر أبحاثاً مهمة عن مركزه "المركز العربي الألماني للبحوث والدراسات". وهو من كتاب موقع جريدة البلاد "البلاد دوت نت".

يهدي الكاتب كتابه إلى قائمة من رفاقه في مسيرة العمل السياسي فقدهم بين اغتيال وإعدام واستشهاد ومعارك قومية، أو تحت التعذيب في سجون رفاقهم. وهي لمسة وفاء تميز بها أبناء جيله من محترفي العمل السياسي من المثقفين، تلمس بوضوح في تلك القائمة مدى انسجام المجتمع العراقي الذي حوّله الاحتلال إلى مجتمع (مكونات)! فقد كان الظلم موزعا على كل الأطراف.

ما هو شعور مثقف حرم من زوجته وأولاده على مدى 16 عاما قضاها بين جدران سجن أبو غريب؟ يختصر الكاتب ذلك في مقدمة الكتاب حين يقول "لا أريد أن أشيد باحد، أفرادا أو جماعات، كما أنني لا أريد أن أدين أحدا كفرد. هممنا اليوم أكبر من ذلك بكثير.. بكثير جدا، وما شهدته بلادنا بعد الاحتلال يفوق أضعافا مضاعفة ما كان يحدث قبل ذلك. أريد القول، كفى للحكام والمحكومين كفى، فقد تحطم الإناء الذي يجمعنا وصرنا بفضل سوء تقديرنا للأشياء إخوة أعداء بعضنا، فلنرفع أنفسنا على احترام إرادة وفكر الغير، فليس سوى ذلك يجنبنا العذاب المستطير"، وهو هنا مثل المصري فتحي عبدالفتاح في "شيوعيون وناصريون". كان سجانوه يعملون على إطفاء عينيه بعلاج من طبيب فاشي، ولكنه قيّم التجربة بعيداً عن ذلك الألم، يضيف ضرغام لما قاله "كل تضحية هي رخيصة من أجل بلادنا وشعبنا".

شركاء الوطن

في تناوله لوقائع الاعتقال والمحاكمة والحكم، يروي محاولته الخروج من العراق بطريقة غير شرعية بعد أن أغلقت بوجهه السبل الشرعية، ومنع من السفر للالتحاق بعائلته في المانيا، وهو يؤكد "إنني لست معادياً لأحد بالمعنى الاشتراكي، ولكن ضمن هذا التيار تباعدت مواقفنا الفكرية والسياسية في مفردات وتفاصيل عديدة ابتدأت منذ عام 1963 واستمرت في التفاعل لغاية عام 1968، حتى غدت تناقضاً وتنافراً ثم تطورت إلى ملاحقات وتصفيات حتى طغت المفردات والتفاصيل لتصبح أولويات وشعارات رئيسية ثم تعاظم دور الفرد في مصير الشعارات الرئيسية". وهو حاله كحال فتحي عبدالفتاح في تجربته مع الناصرية في مصر. المشكلة في الأنظمة أنها تعتبر كل من يخالفها الرأي عدوّها اللدود حتى وإن كان يلتقي معها في العديد من مفردات فكرها السياسي. يصوّر ضرغام ساعات الاعتقال والتسفير، كما يشير إلى أعمال الضرب العشوائية والسباب والشتم من الحراس، وهو نفسه الأسلوب الذي كان يسميه فتحي عبدالفتاح في كتابه أنف الذكر "الاستقبال". هناك مشتركات بين هؤلاء الذين يقول عنهم "إن هؤلاء الحراس قد اعتادوا على الإهانة أخذاً وعطاءً، وفقدوا حتى الكثير من صفات البشر المحترمين".

ويضيف "كنت في كثير من الحالات أتطلع بعمق إلى وجوه القائمين بعملية الضرب والتعذيب وحفلات الشتائم والإهانات وأسال نفسي: ترى هل كنا وإياهم نسير في شوارع هذه المدينة؟ وهل يضمنا جميعا هذا الوطن الحبيب؟".

في التحقيق يشير إلى محاولة المحقق أن يبدو مثقفاً، وتلك حالة مر بها الكثير من معتقلي الرأي، حين يعجز المحقق أمام المثقف يحاول أن "يتثاقف" براسه؛ أيضا قضية شتم التنظيم الذي كان ينتمي له المثقف المعتقل حالة متوارثة في أنظمة الحكم في دول "شرق المتوسط" التي صورها الراحل عبدالرحمن منيف في روايته التي تحمل هذا الاسم، يتوصل المحقق مع الكاتب إلى مشروع مقال عثر عليه بين أوراقه عنوانه "النداء الأخير قبل غرق السفينة"، وهو (أي مشروع المقال) أحاله إلى محكمة الثورة بالاستناد إلى المادة 208 المتعلقة بالمطبوعات والكتابات، فالمحققون في تلك الدول يكادون يدخلون إلى عقلك ليروا كيف تفكر ويحاكمونك على هذا الأساس، فمشروع مقال لم ينشر يقذف بكاتبه إلى محكمة الثورة.

أحكام جاهزة

يعرف الكاتب هنا أن مصيره سوف يحسم في مكان آخر بعيدا عن قاعة المحكمة "إن مصيري سوف يحسم في مكان آخر، ولا قيمة البتّة لآراء هؤلاء المحققين". يحددها أيضا أنها تسديد حسابات قديمة بعضها يعود إلى سنة 1964 وما بعدها، يتساءل بعد أن يستعرض "حفل الاستقبال" الحافل بالضرب والشتيمة "الآن وبعد بلاغة تلك الأعمال، ذلك أتساءل: أليس هذا مدعاة للخجل؟ ترى ألا يخجل اليوم الذين قاموا بتلك الأعمال؟ ترى هل يصعب علينا إلى هذه الدرجة أن نخلق مؤسسات محترمة يقوم عليها رجال محترمون؟". الكاتب يبدو هنا وكأنه غير مصدّق بأن السلطات تسعى لتدمير معنويات مخالفيها في العراق، وأن الإهانة والضرب والسرقة هي أدوات تلك العملية المشينة. تلك المعتقل الذي يوضع فيه المعتقلون قبل عرضهم على "محكمة الثورة" سيئة الصيت، هو الآخر أحد أدوات تدمير نفسية المخالفين في العراق من حيث قساوته. يصف الكاتب المعتقل مؤكداً بأنه محطة أخرى من محطات تدمير المعتقلين بدنياً ونفسياً، أما محكمة الثورة فهو يقول عنها "كانت محاكمة قصيرة.. محاكمة فريدة من نوعها، المتهم فيها مدان قبل بدء المحكمة". ويضيف "إنها محاكمة بدون شاهد، ومع ذلك أعدم في نهايتها أربعة رجال، ترى هل يمكن محو هذه الواقعة من الذاكرة؟"، ويستطرد فيكتب بعقل "المتاضل المثقف" لا عقل صاحب "المظلومية"، وهناك فرق شاسع بين الاثنين، فهو هنا لا يبحث عن ثار شخصي، ولكنه يبحث عن الوطن "إذا كان نسيانها خدمة للوطن سنمحوها لأجل العراق".

يضيف الكاتب "بدا لي أن الأحكام جاهزة وليس للقاضي رئيس المحكمة إلا شرف تلاوتها"، وما أشبه الليلة بالبارحة، وما أكثر الأحكام التي يكون دور القاضي فيها صورياً في الدول العربية والعالم الثالث عموماً.

أبو غريب.. الثقب الأسود للمآسي في العراق

يؤكد الكاتب "أنا كنت مستعداً أتمّ الاستعداد لمثل هذا اليوم الذي طالما تخيلته، وقد رضيت به دوماً فأنت عندما تريد التغيير، لا بد أن تضع في حسابك رد فعل الآخرين".

وصف أبو غريب

الوصف الذي يقدمه الكاتب لقاطع الإعدام في سجن "أبو غريب" يعتبر وحده دراسة تفند ما يذهب إليه البعض من أن الدكتاتورية استهدفت في ظلمها فئة أو طائفة واحدة، يصف كيف ينتظر 280 شخصا من مختلف شرائح المجتمع العراقي حكم الإعدام في تلك الزنزانات، وحين تبدأ "حفلات" الإعدام وتنطلق حناجر المعتقلين من وراء القضبان، يوزّع الحراس الموت على المعتقلين داخل زنزاناتهم. "كان وصول المحكومين بالإعدام مستمرا من محكمة الثورة بمعدل عشرة أفراد كمعدل أسبوعي، وربما أقل من ذلك أو أكثر بقليل". يضيف "عندما دخلت قاطع الإعدام بتاريخ 14\6\1987 كان الموجود فيها يناهز الـ280، وعندما غادرت قسم الإعدام بعد 38 يوماً بسبب تخفيض عقوبتي إلى السجن المؤبد، كان الموجود الكلي هو 301 بما في ذلك نحن الأربعة المحكومون الذين خفضوا حكمنا إلى المؤبد".

يحاول الكاتب أن يحدّد نسباً لاتجاهات المحكومين بالإعدام موزّعة على كل الفئات العراقية السياسية والدينية والعرقية من العراقيين فيشير إلى أن:

- 35 بالمئة أكراد من مختلف الاتجاهات والقضايا.
- 35 بالمئة حركات إسلامية، حزب الدعوة وحزب العمل الإسلامي والإخوان المسلمون.
- 10 بالمئة شيوعيون وبعث يساري.
- 10 بالمئة تهجم، تجاوز حدود، قضايا متفرقة.
- 10 بالمئة تجسس، فساد إداري، عملوات.

ويستمر في محاولته الدراسية الهامة ليؤشر توزيع الأفراد حسب المستوى الدراسي. ويضيف "أشير إلى أن موجود قاطع الإعدام الذي كان في ذروته عام 1985 بدأ يتراجع تدريجياً، ثم انخفض بشدة نهاية الحرب العراقية–الإيرانية، لكنه ما لبث أن بدأ يتصاعد مرة أخرى مع احداث الكويت، ولكنه لم يصل إلى معدل الثمانينات، وقد علمت من مصادر موثوقة أن معدل الإعدام كان 100 فرد سنوياً حتى عام 1995 وربما تصاعد في عام 1997 ولكنه انخفض مرة أخرى ويبقى كذلك طيلة التسعينات".

قسم الإعدام

يقول ضرغام "قسم الإعدام تجربة رهيبة ليس فقط بسبب الموت المرتقب مع كل طرقة باب، لا سيما يومي الأحد والأربعاء، وتلك أيام التنفيذ بالنسبة إلى السياسيين بصفة عامة، ولكن لم تكن قاعدة نهائية، بل بسبب صرامة النظام والإغلاق المستمر لأبواب الزنزانات. وكانت النوافذ قد أغلقت بصفائح مثبتة بإحكام على الشباك سجني"، هكذا إذن حتى بعد صدور الحكم والسجن هناك من يراقب ويكتب تقارير للحاكم. ويشير الكاتب إلى قرارات العفو وهو يعلم أن اسمه قد حذف من إحدى قوائم إطلاق السراح "بعد أن كانت الأحكام تضيق بالنزلاء، لم يبق سوى 98 منهم، أطلق سراح أكثر من 6000 نزيل، ترى أيّ وحشة وكآبة تفرض نفسها على من استثناهم العفو؟ تلك مشاعر رهيبة لا يمكن وصفها بسهولة، كما والباب الثاني كان يسود الصمت المطبق وإذان انتظار المحكومين بالإعدام تتطلع إلى المامور الذي يتوسط ممر القاعة في الطابق الأسفل وبيده ورقة بيضاء رفعها وشرع بقراءة الأسماء. كانت الأسماء أربعة هي اسمي ومن معي في القضية. وبعد أن أتمّ قراءة الأسماء استدرك قائلاً وبسرعة: إنها.. إنها مرسوم تخفيض، وبالطبع يحقّ لكثيرين عدم تصديق قصة التخفيض، إلا أنني كنت لا أفكر بشيء، ولا يصدق ذلك الكثير من النزلاء بمن فيهم أخي وسام المشمول بالتخفيض طبعاً. وقفنا في الردهة بين البابين، وقرأ علينا أحدهم مرسوم التخفيض من العقوبة إلى الحبس المؤبد، ومن لم يصدق منا نحن الأربعة لأن نزلاء القسم لا يسمعون ولا يشاهدون شيئاً، أتيقن الآن أن شبح الموت ابتعد... نعم إن سيف الموت الحاد ابتعد، ولكن دون أن يختفي نهائياً فبيننا وبين الموت ورقة".

الأحكام الخاصة

وينتقل الكاتب ليصف قسم الأحكام الخاصة، فيقدم دراسة سريعة ومركزة يشير فيها إلى حالات أخرى "كنت أعلم بدقة أنني تحت المراقبة الدقيقة جداً طيلة مدة سجني"، هكذا إذن حتى بعد صدور الحكم والسجن هناك من يراقب ويكتب تقارير للحاكم. ويشير الكاتب إلى قرارات العفو في حياته "كانت الساعة قد قاربت الثانية من بعد ظهر يوم 13 أيار 1987 الأربعاء، أي إن كل المؤشرات المشؤومة متوفرة، الأربعاء هو يوم مشؤوم في عائلتنا، اليوم 13 الساعة الثانية عندما سمع صوت المفتاح يدور في قسم الإعدام، الباب الأول لا يمكن التعبير عنها، وفيما كانت الأقسام تضيق بالنزلاء، وإذا بها سمعات تصبح فارغة إلا من بعض الرجال الذين يتعيّن عليهم تحمّل مثل هذه التجربة النادرة في القسوة، فقد حدث عام 1988 أن أفرغت القاعة التي كنت فيها ولم يبقَ فيها سوى ثلاثة أفراد. وتكرر الأمر عام 1991 و1995 حيث أفرغ السجن تقريباً".

ويضيف ضرغام "ترى ما الذي يعين الإنسان على احتمال ثقل تجربة قاسية كهذه، وخاصة إذا تكررت أكثر من مرة؟"، ويستطرد الكاتب ليقدم موجزاً سريعاً عن الإصلاح السياسي والسلطة، ثم يعود ليقدم عرضاً لحالات النزلاء حسب الفئات العمرية والمهن والقوميات وكذلك المحافظات، ويستعرض عدد السجون مشيراً إلى أنها كانت معروفة للرأي العام. ويروي عن بعض حالات الإعدام "إن كل الذين صدرت بحقهم أحكام إعدام نفذت شنقاً في سجن أبو غريب قسم الإحكام الطويلة عدا ثلاث حالات تحديداً..

مجموعة من ضباط الحرس الجمهوري عددهم 15 ضابطا يقودهم الرائد صطام الجبوري أعدموا رمياً بالرصاص في أحد أرجاء سجن أبو غريب.

الشاب عودة ديوان والي من محافظة العمارة، وكان هذا الشاب قد تناول أقطاب النظام بالشتائم. وقد تم تنفيذ الإعدام به رمياً بالرصاص بعد محكمة علنية في ساحة قسم الأحكام الخاصة أمام أنظار الكثير من النزلاء".

رصاصة في الرأس

إعدام الفريق كامل ساجت الجنابي، وهو من خيرة ضباط الجيش العراقي وأبطاله. الغريب في إعدام هذا الضابط أنه جاء إلى السجن يحمل مظروفاً إلى مدير سجن أبو غريب، وكان ما يزال بإمرة العقيد حسن العامري الذي فوجئ عندما فتح المظروف أن به أمرا يحتم على مدير سجن أبو غريب إعدام هذا الضابط شنقاً وعلى الفور، فاتصل هذا المدير بالجهات العليا، وهو ربما يعلم أن لا جدوى من محاولاته، وأخبرهم أن الوقت متأخر (حوالي الساعة السادسة بعد الظهر وان الموظف المكلف بالإعدام غير موجود)، فقيل له "الا يحمل أحدكم مسدسا؟! فرد بالإيجاب: طبعا، قالوا له: إذن اطلق رصاصة على رأس هذا الضابط، وأغلقوا الهاتف بوجهه".

يقول الكاتب "اليوم وبعد كل ما حدث وجرى وما تحمّلنا من خسائر في الأرواح والممتلكات والأصدقاء والرفاق، بل وما جرى لبلادنا من تخريب، سواء بأيدينا أو على أيدي أعدائنا، نريد أن نكف مسلسل الرعب، فلا منفعة ولا فائدة لأحد من هذه الجرائم، وكل ربح مفترض هو مجزّء وهم، وكل خسارة ناتجة لا تعوض، وكل ذلك مؤلم، مؤلم بلا حدود، وليس بوسعي صياغة جملة تصف هذا الألم، لست بتصوري أن اتهجم على جهة ما، كما أنني لست غاضبا إلى درجة الجنون، إني أحاول ان الملم الجراح وأداويها فحسب، واقبل ببعض الربح عوضا عن الخسارة الكاملة".

> الغريب في إعدام هذا الضابط أنه جاء إلى السجن يحمل مظروفاً إلى مدير سجن أبو غريب، وكان ما يزال بإمرة العقيد حسن العامري الذي فوجئ عندما فتح المظروف أن به أمرا يحتم على مدير سجن أبو غريب إعدام هذا الضابط شنقاً وعلى الفور

السؤال المتأخر

السؤال هو: هل من مستمع عاقل لهذا النداء النزيه الذي يوجهه الكاتب؟ هل من حاكم عربي استفاد من تجربة سابقيه فحافظ على الوطن من خلال محافظته على كرامة مواطنيه؟ ما حدث في العراق بعد الاحتلال يفوق بمئات المرات ما عاشه الكاتب، "عندما استعرض اليوم وجوه العشرات، بل المئات من الذين أعدموا أو اغتيلوا أو الذين امضوا زهرة شبابهم في السجون وخسروا أعمارهم ومنهم أنا... الم تكن هناك وسيلة نقيم فيها تفاهما عوضاً عن الصراع الدامي الوحشي؟ ترى لماذا نحن قادرون على التفاهم حتى مع الأعداء؟ ولكننا غير قادرين على التفاهم فيما بيننا؟ ترى لماذا نضع خطوطا دموية سوداء بيننا بعضنا، في حين لا نقيم إلا خطوطا وردية مع أجانب نعلم علم اليقين انهم لا يريدون الخير لنا كعراقيين؟

إنني أريد أن أقول إنني أفهم وأتفهم تماماً أن الألم قد يدفع الإنسان إلى الجنون وإنه قد يقدم على رد فعل ما، لا يأتيه وهو في كامل وعيه، نعم انا أعلم اننا قد تعرضنا لآلام مبرحة ولكن:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة
وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام".

هكذا يقدم الكاتب الحالة التي وصل إليها بعد سنين السجن والتعذيب والإبعاد عن الأسرة، ولكن هل هناك من يستفيد من التجربة المرة؟

فضاء إنساني

في الفصول التالية من الكتاب يقدّم الكاتب دراسات مكثفة عن العلاقات الاجتماعية والطعام والموقف الغذائي والعلاجي والمواجهة والماء والكهرباء والاستحمام والمرافق الصحية والتدفئة والتبريد، ثم ينتقل إلى العلاقات السياسية والسجناء من حيث انتمائهم السياسي والعلاقات بين النزلاء والمافيا والتنظيمات والأخبار، ويفرد فصلا للعلاقة بين السجين والسجّان التي يصفها بانها مواجهة مستمرة مع تساؤل يجيب عليه: ماذا يريد السجين؟ وماذا يريد السجّان؟ ويتحدث في الفصل عن نظم إدارة السجن والقمع، ثم يفرد الفصل الأخير للحياة الثقافية داخل السجن، القراءة والكتابة والترجمة والتلفزيون والراديو والرياضة والشعائر الدينية والندوات والمحاضرات والتدريس. ويختم الكتاب بفصل خاص عن إطلاق سراحه والظروف والخلفيات التي رافقته، ثم مغادرته العراق. وهو في هذا الفصل يعكس صورة مشتتة، يخرج إلى الحرية ثم يستقبله مطبه وهو يغادر العراق، ويمر في طريقه إلى عمان بالقرب من سجن أبو غريب، "كان الظلام يلفه والقمر لا يبزغ فوق أبو غريب، ربما هو حزين أو في حالة إضراب عن البزوغ".

إنّ كل فصل من فصول كتاب ضرغام الدباغ يستحق دراسة وحده، ولكن السؤال الذي يظل قائما: من يستفيد من تلك التجارب؟ الجهة التي دفع البعض حياتهم ثمنا لها، ودفع ضرغام وغيره أجمل سنوات العمر وراء القضبان لا لشيء إلا لخلاف في الرأي.

مازال العراق أسوأ مما كان بكثير

ما زال دولاب الدم يدور.

نحن شعب لا يقرأ ولا يتعلم، تحكمنا سلطة لا تتعظ من دروس الماضي.

* ضرغام عبدالله الدباغ مثقف عراقي شغل مواقع متقدمة في حزب البعث اليساري "جماعة صلاح جديد".

تحية لمجلة «الجديد»

وهجة نور في حلكة الظلام العربي

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق تقيم في عمان

بزغت مجلة "الجديد" كمثل بقعة ضوء وهّاجة وسط عتمة مشهدنا الثقافي المحبط في زمن غياب العديد من المجلات الثقافية العربية التي كانت معالم تنويرية بارزة في المشهد الثقافي العربي، تهاوى بعضها وتوقف البعض الآخر، صدرت مجلة "الجديد" في مرحلة حرجة تعيشها المنطقة العربية التي نهضت فيها الأصولية الدينية والطائفية وتشظت الهويات والأوطان وتشرد مواطنوها بين جهات الدنيا بحثا عن خلاص فردي حين صار الخلاص الجماعي من مستحيلات هذا الزمان.

ضاعت أفقنا مجلة "الجديد" بجمالها وجرأتها شأن جميع المغامرات الثقافية التي تصنع فرقا بين ما سبقها وما يتبع ظهورها المميز فهي جديدة تماما في أسلوب عملها وطروحاتها متخطية الصيغ التقليدية الجامدة في سياقات عمل المجلات الثقافية المعروفة التي غالبا ما كانت تعمد إلى التجميع لا التكليف المبرمج في إعداد موادها ، فظهرت "الجديد" بإخراج فني يميزها عن المجلات الأخرى معززة إهابها الفني الجميل بأداء فكري غير مسبوق، واستقبلها القراء مثل جرعة رحيق عذبة فهم الظامئون لثقافة متحررة تتحرى الابتكار والجدّة وتتجاوز ركود الواقع الثقافي العربي وجمود المطبوعات الخاضعة لأمزجة الأنظمة المولّة وتحفظاتها وانتكاساتها واختفائها المباغت.

منذ عددها الأول توجت "الجديد" غلافها بعبارتها الواعدة (فكرٌ حرٌ وإبداعٌ جديدٌ) وحققت وعودها وهي تبوح بهويتها الثقافية: مجلة متفردة انطلقت في اكتمال نضجها لحظة ولادتها واحتلت موقعا مميزا في ذاكرة قرائها وذائقة الباحثين عن فكر حر تنويري وجريء في فترة تجاذبات سياسية حرجة بالغة الخطورة وتوجهت نحو مجتمعات عصفت بها أعاصير التجهيل وتسيّدت فيها النزعات الغرائزية والإرادات المتصارعة لتصنع الجديد صدعا ضوئيا في المشهد الثقافي.

نجحت "الجديد" خلال مسيرة عام ونصف العام من عمرها وتسعة عشر عددا غنيا من أعدادها أن تكون قارب نجاة حقيقيا للثقافة المغايرة وتغدو ملاذا للكتّاب والمفكرين العرب بعد أن عزّت الملاذات الحارسة للفكر العربي والثقافة الرصينة والإبداع الجديد، وحرصت "الجديد" على تقديم ملفاتها اللافتة وسجالاتها الفكرية المعمقة ودراساتها الأصيلة لقضايا الثقافة العربية الراهنة. فكم مجلة من طرازها نحتاج كزوارق نجاة لنغير بحر الظلام المتلاطم الذي يهددنا بابتلاع الذاكرة وتعطيل العقل وترويج التفاهة؟

نقرأ في افتتاحية العدد الأول "تولد مجلة "الجديد" لتلمّ بالجديد المغاير والمبتكر، أدبا وفكرا، وتكون منبره، لذا تبقيه يتيما، تعطيه الفرصة التي يستحقها المستقبل من الحاضر، وتؤدي له واجب الجديد نحو الآجدّ. لن تكون "الجديد" منبراً يعيد القديم، أو يبشر به، وإنما هي منبر يدعو إلى استئناف المغامرة الفكرية والجمالية الخلاقة التي بدأتها الثقافة العربية في أبهى لحظاتها، وأكثرها عصفاً فكرياً، ونزوعاً جمالياً نحو التجديد والابتكار خلال قرن من مسارات الحياة الفكرية والأدبية العربية، ومن خلال احتضان الكتابة الجديدة والتسليح بحرية الكاتب وجراة البحث، وحوار الأفكار". وكما بشرت "الجديد" في افتتاحيتها الأولى وكما وعدت قراءها ها هي تستأنف المغامرة الفكرية والجمالية الخلاقة التي تراجعت وأصابها الوهن في مشهدنا الثقافي العربي بخاصة بعد الحوادث المفصلية في المنطقة العربية وزلزال التحولات التراجيدية المتتابعة، بدءا باحتلال العراق الذي أدت موجاته الارتدادية العنيفة إلى تهاوي أنظمة عربية عديدة، وظهور ما سمّي بثورات الربيع العربي، هذا الاحتلال الذي أفضى إلى تفتيت المجتمع إلى كيانات وجماعات متناحرة متقوقعة في غيتوهات تسوّرها الكراهية والخوف واستنهاض الهويات الفرعية وتفضيلها على المواطنة كهوية جامعة، مثلما أدى ذلك الاحتلال إلى تشظي الثقافة الوطنية والتصادم العنيف بين عناصرها وأجّج تنازع الإرادات التي استيقظت غرائزها الأولية واستنهضت

> مجلة متفردة انطلقت في اكتمال نضجها لحظة ولادتها واحتلت موقعا مميزا في ذاكرة قرائها ونائقة الباحثين عن فكر حر تنويري وجريء في فترة تجاذبات سياسية حرجة بالغة الخطورة

ثقافة العنف وإقصاء ثقافة الآخر المختلف وترويج النزوعات الماضوية. وبدت صورة الثقافة العربية غاية في التشوّش والإحباط بخاصة بعد اختفاء العديد من المنابر الثقافية التي تأسست في ستينات القرن الماضي ونمت في سبعيناته وتهاوى بعضها في ثمانيناته وقاوم البعض منها في العقود اللاحقة.. غير أن صدور مجلة "الجديد" بنهجها الممتاز وتواصلها مع مستجدات الواقع، أحيا الآمال بنهوض الثقافة المتجددة والفكر الحي ضمن حاضنة حرة تكرس حرية الرأي وتقدم الإبداع المختلف وتضيء المناهات المعتمة المسكوت عنها وتكشف النقاب عن المعضلات الراهنة والتعقيدات الناجمة عن الحراك السياسي المشوّش.

تحية لمجلة "الجديد" وهي تواصل إبهارنا في كل عدد من أعدادها بمستواها الفكري والجمالي الرفيع وطروحاتها الرصينة وجرأتها واحتفائها بالإبداع المختلف والفنون المبتكرة. تحية لها وهي تتخطى بنجاحها وتنوعها وثراء موضوعاتها وجدّتها كل التوقعات وتمضي في مغامرتها الشجاعة وسط حقول ملغومة بالضدية والرفض العنيف لكل فكر حر.

الترجمة إبداع ولا علاقة لها بالخيانة

تحسين الخطيب: النقد المبدع لا يصلح له إلا الشعراء

العديد من الاتهامات تُكال إلى ترجمة الشعر على وجه الخصوص، دون غيره من التراجم، إلى الحد الذي دفع البعض إلى تبني دعوات لمنع ترجمته لما فيها من خيانة للنص الأصلي ولروح القصيدة الأصلية والتي لا يمكن الاحتفاظ بها في الترجمة وفق رأيهم، فخلافًا للترجمات الأدبية الأخرى، تحتاج ترجمة الشعر إلى جهد أكبر للحفاظ على الإيقاعات والأصوات الباطنية في القصيدة. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الشاعر والمترجم الأردني تحسين الخطيب حول الشعر وترجمته.

حنان عقيل
كاتبة من مصر

تحسين الخطيب: شاعر ومترجم شعر وصاحب سؤال نقدي

❑ يبدأ تحسين الخطيب حديثه عن الترجمة والشعر وخصوصية كل عالم منهما لديه قائلاً "لا تعارض البتّة بين كتابة الشعر وترجمته. فلا خصوصيّة معيّنة، بالنسبة إليّ، تفصل بين كتابة الشعر وترجمته. فأنت حين تترجم قصيدة ما، فإنّك لا تنقل معاني الكلمات فحسب، وإنما تحاول -بكل ما أوتيت من قوّة- كتابة أنفاس الشاعر والدخول إلى دفاتر أحواله ومقامات وجوده أيضًا. تحاول، في التأرجح على الخيوط الرفيعة للكلمات، بعصا التوازن، ألا تسقط في الهاوية، هاوية أن تفقد الترجمة روحها، وتصبح أيّ شيء آخر. أنت الشاعر، في الترجمة، وليس المؤلف الأصلي. فإن كان القارئ هو شاعر آخر -كما يقول أكتافيو باس- فإنني أستطيع القول إنّ كل ترجمة 'جيّدة' هي قصيدة أخرى".

يرى الشاعر الإنكليزي بيرسي شيلي أن "ترجمة الشعر محاولة عقيمة تماما، مثل نقل زهرة بنفسج من تربة أنبتتها إلى زهرية".. ويوضح الخطيب رأيه في المسألة قائلا "في الحقيقة، ينطلق شيلي -في موقفه من ترجمة الشعر- من النظرة الرومانسيّة للقصيدة بوصفها وحيًا إلهيًا. ولكننا، حين نحدّق مليًا في عبارته، وحين نعرف بأنه قد مارس الترجمة الشعريّة بنفسه، نعرف المقصد العميق الذي يذهب إليه، لا يستطيع ترجمة الشعر ترجمةً بديعة إلّا من كان شاعرًا، وليس بالضرورة أن يكون 'الشاعر' هو ذاك الذي يمارس كتابة الشعر".

إشكاليات الترجمة

العديد من الإشكاليات لا تنفصل عن ترجمة الشعر، فالكثير من اتهامات خيانة النص الأصلي توجّه لهذا النوع من الترجمة على وجه الخصوص، وهنا يلفت الخطيب إلى أنه لا توجد سبل مثلى للترجمة، ولا ينبغي أن توجد، فالنظر إلى الترجمة بوصفها "خيانة" للنص الأصلي، أسطورة من أساطير الترجمة الشائعة. لا تفقد القصيدة الجيّدة شيئًا من "شعريّتها" في الترجمة البتّة. قد تفقد بعض سماتها الشكلية، كالموسيقى، على سبيل المثال؛ ولكنّ الصور الشعريّة الجميلة (وهذا هو الأساس) لا تضيع في الترجمة الجيّدة.

وعن معايير وحدود مفهوم "الأمانة" في ترجمة النص الشعري، يقول الخطيب "ربّما أكثر معايير الأمانة في الترجمة هو الحفاظ على أسلوب الكاتب -سواء في ترجمة الشعر، أو الرواية، أو أيّ عمل آخر- مهما بدا هذا الأسلوب 'غريبًا' عمّا ألفه الترجمان، أو بعيدًا عن 'الذائقة' اللغويّة السائدة ، و'أعرافها'، في اللغة التي ينقل إليها. فكثير من الترجمانات، عندنا، يلجأون إلى ما يسمّى بـ'التّعريب' في محاولة قسرية منهم إلى إيجاد نسخة 'عربيّة' من النص الأصلي، وهذا لعمري 'خيانة' ما بعدها خيانة. فكثيرًا ما نسمع عبارة 'لو كان المؤلف يكتب باللغة العربيّة، فكيف كان سيقول هذه العبارة أو تلك' تبريرًا لتشويه أسلوب الكاتب من طرف الترجمان. لذا، بالنسبة إليّ على الأقل، يتوجب على الترجمان أن يحافظ على أسلوب الكاتب، بأقصى درجات الأمانة الواجبة، أن يحافظ على خصوصيّته اللغوية، على طريقته في بناء الجمل، وعلى أسلوبه في التقديم والتأخير، على أسلوبه في خلخلة البنى اللغوية السائدة في لغته التي يكتب بها، إن كان يلجأ إلى ذلك، حتى وإن كان الكاتب يلجأ، مثلًا، إلى التخلي عن علامات الترقيم أو إلى بناء جمل طويلة بلا أيّ تسلسل منطقي بينها، يتوجب على الترجمان 'الأمين' أن يحافظ على ذلك، لا أن يلجأ بحجة 'التعريب' إلى نسف أسلوب الكاتب متعذرًا بأن ذلك لا 'يحتمل' في اللغة العربيّة التي ينقل إليها".

ويستطرد "يتوجب عليه أن يحافظ على ذلك كلّه، فالكتابة أسلوب لغويّ أوّلا وأخيرًا، حتى وإن بدت هذه 'المحافظة'، بالنسبة إلى الذائقة السائدة، 'ركيكة' أو 'غير مقبولة'. فقد يصبح ما هو 'ركيك' و 'غير مقبول'، اليومَ، جزلًا ومقبولًا في قادم السنين".

ويتابع الخطيب قائلا "من معايير الأمانة، أيضًا، ألّا يعمد الترجمان إلى حذف أيّ شيء من عمل المؤلف الأصليّ بحجة التقاليد والأعراف السائدة؛ فإما أن ينقل الكتاب كلّه، أو يتم التخلي عن ذلك. الترجمة الأمينة لا تكون انتقائيّة البتّة، ولا تسقط معاييرها الأخلاقيّة على النصّ المترجم أبدًا، ولا تنزع البتّة إلى 'مسخ' أسلوب الكاتب مأخوذة بخرافة 'التعريب'. فلا تكمن 'أمانة' الترجمان في حدود نقل المعاني فحسب، وإنما في موقفه من اللغة.

وفيما يتعلق بالصعوبات التي تواجهه في ترجمة الشعر، ومعاييره في اختيار نصوص بعينها لترجمتها، يقول الشاعر الأردني "لا أستطيع ترجمة الشعر الذي لا أحبّه. علاقاتي بالنصوص علاقة عشق بالدرجة الأولى. أكثر صعوبة تواجهني في الترجمة تتعلق بالقدرة على إيجاد 'أجمل الكلمات في أجمل نسَق'. لذا، فإنني لا أبحث عن معاني الكلمات فحسب، بل أبحث عن أجمل المعاني لهذه الكلمات؛ ساعيًا- وفق ما أستطيع- إلى العثور على أجمل نسَق. أنجح أحيانًا، وأخفق في أحيان أخرى. ولكنني أظل أشتغل وأشتغل حتى أصل إلى ما أصبو إليه. فالترجمة، أيضًا، صنعة ككتابة الشعر نفسه".

خطاب القصيدة

وانتقالًا للحديث عن الطُرق المثلى لقراءة القصيدة، يبيّن ضيفنا أن كل من يعتقد بوجود طريقة "مثلى" لقراءة القصيدة -أيّ قصيدة- أو يسعى إلى فرض ذلك، هو واهمٌ. فالقصيدة الجيّدة -على حدّ قول تي. إس. إليوت- تُخاطب قبل أن تُفهَم. الشعر الجيّد يدلّ على نفسه بنفسه، ويحدث تأثيره القويّ في نفس القارئ على الفور. لا يحتاج القارئ الجيّد للشعر؛ القارئ اللصيق، إلى أدنى مشقّة تذكر في معرفة القصيدة البارعة من النظرة الأولى.

ويضيف الخطيب "في الحقيقة، إن أكثر ما يشوّه 'جماليّات' القراءة هي القوالب الجاهزة. أنت لا تستطيع أن تقرّر سلفًا بأنك ستقارب هذه القصيدة أو تلك -منذ البداية- وفق نزعة تفكيكيّة، أو بنيويّة، على سبيل المثال؛ أو بأنك ستقوم بتلك القراءة وفق 'جدول' محدّد. وممّا يدعو للأسف أن كثيرًا من النقّاد، لدينا، يقومون بهذا الفعل؛ ولهذا السبب، فإننا نجد بأنّ النقد الرائج للشعر -وللأدب عمومًا- في عالمنا العربيّ، نقد جافّ، لا روح فيه، يجعل القارئ ينفر من الشعر ويبتعد عنه. إنني حين أقرأ نقدًا في الشعر لأكتافيو باس أو تشارلز سيميك أو روبرت بلاي -على سبيل المثال- فإنني أقرأ، في المقام الأول، لغةً نقديّة باذخة كأنها الشعر في حدّ ذاته؛ حتى بتّ على قناعة شخصيّة بأنّ النقد المبدع لا يصلح له إلّا الشعراء".

ويشير الخطيب إلى أنه لا وقت معيّن للقصيدة، ولا طقس لديه لاستدعائها. هي تأتي من تلقاء نفسها، ومن ثم يشتغل عليها. "الصنعة" ضروريّة في الشعر؛ ولكنها تالية على "الشرارة" الأولى، وليست سابقة عليها.

وعن مصادره في كتابة الشعر يقول الخطيب "أنا إجمالًا مفتون باللغة الباذخة، ولذلك أجد نفسي دائمًا أقرأ في الكتب السماوية (القرآن والتوراة والإنجيل) فهي، بالنسبة إليّ، خلاصة اللغة. أقرأ فيها دائمًا، بحثًا عن الشعريّ فيها؛ عن الإيقاعات الهادرة، والصور التي تحبس الأنفاس. كما أنني 'مدمن' على القراءة في معاجم اللغة العربية القديمة. فثمة شعريّة عظيمة ثاوية هناك. أستطيع القول بأنني أميل إلى قراءة النصوص اللغوية الباذخة أكثر من غيرها. حتى في الشعر، فإنني أجد نفسي ميّالة إلى 'اللغة العالية' أكثر من ميلها إلى الصور الشعرية. أكثر ما أمقته هو 'الثرثرة الشعريّة'. وللأسف فإن كثيرًا ممن يكتبون قصيدة 'التفاصيل اليوميّة' هذه الأيام، يبتعدون عن اللغة، ظنًا منهم بأنّ القصيدة هي صورة فحسب. فقصائد يانيس ريتسوس -أعظم من كتب هذا النوع من القصائد- هي قصائد لغة في المقام الأول، قبل أن تكون قصيدة صور شعريّة".

ويلفت الخطيب إلى أن الشاعر الحقّ لا يظل حبيس برجه العاجيّ، بعيدًا عن الواقع الذي يعيش فيه. فالشعراء -كما وصفهم شيلي- هم المُشرّعون الحقيقيّون.

ترجمة خجولة

وعن راهن الشعر وترجماته في الوطن العربي، يشير الخطيب إلى أن ترجمة الشعر في الوطن العربيّ خجولة. فأغلب دور النشر تعزف عن نشر الشعر المترجم بحجّة أنه لا يباع. لذا، نرى غالبية المترجمين يهرعون نحو الرواية، لأنها مطلب الناشرين. ففي عالم يتحكّم فيه التجّار الجشعون، لا مكان للشعر.

ويرى الخطيب أن ترجمة نص شعري لا تقل صعوبة عن صناعة نص من العدم؛ فكلاهما واحد برأيه؛ فالترجمة خلق من عدم. فكما أسلفت؛ القصيدة النهائيّة، في الترجمة، هي من صنع المترجم، إنها قصيدته هو.

وردًا على سؤالنا له عن دور الترجمة في خلق تفاعل حضاري وبناء الجسور بين الثقافات، يجيب الخطيب "أنا شخصيًا لا أومن بالأدوار. فأنت حين تترجم نصًا ما، فإنك تترجمه لأنك تحبّه في المقام الأول، وليس لدور محتمل يمكن أن يلعبه هذا النص أو ذاك. ولكن، نعم، تساهم الترجمة الجيّدة في أن 'نُطل' على ثقافات الشعوب المختلفة، وتجعلنا نتفاعل 'جماليًا' -بشكل أو بآخر- مع هذه الثقافات، ولكنّ الترجمة، وحدها، لا تكفي لهذا التفاعل. فكيف نستطيع أن نمدّ جسورًا 'حقيقيّة' مع الثقافات الأخرى المنفتحة على الإنسانيّة جميعها، فيما نحن غارقون في مستنقعات التطرف والتكفير والانغلاق؟ هل نستطيع أن 'نتفاعل' مع تلك الثقافات التي تعلي من قيمة الإنسان وتنتصر لقيم العدالة والحريّة، ونحن لا نزال قابعين في كهوف ذواتنا المتورّمة التي لا تعرف سوى المصالح الضيّقة والرقص على الحبال؟ هل نستطيع أن نتفاعل، بشكل حقيقيّ، مع الفكر الإنسانيّ والطغاة جاثمون على صدورنا في كل مكان؟".

> لا توجد سبل مثلى للترجمة، ولا ينبغي أن توجد، فالنظر إلى الترجمة بوصفها «خيانة» للنص الأصلي، أسطورة من أساطير الترجمة الشائعة. لا تفقد القصيدة الجيدة شيئًا من «شعريتها» في الترجمة البتة. قد تفقد بعض سماتها الشكلية، كالموسيقى، على سبيل المثال؛ ولكن الصور الشعرية الجميلة (وهذا هو الأساس) لا تضيع في الترجمة الجيدة

آدم الأدبي

نور الدين محقق
كاتب من المغرب

❑ من هو الكاتب الحقيقي الذي ينجو من الوقوع في عملية التناص. الكاتب الحقيقي يقرأ، يحول، يبدع، فكيف ينجو من تأثيرات الآخرين؟ لا يمكن له ذلك. فقط عليه أن يقرأ وينسى، ويترك فاصلا بين ما يقرأ وبين ما يكتب. أبو الطيب المتنبي، وليم شكسبير، موليير، غارسيا ماركيز، هاروكي موراكامي، أمبرتو إيكو واللائحة طويلة، تأسست كتاباتهم على ظاهرة التناص، لكنه ذلك التناص التحويلي القوي بلغة الباحث الفرنسي لورون جيني نفسه، وليس ذلك التناص البسيط حيث يقع الحافر على الحافر. هنا على النقد الأدبي أن يعرف كيف يستنبط الأمور. وهُنا يجب أن تأخذ القراءة الفعلية بُعدَها العميق. والقراءة العميقة ليست بالضرورة تلك التي تُنجز عن الكتب لحظة صدورها، فتلك تهدف إلى مجرد التعريف بهذه الكتب. القراءة العميقة تتطلب صبراً، وهي إلى هذا وذلك إبداع مشروط بمنهج صريح أو ضمني. كما أنّ الكتب حين تَصدر، تأخذُ مسافة زمن كي يسري دمها في المشهد الثقافي، وأن تجد مكانها فيه. طبعا يختلف الأمر من كتاب إلى آخر، لكن الفعل في العمق يبقى واحداً.

حينَ كتب ستيفان مالارمي، كما يُشير إلى ذلك لورون جيني في دراسته الطويلة "استراتيجية الشكل"، وهي دراسة خصصها بالكامل للتعريف بنظرية التناص، إلى أنّ كل الكتب تحتوي بشكل أو بآخر على اندماج لبعض الأقوال المعدودة المهمة، فإنّه كان يشير إلى ظاهرة التناص التي لا تخلو منها أيّ كتابة. فليس ثمة من" آدم أدبي" كما يخبرنا خورخي لويس بورخيس.

هكذا يحضر التناصُ في كل الكتابات الأدبية وغيرها طبعا، وأحيانا يحضر بدءاً من العناوين، عناوين الكتب. فكثيرة هي الكتب التي تتناص عناوينها مع كتب سابقة عليها، أو مع بعض المقالات الأدبية التي كُتبت قبلها، أو في بعض الأحيان، نجد أنّ هذه العناوين تُؤخذ انطلاقا من متن كتابي معيّن، دون أن تتم الإشارة إلى ذلك.

وهو أمر يكاد يدفع إلى لعبة الالتباس بين اعتبار هذه العملية هي مجرد تناص ثقافي أو هي عملية أدبية غير محددة المعالم. وحتى لو اعتبرنا الأمر بالفعل كذلك، فحتى هذه العملية المبهمة تعتبر نوعا من التناص إذا تمت عملية الاشتغال عليها، ولم تكن عبارة عن نقل النص بحذافيره.

في عملية العناوين هاته، نجد كثيرا من الأمثلة الدالة على ذلك. فقد كتب أمبرتو إيكو روايته الشهيرة "اسم الوردة" وهو يعلم بأنّ هناك رواية معروفة سابقة عليها تكاد تحمل نفس العنوان، وهي "رواية الوردة" للكاتب الفرنسي غيوم دو لوريس. وهي من الروايات المؤسسة في الأدب الفرنسي السردي.

وذلك بالرغم من أنّ لا علاقة تجمع بين الروايتين إن على صعيد الموضوعات المطروحة، وإن على مستوى البناء الروائي الكلي، وعلماً أن أمبرتو إيكو ظلّ هنا في هذه الرواية، وفي كلّ كتاباته الروائية منها والفكرية على حد سواء، يتوافق مع نظرته إلى مفهوم الكتابة التي يجعلها منفتحة على التراث الثقافي الإنساني برمّته قديمه وحديثه. وهو أمر جعله يحظى باحترام الأوساط الثقافية في العالم كله، وأحد الفاعلين الكبار المتميزين فيه.

أما في الأدب العربي الحديث والمعاصر، فنجد أن بعضاً من العناوين سواء المتعلقة بالدواوين الشعرية أو بالمؤلفات الروائية تتشابه بشكل تام أو جزئي، ويكون هذا التشابه تارة مقصوداً ومُشتغلاً عليه ومبرّرا فنيا، وتارة أخرى يكاد يكون بشكل غير مفكّر فيه، بحيث لا تتم أيّ إشارة إليه من لدن مؤلف الكتاب. وهو ما يُشوّش على عملية التلقي ويقف عائقا في وجه تحققها على الوجه المطلوب. وبالتالي فهو يطرح أكثر من سؤال على مصداقية الكتابة في حدا ذاتها وإبداعيتها في المجال الثقافي بوجه عام.

الدون جوان الإسلامي

مسرحية طوق الحمامة للمغربي عبدالله شقرون

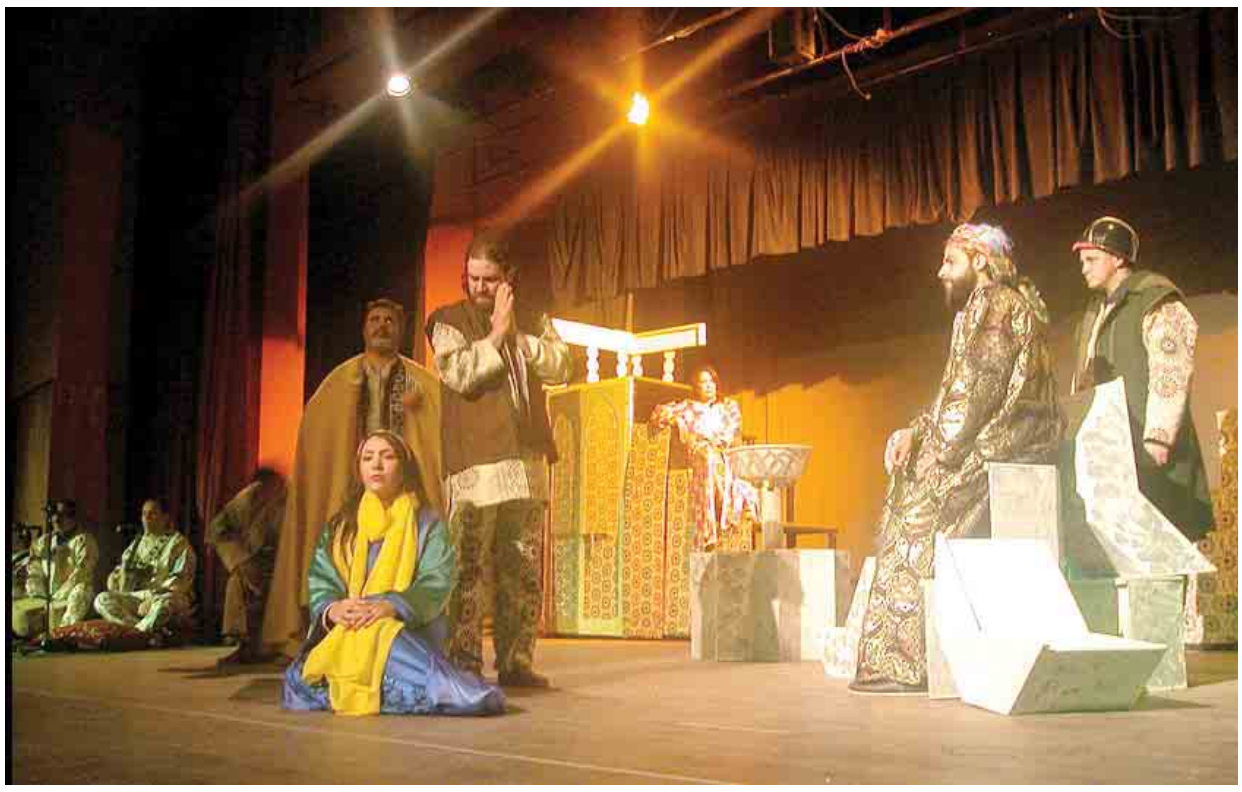

أسبغت الموسيقى الأندلسية على العرض جوا ملهما

فيصل عبدالحسن
كاتب من العراق

❑ نهلت مسرحية " طوق الحمامة " من التراث الأندلسي، فقد استحضر مؤلفها عبدالله شقرون الكاتب الأندلسيّ ابن حزم عبر استلهام مؤلفه "طوق الحمامة في الألفة والآلاف". وقدمه في ثلاثة فصول، أخرجها عبدالمجيد فنيش، وعرضت مؤخراً على مسرح محمد الخامس بمدينة الرباط.

وللمؤلف أكثر من أربعين كتاباً عن التراث والفلكلور والتلفزيون والمسرح بالعربية والفرنسية، وله مسرحيات تاريخية أخرى، كمسرحية "الواقعة" (1996)، "المجموعة الحمراء" (2002)، "المجموعة الخضراء" (2002)، و"سفارة أبي القاسم الزياني لدى الدولة العثمانية" (2010).

وتعتبر مسرحية "طوق الحمامة" التي قدمت هذه السنة من أهم مسرحيات الكاتب المنشورة في العام 2001، لما بلغته من نضج فني، وما حملته من مضانّ إنسانية عميقة. وما جاء في النص المسرحي من لغة شعرية عبّرت خير تعبير عن شخوص عاشوا قبل قرون في حضارة ومكان مختلفين.

موليير وشكسبير

التاريخ الذي قدمه شقرون عبر شخصية ابن حزم نقل لنا أجواء حضارة أفلتْ، لكن المسرح بإمكانيّاته الفنية نقلها لنا كما لو كنا عدنا إلى القرن الخامس الهجري، لنسمع ابن حزم يحكي لنا عن فتى أحبّ جارية حدَّ الكَلَف، وكان لا يصبر عن تقبيلها، حتى وإنْ كَانا في مجلس فيه ناس من دون أن يشعر أحد بما يفعل كما جاء في نص "طوق الحمامة" حيث يقول ابن حزم "فكانا يضطجعان إذا حضرهما أحد، وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش، ويلتقي رأساهما وراء المسند. ويقبّل كل واحد منهما صاحبه ولا يُريان".

ولابن حزم فلسفته في الحب استلهمها فيما بعد شكسبير في مسرحيته "روميو وجولييت"، وموليير في مسرحيته "دون جوان " وغيرهما. وقد جعل شكسبير الحب الروحي الخالص بين بطليه روميو وجولييت، بينما نقل موليير الحب الحسي بين دون جوان وعشيقاته، وما تبع ذلك من مفارقات إلى مسرحيته. بينما قامت فلسفة ابن حزم في الحب على جمع الجانب الحسي مع الجانب الروحي. فهو يرى أنّ الحبّ لا يُبنى على عاطفة جياشة فقط بل على اندماج روحي بين شخصين يتحولان إلى كائن واحد، ولن يهنئا بعيش إنْ لم يتواصلا تواصلاً كاملاً، مستمراً. ويرى أنّ الحب "أولهُ هزلٌ وآخرهُ جدٌّ"، أيْ ليس من المستبعد أنْ يبدأ كتواصل حياتيّ، وينتهي بحب حسيّ وروحيّ معاً.

مسرحية طوق الحمامة لشقرون قدمت الدون جوان بطريقة إسلامية. فهي تناولت مغامرة المحبّ هشام الحسيّة، وغلفتها بمفاهيم دينية، كالحرام والحلال والإخلاص والأمانة والتضحية من أجل الحبيب.

ممثلون مميزون

المسرحية أعادت أحداثاً لأحوال محبين مضى عليها أكثر من أحد عشر قرناً، وبذلك جذبت جمهوراً عريضاً. وأسبغت الموسيقى الأندلسية، التي كانت تتردد أصداؤها خلال العرض جواً من السحر والمتعة. وساهم في إثراء الأحداث ما قدمه ممثلون مميزون للعرض من أداء مؤثر، كرشيدة منار، أحمد ولد القايد، سعيد بلكدار، والموسيقيون والمنشدون من زجل وشعر، وغناء، كيحيى المنصوري، عبدالإله أبيفير، أمين البويهي، إدريس خربوش، وعبدالإله حرة أمين.

> تحكي المسرحية الحب المشبوب بين مرجانة وسيدها هشام، وبسبب الاضطرابات في غرناطة والحروب السياسية والتبذير تضيع أموال هشام وأراضيه وتجارته، ويتخلى عنه الجميع إلا جاريته مرجانة

وعكس الديكور الذي كان ضخماً ومعبراً عن الغنى والترف، الذي كان يعيشه أهل الأندلس، أما السينوغرافيا المستخدمة فقد عكست أنواع الأثاث والملابس وأذواق الناس، الذين عاشوا في ربوع تلك الأرض وجنانها.

وأبدع الممثلون الرئيسيون في تمثيلهم، كلمياء خربوش، التي قامت بدور "الجارية مرجانة"، ومحمد المتوكل، مثّل دور"إسماعيل التاجر الذي اشترى مرجانة" وطارق بقالي، قدم دور"هشام الغني المسرف الذي عشق جاريته مرجانة حدَّ الكَلَف".

غرناطة وألمرية

تحكي المسرحية الحب المشبوب بين مرجانة وسيدها هشام، وبسبب الاضطرابات في غرناطة والحروب السياسية والتبذير تضيع أموال هشام وأراضيه وتجارته، ويتخلى عنه الجميع إلا جاريته مرجانة. فيضطرّان للرحيل من غرناطة إلى ألمرية، التي كانت تنعم بالسلام والأمان في ظل حاكمها خيران العامري. وبسبب الفقر الشديد الذي يعانيان منه في ألمرية تقترح مرجانة على سيدها أن يبيعها ليتمكن من العيش بثمنها. فيبيعها إلى التاجر إسماعيل الذي ما أن تصير في حيازته حتى يشعر أنه امتلك جوهرة نفيسة.

وسرعان ما عرف هشام أنه لا يستطيع العيش من دون مرجانة، وأنَّ حبه لها لا تعادله أموال الدنيا. فيكافح لكي يستعيدها، ولكن إسماعيل لا يوافق على التفريط بما اشتراه. وتصل قضية الجارية مرجانة والصراع حولها بين المالكين إلى الحاكم، وفي ذات الوقت يكون ابن حزم الشاعر والعالم المعروف أسيراً لدى الحاكم بسبب دسيسة دُبرت له، وهو العارف بقضايا الحب، وما تكنّه قلوب المحبين.

فيقرر الحاكم أن يكون ابن حزم وسيطاً لحل هذه المشكلة. فإسماعيل لا يقبل أنْ يردّ الجارية بالرغم من الثمن المضاعف الذي قدم له، ولا هشام ينسى حبه لها. فيضعهما ابن حزم في اختبار مشاعر خطير، إذْ يطلب من هشام أنْ يُلقي بنفسه من نافذة القصر إن كان حقاً يحبها. فيفعل ذلك دون أنْ يخشى الموت، وتشاء القدرة الإلهية أنْ تنقذه، فلا يحدث له مكروه بعد السقوط، أما إسماعيل، فيرفض أنْ يغامر بحياته، لكي يحتفظ بالجارية، فلذلك يقرر الحاكم أنَّ مرجانة ستكون من نصيب من ضحى من أجلها بحياته، فتعود لحبيبها هشام.

وتنتهي المسرحية نهاية سعيدة، وتعزف الموسيقى ويرقص الراقصون ابتهاجاً بزواجهما، ويعفو الحاكم عن ابن حزم ويتخذه مستشاراً.

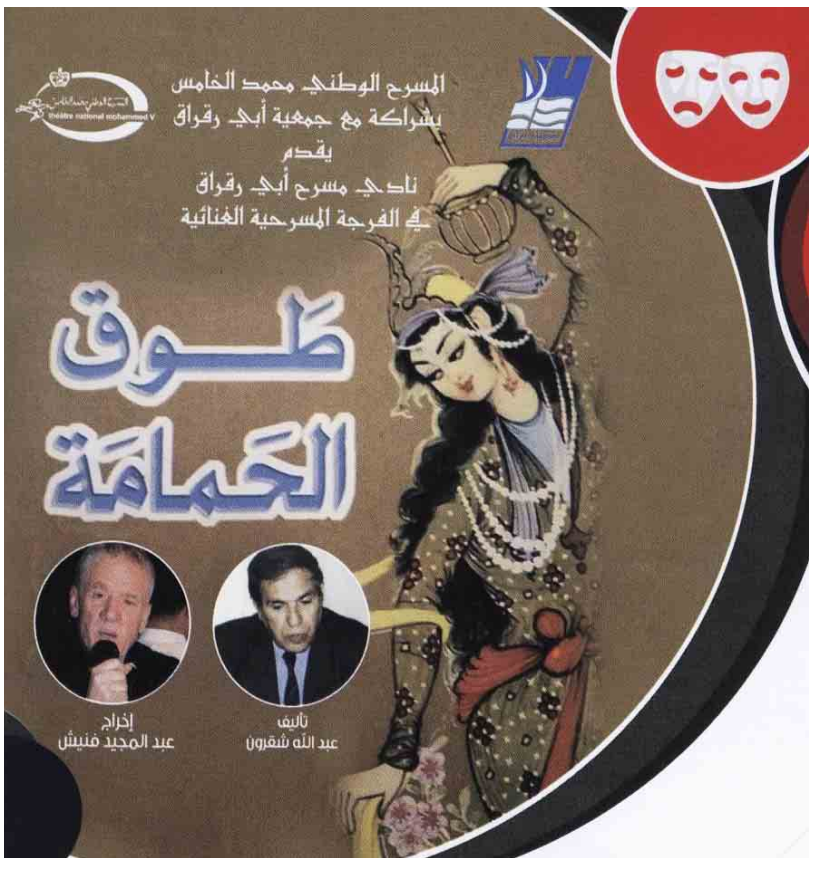

أنتيغون شامية على خشبة أردنية

«العاديات» بوح موجع لنساء الحرب

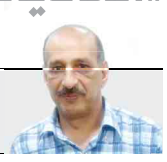

عواد علي
كاتب من العراق

❑ في عرض "العاديات" الأردني، الذي قدّمه خليل نصيرات مؤلفا ومخرجا على مسرح المركز الثقافي الملكي بعمّان، ثمة قصص كثيرة لمآسي الحرب في سوريا، وبوح موجع ومخيف يعتصر فيه الانتظار قلوب نساء ضائعات وتائهات (مثّلت أدوارهن: شفيقة الطل، عهود الزيود، راما سبانخ، أريج جبور، مرام أبوالهيجا، وسوزان البنوي)، ويظللن رهن رجال غائبين ومشتتين تحت السماء الملتهبة، وبين الأشجار التي تستغيث بضباح الخيل (صوت أنفاسها في جوفها عند العَدو). لكن الصهيل في العرض يطغى على صوت القنابل والبراميل المتفجرة والرصاص، ويحتل المدى المشتعل بهدير الحقِ، ويتجاوز مكانا صغيرا كان اصطبلا، وظلّ مجرد اصطبل. إنه الصهيل الذي لم يكن إلا صوتا للنجاة.

يتخذ العرض من اصطبل ما، يقع بين البساتين الممتدة حتى نهر العاصي في مدينة حمص السورية، فضاء له، وقد أصبح من جرّاء الحرب والقصف والدمار مكانا مهجورا تعيث فيه الجرذان التائهة، وتغطّي ترابه بقايا هشة لياسمين كان مخضوضرا وطريا، فيما كانت أشياء كثيرة تحكي سيرة الحياة في الفضاء، يعلوه غبار الخراب الذي يرسم ملامحه الكئيبة على الجدران والعيون والوجوه الضائعة، وتفوح من زواياه رائحة روث خيول كانت عاديات جامحات، ويعلو في أعماق جنباته صهيل الأسى والوجع، حيث التقت مجموعة من النسوة في ذلك الاصطبل، وكلّ واحدة منهن تعبّر عن شهقة طويلة من شهقات ذلك الصهيل.

في ذلك الفضاء، الضيّق حدّ القبر، والواسع حدّ الوطن، تنتظر "أم فارس" زوجها وأولادها الغائبين، خلال اشتداد القصف فوق رأسها عند نهر العاصي، فتحتمي به، ثم تلتحق بها امرأة أخرى تدعى "ياسمين" كانت في طريقها، هي وابنتها "سما" للجوء إلى أنطاكيا بعد أن هدمت البراميل المتفجرة، التي تلقيها طائرات النظام، بيتها في "حي الخالدية"، وبقيت وحيدة تعاني من محنة كبيرة بسبب مشاركة ولديها في الحرب، "رائد" انضم إلى قوات المعارضة و"خالد" إلى قوات النظام. وهي حالة ذات تناص واضح مع ولدي "أوديب" في تراجيديا "أنتيغونا" الإغريقية، اللذين يقاتلان في معسكرين متصارعين على السلطة، بعد نفي أبيهما خارج المملكة، فيُقتلان، أحدهما "إيتيوكل"والثاني "بولينيس"، ويناصر خالهما "كريون"، الذي يستولي على الحكم، "إيتيوكل" ويأمر بإقامة تشييع جنازة مهيبة ملكية له، وحرمان "بولينيس" من الدفن وترك جثته تتعفن شهرا في العراء تنهشها الطيور الجارحة.

لا تبقى النسوة الثلاثة في الاصطبل وحدهن طويلا، بل سرعان ما تنضم إليهن "أم عبدو"، التي كانت تعمل دايةً قبل الحرب، وامتهنت فيما بعد مهنة الخطّابة، فتحضر الفتيات من حلب وتأخذهن إلى "مخيم الزعتري" للنازحين في الأردن، وهناك تقوم بتزويجهن من أثرياء عرب، متعللة بأنها تقدم خدمات مقابل خدمات، بينما هي تعيش على حساب أفراح مزيفة. وعندما يشتد القصف أكثر فأكثر تلوذ بذلك الفضاء امرأتان أخريان هما "أم البراء"، زوجة أحد القياديين الإرهابيين، بعد أن كانت تنوي الذهاب إلى مدينة حماة عن طريق العاصي لتنفيذ عملية إرهابية، و"ماري" الراهبة من دير الآباء اليسوعيين في حي بستان الديوان في مدينة حمص، وكانت تحاول الذهاب إلى نهر العاصي لتغسل روحها وجسدها من الخطايا بسبب تعرضها إلى اغتصاب بشع على يد "مجموعة كلاب بشرية ضالة" كما تقول. وينشأ صراع حاد بين هاتين المرأتين على خلفية الهوية الدينية لكل منهما.

حاول خليل نصيرات أن يضع مسافة بين موقفه الشخصي من النزاع الدائر بين المعارضة والنظام في سوريا، كما هو في الواقع، لإضفاء الموضوعية على الصراع الدرامي المحتدم بين شخصيات المسرحية. لكن رغم ذلك فإن منظور المتلقّين، كما اتضح في مناقشة العرض خلال الجلسة النقدية، كان منحازا إلى شخصيتي "أم فارس" و"ماري"، ومناهضا لشخصيتي "أم البراء" و"أم عبدو"، الأولى كونها إرهابية، والثانية كونها انتهازية تعمل في تجارة البشر.

العرض، الذي صمم إضاءته شاعر الضوء فراس المصري بإتقان وجمال أخّاذ وتقاطعات ذات إيحاء سيميائي، قدّم ممثلات بارعات في حضورهن على المسرح، وقدرتهن على أداء شخصيات متفاوتة أداء واعيا محكما متفهما لأبعادها النفسية والذهنية.

في تقديمه للعرض كتب نصيرات كلمة ذات منحى شاعري قال فيها "ليس للماء رماد.. هن فقط أسرجن وجعهن على ضفة النهر، وغفون إلى حين من السنوات. ويستيقظ النهر ليطلق الوجع جيادا سوداء يهربن بها من رماد الحرائق.. تبطئ الجياد أو تسرع، لا يهم، لأنها تعرف من أي قميص تفوح رائحة الياسمين، وأين ترقد القصائد بغيمها الماطر، وكيف يبني الدوري أعشاشه بين الركام.. لم يمتّن بما يكفي من الشهادة حتى يكتمل القمر متانقا بربطة عنق بيضاء. هن فقط نحتن طوال الليل شفقا في السماء، نزعن من صدورهن قلوبا وقذفنها عاليا حيث الأحمر مائلا إلى الشجن. ومن ينزع قلبه ليرميه صاعدا لن يخطئ الضوء، ولن يلفظ خفقانه إلا ليقاطع الموت بقبر مفتوح على الوطن".

العرض يروي سيرة نساء من أجيال مختلفة

اللعنة الأبدية تحل على المرأة

«اللي اختشوا ماتوا» ميلودراما لا تقنع أحدا

نجمات شهيرات في فيلم صنف للكبار فقط

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ أتيحت لي أخيرا الفرصة لمشاهدة الفيلم المصري "اللي اختشوا ماتوا" من إخراج إسماعيل فاروق (مخرج "عبد موتة" و"القشاش")، وكان هذا الفيلم قد حظي بالكثير من الدعاية والاهتمام الإعلامي بسبب تصنيفه للكبار فقط، ووجود عدد من الممثلات اللاتي يقال لهن "نجمات" في السينما المصرية، على رأسهن غادة عبدالرازق، ثم عبير صبري وهيدي كرم وسلوى خطاب ومروة عبدالمنعم وأميرة الشريف ومروى.

فكرة الفيلم تبدو من الخارج، جيدة، ويمكن أن تصنع فيلما جادا شريطة أن يتوفر لها كاتب سيناريو يتعامل مع الموضوع بجدية ويعتني ببناء الشخصيات وكسوها بملامح حقيقية تجعلها تصبح من لحم ودم، لا مجرد شخصيات كرتونية نمطية تثير الضحك عليها عندما يكون المطلوب أن نبكي معها!

> كيف تعاني النساء الباحثات عن التحقق من خلال عمل شريف، والتحرر من الخضوع لأسر الرجل، فينقلب عليهم الرجال، وتتحول حياتهن إلى جحيم في مجتمع ذكوري بطبيعته، مع تلك العلاقة القائمة بين الذكورية والقمع، وبين الاشتهاء الجنسي والرغبة في إثبات التفوق والقوة والسيطرة من جانب الرجل على المرأة

والفكرة هي كيف تعاني النساء الباحثات عن التحقق من خلال عمل شريف، والتحرر من الخضوع لأسر الرجل، فينقلب عليهم الرجال، وتتحول حياتهن إلى جحيم في مجتمع ذكوري بطبيعته، مع تلك العلاقة القائمة بين الذكورية والقمع، وبين الاشتهاء الجنسي والرغبة في إثبات التفوق والقوة والسيطرة من جانب الرجل على المرأة.

لدينا هنا سبع نساء يجمعهن مكان واحد هو "شقة" في وسط القاهرة (أو ما يعرف بـ "بنسيون" طبقا للموروث الإيطالي في اللهجة المصرية) تملكها راقصة قديمة معتزلة هي "صفية" (سلوى خطاب) تؤجرها للنساء فقط، وقد أطلقت عليها "بنسيون شيشة"، ولكن "صفية" ليست الشخصية المحورية في الفيلم بل ابنة شقيقتها "ليال" (التي تقوم بدورها غادة عبدالرازق). فهي ممرضة تحظى بالثقة والاحترام في عملها، تتمتّع بشخصية قوية وجذابة، تقع في حب طبيب يتزوجها فتكرس له كل ما تملك من مال لتحقيق أحلامه في امتلاك مستشفى خاص، ثم تنجب منه ابنتها، لكن الحياة لا تسير سيرا حسنا كما سنرى. هناك أيضا هيدي كرم التي تبحث عن فرصة لكي تصبح ممثلة دون أن تسقط في حبائل الرجال الذين يريدون استغلالها جنسيا كوسيلة للصعود، وفتاة أخرى (أميرة الشريف) فرّت من قريتها في الصعيد لكي تتزوج الرجل الذي تحبه على غير رغبة أهلها، لكنّه اضطر للرحيل عن مصر بعد أن عثر على فرصة عمل وتركها حامل، ثم هناك عبير صبري التي تنكّرت لها والدتها وطردها زوج أمها فاضطرت لبيع جسدها لسماسرة الدعارة، وفتاة أخرى (مروة عبدالمنعم) جاءت من الريف وتستعد للزواج بعد أيام.

اضطراب البناء

هذه المعلومات لن نعرفها سوى بعد أن يكون الفيلم قد بدأ بهذا المشهد الصادم حيث نشاهد القبض على النساء السبعة متلبسات مع رجال شبه عراة، ورجال الشرطة يجذبونهن بالقوة على سلالم العمارة وسط صرخات الاحتجاج والغضب. سينتهي الأمر بإطلاق سراحهن بسبب عدم كفاية الأدلة، ولكننا سنظل إلى ما قبل النهاية بقليل، قبل أن نعرف أن الموضوع ملفّق، وأن وراء تلفيقه مواضيع وتشابكات أخرى غير مقنعة بل تبدو مستحيلة التصديق. وقبل ذلك نرى ليال (غادة عبدالرازق)، تتعرض للقبض عليها بتهمة حيازة أدوية وعقاقير مخدرة، سنعرف فيما بعد أيضا أنها مدسوسة عليها. لكنها ستقضي سبع سنوات في السجن بموجب هذه التهمة، ثم تخرج لتجد أن زوجها اختفى مع ابنتها، وتلجأ للسكن عند خالتها صفية. وليال هي التي تروي لنا الأحداث بصوتها مدعمة بالصور من وجهة نظرها، كما تلخص للمتفرج خلفيات الشخصيات النسائية الأخرى في الفيلم، ولكن هذا الأسلوب لا يستمر فسرعان ما تصبح زاوية الرؤية محايدة، وهو خطأ قاتل بالطبع، أدّى إلى تشتت الفيلم وعدم قدرة مخرجه على السيطرة، لا على شخصياته التي تفتقد الإقناع، ولا في إيقاعه الذي أصبح يتأرجح صعودا وهبوطا، فالسيناريو يتبع خطا متعرجا، يخفي قبل أن يكشف، ولكن وهو يكشف لا يلجأ كما هو متوقع طبقا لهذا الأسلوب في السرد، أن يعود إلى الصور من خلال مواقف محددة تتداعى في سلاسة ووضوح، بل من خلال الحوار والحكي والشرح الطويل المسهب، مرة أخرى، دون أيّ إقناع.

على سبيل المثال، تروي عبير صبري للضابط بعد القبض عليها كيف أنها اتفقت مع بائع الملابس الشاب (محمد محمود عبدالعزيز) الذي يقطن في الطابق الأرضي من العمارة التي يقع فيها البنسيون، (وسبق أن شاهدنا تحرشه بها وبغيرها من زميلاتها) لكي تدبر معه حيلة القبض على صاحباتها بتهمة ممارسة الدعارة عن طريق تسهيل دخول الرجال السبعة ليلا من باب المطبخ قبل مداهمة الشرطة المنزل، وذلك مقابل مبلغ مئة ألف جنيه (وهي تحبس معهنّ بالطبع بنفس التهمة!)، ثم تستطرد لتروي كيف أن (عبدالعزيز) لم يدفع لها باقي المبلغ، فقامت بقتله عقب مشادة بينهما في شقته (نشاهد هذا من خلال الصورة) ثم تقوم بوضع بصمات ليال على السكين بينما كانت نائمة (!)، وتخفي السكين تحت فراشها.. وغير ذلك من التفاصيل التي تبدو أقرب إلى قصص الأشباح الأسطورية.

كل الرجال أشرار: الضابط وبائع الملابس والطبيب وأهل الفتاة الصعيدية الذين يريدون الفتك بها، وسكان المنطقة التي يقع فيها "البنسون" الذين يتسترون بالدين في حين أنهم يطمعون في أجساد النساء، والرجال الذين يتقاضون مالا لكي يلعبوا دورا في تمثيلية "الدعارة".

ميلودراما رديئة

هذا بالطبع أحد أفلام الميلودراما الرديئة، فهو يمتلئ بالكثير من المبالغات والتوليفات المصطنعة التي تسعى لابتزاز تعاطف المتفرج مع بطلاته من النساء، وإدانة من يخفي تحت قناع الطيبة شخصية تتصف بالجشع والشر، وكيف أنه لم يكن من البداية مقتنعا بالزواج من ممرضة، بل كان يريد فقط استغلالها والحصول على أموالها لكي يتخلص منها ويبعدها عن رؤية ابنتها ليتولى هو تربيتها، أولا بتلفيق قضية المخدرات، ثم الدعارة ثم القتل!

والحقيقة أن مما يجعل متابعة هذا الفيلم أمرا مرهقا، موسيقى تامر كروان المزعجة التي تبدو كما لو كانت لا تعرف متى تبدأ وأين تتوقف، فهي تستمر معظم الوقت، بنغماتها التقليدية الرديئة المزعجة للأذن، والتي كثيرا ما تطغى على الحوار نفسه، ولا شك أن المخرج يتحمل مسؤولية هذا الإفراط المزعج. ورغم أن بناء الفيلم المترهل يميل للشرح والتفسير بسبب عجز الصورة السينمائية، إلا أن هناك الكثير مما سقط في الطريق وكان يقتضي تصويره، كما في حالة مقتل الفتاة الصعيدية التي نراها بعد أن أصبحت جثة دون أن نعرف كيف ومن الذي قتلها، وأين حدثت الجريمة.

وجوه قبيحة

من الملامح التي تدعو للنفور بصريا، لقطات "الكلوز أب" القريبة لوجوه الممثلات المنتفخة الملطخة بالألوان الصارخة، مما جعلها تبدو شديدة القبح، وكلها بالطبع نتاج محاولات فاشلة لإخفاء ملامح تقدم الزمن. إضافة إلى هذا، جاء الأداء المفتعل المبالغ فيه من جانب الممثلات (خصوصا الأداء المفرط السخيف من جانب سلوى خطاب) مثيرا للرثاء، ربما باستثناء غادة عبدالرازق التي حاولت إضفاء بعض الملامح الإنسانية على دورها رغم عدم مناسبتها للدور أصلا.

وكما أن هناك مشهدا فاضحا لسبع نساء يهبطن بالقوة في صحبة رجال المباحث شبع عاريات، وهو مشهد يتكرر بعد ذلك، هناك مشهد حفل زفاف مروة عبدالمنعم الذي ترقص فيه النساء وتشتركن في أغنية سوقية، وهناك مشهد لمشاجرة شرسة تقع دون سبب درامي واضح، بين غادة عبدالرازق وعبير صبري، وعندما تحل "ليال" (غادة) على البنسيون في بداية الفيلم، ورغم أزمتها النفسية المفترضة بسبب تجربتها الطويلة في السجن ومحنتها الشخصية، تتحلّق حولها النساء الست ويطلبن منها أن ترقص، فتستجيب وتقدم رقصة طويلة يشتركن جميعا فيها، لا لهدف إلا لإرضاء شباك التذاكر حسب المفهوم السائد في السينما المصرية التجارية منذ أربعينات القرن العشرين.

حقائق مزعجة

وراءها مخرج فرنسي مشاغب

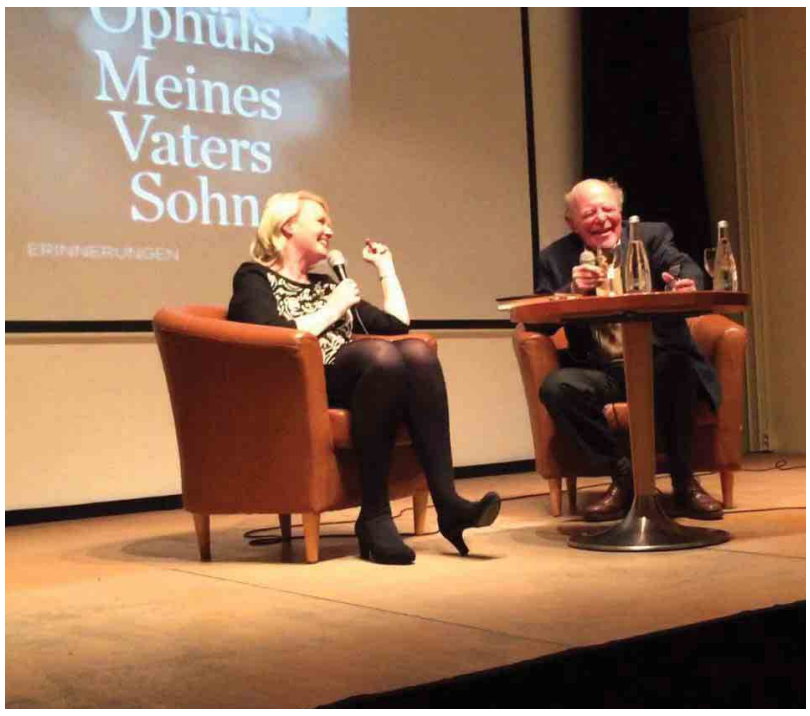

الفيلم يقدم نظرة مختلفة إلى الصراع العربي الإسرائيلي

❏ يعتزم المخرج الفرنسي مارسيل أوفوليس إخراج فيلم تسجيلي طويل يكشف عنصرية السياسة الإسرائيلية ويتبرأ منها بعد أن تجاوز الثامنة والثمانين من عمره، ومعروف أن مارسيل هو ابن المخرج الألماني الشهير ماكس أوفوليس، وهو يهودي هاجر من ألمانيا إلى فرنسا بعد وصول النازيين للسلطة في ثلاثينات القرن الماضي، ثم هاجر مع أسرته إلى أميركا بعد الاحتلال الألماني لفرنسا، قبل أن يعود إلى فرنسا حيث مازال مارسيل يعيش ويصنع أفلامه التسجيلية المثيرة للجدل.

وكان المخرج الكبير قد بثّ قبل فترة مقدمة دعائية لفيلمه القادم يبلغ زمن عرضها 12 دقيقة على موقع أسّسه خصيصا للدعاية للفيلم على شبكة الإنترنت، ودشن من خلاله حملة لجمع التبرعات لتمويل الفيلم الذي يصعب أن يحصل على تمويل الشركات الأميركية والأوروبية رغم ما يتمتع به مخرجه من شهرة ورغم كونه يهوديا، فالفيلم الجديد يعتزم طرح الكثير من التساؤلات المقلقة حول الصهيونية التي يرفضها أوفوليس ويرى أنها تعمل على تشويه صورة اليهود في العالم، كما يقول في المقدمة الدعائية للفيلم، بل ويصرح بوضوح بأن "إسرائيل تساعد في تأجيج العداء للسامية في العالم".

يعلن أوفوليس أيضا أن اللوبي الإسرائيلي في فرنسا "يقوم بتصدير" النزاع القائم في إسرائيل إلى فرنسا، ويقول إن "البذور السيئة للصهيونية تتضح عندما نرى الفلسطينيين يعيشون في سجن كبير في الضفة الغربية"، ويصف هذا الوضع حرفيا في مقدمته المثيرة، بأنه "تمييز عنصري"، ثم نرى متظاهرين إسرائيليين يمينيين يحتجون على الزواج بين اليهود والعرب وهم يرددون "الموت للعرب"!

الفيلم الجديد يحمل عنوان "حقائق مزعجة" وتحته عنوان فرعي هو "نظرة إلى الصراع العربي الإسرائيلي". وفي المقدمة الدعائية للفيلم يظهر رجل فرنسي يقول إن النساء الفرنسيات يمارسن الجنس مع المسلمين، وبالتالي يجعلن أرحامهن سلاحا لصالح العرب. ويعلق أوفوليس على هذا بقوله "هذا كلام عنصري، فاشيّ، بل أسوأ، لقد ظل هذا الرجل يصرخ بهذه الكلمات البشعة لخمس دقائق" أثناء التصوير معه.

يجري أوفوليس مقابلة مع الحاخام الإسرائيلي الذي قال إن واحدا من كل ثلاثة فلسطينيين مجرم قاتل. أما أبراهام بيرج، الرئيس السابق للكنيست الإسرائيلي فيقول لأوفوليس إن فكرة الفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين قد انتهت، وإنه "يتعين علينا أن ننتقل إلى مجتمع التعايش، حيث نتشارك في العيش والأرض والموارد والسيادة".. ويضيف "يمكنك أن تطلق عليها 'مابعد الصهيونية' أو 'مناهضة الصهيونية'، ولكن يجب أن يأتي هذا الكلام من جانب اليهود".

قرب نهاية المقدمة يسأل أوفوليس امرأة فلسطينية عن ابنها الذي كان قد أصبح ناشطا مسلحا واعتقله الإسرائيليون، فتقول إنه خلال الانتفاضة الأولى هدم الإسرائيليون منزل الأسرة، وتوقف الصبي عن الذهاب إلى المدرسة وكان في العاشرة من عمره. ثم تضيف قائلة، إنه "إذا كان قد درس وتعلم وأتيحت له فرصة للعيش الكريم لكان مسار حياته قد اختلف.. لقد رأى شقيقه يُقتل، فماذا تتوقع أن يصبح؟".

وتقول النيويورك تايمز إن القس بروس شيبمان فقد وظيفته في جامعة "يال" في العام الماضي، بعد أن كتب رسالة من ثلاثة أسطر نشرتها الصحيفة، يشير فيها إلى أن تصاعد العداء للسامية في أوروبا يرجع، ولو جزئيا، إلى ما تمارسه إسرائيل من قمع للفلسطينيين. وعلى إثر ذلك، تمت إقالة شيبمان، بعد أن أرغم على تقديم اعتذار. وكان أوفوليس قد اتصل هاتفيا العام الماضي بالمخرج المناهض للصهيونية إيان سيفان وطلب منه الاشتراك معه في إخراج فيلم عن الحرب على غزة وتصاعد العداء للسامية في أوروبا، على أن يبحثا عمّا إذا كانت هناك علاقة بين الأمرين، وقال سيفان إنهما يأملان في الإجابة على السؤال التالي "هل تؤجج إسرائيل مشاعر العداء للسامية؟".

وعلق بعض قراء صحيفة التايمز البريطانية بالقول إن أوفوليس وسيفان، على العكس من القس شيبمان، لن يدفعا ثمن إثارة مثل هذا السؤال لأنهما من "اليهود"، حتى لو ناقشا في فيلمهما، الكثير من "الحقائق المزعجة" حسب تعبير ديغول الشهير الذي قال عندما طلب منه الموافقة على منع فيلم فرنسي كان يكشف الكثير عن التعاون بين بعض الفرنسيين والسلطات النازية وقت احتلال الألمان لفرنسا "إن فرنسا ليست في حاجة إلى حقائق مزعجة بل إلى حقائق تبث الأمل"!

* أ.ع

مارسيل اوفوليس في القدس: فيلم مثير للمتاعب

ماوي وبراغ وباهاماس تستقطب العائلات صيفا

شواطئ وألعاب للكبار والصغار تأخذ الزائرين بعيدا عن الروتين

تعتبر العطل وخصوصا الصيفية فرصة لاجتماع العائلة بعد موسم مليء بالمشاغل المختلفة لذلك تحرص العائلات الراغبة في تقضية بعض الوقت مع بعضها البعض بعيدا عن الروتين اليومي، في إيجاد الأماكن المناسبة لذلك. ولتوفير ما أمكن من الراحة للعائلات تحرص بعض البلدان على إنشاء المنتجعات والفنادق وتخصيص ألعاب تجمع العائلة ومن بين الخيارات الكثيرة يمكن التوجه إلى جزيرة ماوي أو العاصمة التشيكية براغ أو جزر الباهاماس، لقضاء أجمل الأوقات.

الأطفال يسبحون في انسجام بعيدا عن الروتين

❏ **لندن** – تبحث العائلات عن أفضل الوجهات السّياحية لقضاء عطلها، وتحاول إيجاد المنتجعات والمواقع المناسبة التي توفر الإقامة السياحية وجوانب الترفيه والتسلية التي تناسب مختلف أفراد العائلة، إذ تتطلّب مثل هذه العطلات مواقع إقامة بها العديد من التسهيلات تشمل وجود مطابخ لمن يفضل تحضير طعامه مع عدد من المطاعم وحمامات السباحة وبرامج تسلية للأطفال وللشباب.

وعلى الرغم من تواجد الوجهات العائلية بكثرة صيفا، إلا أنه يتعيّن على منظّمي هذه الرحلات مساعدة العائلات على التوجه إلى الأماكن المخصصة لهم لأنها الأقرب إلى ما يبحثون عليه.

وتعد جزيرة ماوي في هاواي واحدة من أكثر المناطق المميّزة بالواجهات السياحية الجذابة، ومن بين أفضل الخيارات التي تجد فيها العائلات وجهة مخصصة لها ومكانا رائعا لقضاء العطلة الصيفية.

وتتميّز الجزيرة، إلى جانب ما تحظى به من شواطئ بكر وشلالات ومعالم وأماكن الغطس، بكثرة وسائل الترفيه فهي تضمّ العديد من الأنشطة التي يتمتّع بها زائروها من سباحة وغطس، بالإضافة إلى أنّها توفر الكثير من المراكب ذات الأشرعة للزوّار.

وتعرف ماوي بأنها مصدر جذب لأعداد غفيرة من السياح سنويا، لا سيما في أوقات العطل والمصايف، علما وأنها تعتبر من أهمّ الجزر في هاواي والخيار الأفضل لقضاء شهر العسل للمتزوّجين حديثا.

وتمتلك الجزيرة بعض مناطق الجذب الأكثر تنوعا من كل العالم، بما فيها الطرق ذات المناظر الخلابة في كل من هاواي، والطرق السريعة الجذّابة التي تمتدّ على طول الساحل الشرقي لماوي، ويمكن التقويس حول الجبال مرورا بالشواطئ الجذابة ذات الرمال السوداء والشلالات.

وتضمّ الجزيرة العديد من حمامات السباحة، بالإضافة إلى وجود العديد من الفنادق والمطاعم والمقاهي، فضلا عن أن الجزيرة تقدّم عددا من الشواطئ الجميلة المتناثرة بين المنتجعات الكبرى يصل عددها إلى أكثر من 30 شاطئا تمتدّ في جميع أنحاء الجزيرة، ومنها شاطئ "كانا بالي" الذي يتميز بكثرة المنتجعات والفنادق.

كما تحظى العائلات في براغ عاصمة جمهورية التشيك وأكبر مدنها، الواقعة على نهر فلتافا في وسط منطقة بوهيميا التاريخية، والتي لا تزال تحافظ على شكلها الجميل منذ زمن طويل، بقضاء أجمل الأوقات.

ومن أهم الأماكن السياحية ببراغ مركز تسوق بالاديوم الذي يجمع 200 محل تجاري من أشهر الماركات العالمية والمحلية، والكثير من المطاعم والمقاهي. ويتميز بتصميمه المعماري الجميل وأجوائه المميزة.

ولا يفوّت السياح الذهاب إلى أكوا بالاس وهو عبارة عن منتزه مائي يضمّ العديد من المسابح بأحجام وأنواع متعددة تتناسب مع كل الأجيال، فضلا عن منزلقات مائية، وألعاب، وأمواج اصطناعية، ومطاعم، ومركز لياقة بدنية، والعديد من الفعاليات الرياضية والترفيهية.

وتعدّ مدينة براغ مليئة بالكثير من الأشياء التي تهم الأطفال بدءا من التجول برفقتهم الذي يعدّ أمرا سهلا، لأن المدينة توفّر للعائلات التي تحمل أطفالا دون الـ6 من الدخول لمعظم المتاحف واستعمال وسائل النقل بالمجان، وصولا إلى انتشار المطاعم التي تقدّم قوائم طعام للأطفال.

ويراوح الأطفال في براغ بين العديد من الأنشطة منها الاستمتاع بعروض مسرح العرائس أو ينعمون بالألعاب التي يضمّها متحف الألعاب وهو ثاني أكبر مكان في العالم يضمّ مجموعة من الألعاب تعود إلى أيام اليونانيين القدماء إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى أنه يحتوي على ألعاب من كافة أنحاء العالم، وهو مكان مناسب جدا للأطفال.

وبالإضافة إلى جزيرة ماوي ومدينة براغ تعتبر جزر الباهاماس مقصدا للعديد من السياح من مختلف أنحاء العالم، وتعج الجزيرة بالكثير من الأماكن التي يمكن زيارتها ومنها جزيرة باهاما الكبرى الواقعة في الجزء الشمالي من جزيرة باهاماس، وهي تعد مقصدا للعديد من السيّاح سنويا، خاصة هواة رياضة السباحة والغطس، حيث تضمّ الجزيرة العديد من الشواطئ التي تمكّن السيّاح من الاستمتاع برياضة السباحة وذلك مع الدلافين، بالإضافة إلى التجوّل في المحلات التجارية والاستمتاع بشراء الهدايا التذكارية المتنوعة، كما أن تلك الجزيرة تشتمل على الكثير من المنتجعات التي يلجأ إليها السيّاح للإقامة فيها ويستمتعون بإقامتهم.

> التجول برفقة الأطفال بمدينة براغ التشيكية يوفر للعائلات الدخول لمعظم المتاحف واستعمال وسائل النقل بالمجان، بالإضافة إلى انتشار المطاعم التي تقدم قوائم طعام للأطفال

للسياح آراء

سياح سعوديون: دبي وجهتنا المفضلة في الإجازات

❏ **الرياض** – أكّد عدد من السياح السعوديين ارتباطهم بمدينة دبي ارتباطا وثيقا، ما يدفعهم لزيارتها بشكل دوري ومتكرر في كل موسم، لا سيما في فصل الصيف حيث تعج المدينة بالفعاليات الترفيهية العالمية.

عبدالرحمن الصانع سائح من الرياض:

إنها المرة السادسة أو ربما السابعة التي أزور فيها مدينة دبي برفقة زوجتي والعائلة، لقد قضينا 11 يوما من أجمل أيام العمر وما زال أمامنا بضعة أيام على انتهاء هذه الزيارة الجميلة، استمتعنا كثيرا بإجازتنا في دبي هذه المرة، وزرنا العديد من مراكز التسوق التي يتميّز كل منها بطابع مختلف ما جعل من زيارتها أشبه بزيارة معالم سياحية، كذلك فرح أبنائي بمشاهدة العروض الترفيهية التي قدمتها مفاجآت صيف دبي.

فائق مقادمي من المنطقة الغربية:

اصطحبت زوجتي وأبنائي لقضاء إجازة ممتعة هنا، وهو ما اعتدنا فعله سنويا منذ خمس سنوات، والحقيقة فقد استمتعنا جميعا بقضاء وقتنا في مدينة دبي، لا سيما مع زيارة أماكن جديدة لم نتمكن من زيارتها العام الماضي مثل سيتي ووك وبوكس بارك وميركاتو، والتي تقدم فعاليات ترفيهية غاية في الجمال والتنظيم، لقد زرنا أوروبا من قبل ولم نشاهد فيها ما نراه في دبي، نحن سعداء وفخورون بأن يحتضن الوطن العربي مدينة بمثل هذا الجمال.

أول حديقة دولية للسلام غير معروفة للسياح

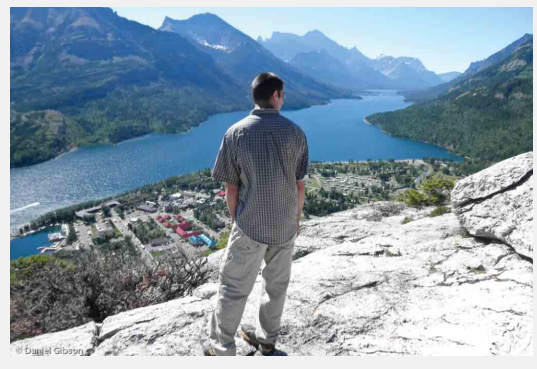

❏ **ووترتون** – تعتبر محمية ووترتون ليكس من المحميات الطبيعية غير المعروفة في أميركا الشمالية، وعلى الرغم من عدم تمتعها بشهرة كبيرة، إلا أنها توفّر لعشاق التجول والباحثين عن الهدوء والاسترخاء فرصة رائعة للاستمتاع بالمناظر الطبيعية الخلابة في المنطقة الحدودية بين كندا والولايات المتحدة الأميركية، ما يجعلها تستحق لقب "تاج القارة".

ولا توجد محمية أخرى في كندا توفّر للسياح هذا التنوع الهائل في مساحة صغيرة، ولذلك فإن محمية ووترتون ليكس تندرج ضمن قائمة التراث الطبيعي العالمي لمنظمة اليونسكو، وتعتبر أوّل حديقة دولية للسلام بالاشتراك مع الحديقة الوطنية الجليدية.

كاثرين رينولدز من إدارة محمية ووترتون ليكس:

الدببة لا تحمل جوازات سفر، وبالتالي فإنها تتنقل بكل حرية عبر الحدود ولا تهتم بالحواجز.. محمية ووترتون ليكس تمتاز بالهدوء، وفي ذروة الموسم السياحي يتم تنظيم العديد من الجولات إلى بحيرة ووترتون. وقد كانت بلدة ووترتون في السابق قرية لعمال المناجم، ولكنها أصبحت اليوم منتجعا للعائلات والسياح ويوجد بها برج مياه ومحطة للتزود بالوقود وسوبر ماركت وفنادق ومخيم كبير، بالإضافة إلى العديد من المطاعم الفاخرة.. وتزخر المحمية بمسارات تجول تمتد لمسافة 200 كيلومتر، ومنها مسار أفيون ريدج، الذي يعتبر طريقا شبه رسمي وتنتشر به لافتات إرشادية. ويمكن لعشاق التجول أن ينعموا بالراحة في فندق برنس أوف ويلز.

سياح: ساحات الحروب أفضل الوجهات السياحية

❏ **كابول** – ترى فئة من السياح أن ساحات الحروب تنطوي على شاعرية خاصة لذلك فهم يقصدونها ويجوبون فيها طرقات محفوفة بالمخاطر ما بين الألغام والرصاص الطائش، فضلا عن الحواجز المباغتة وعمليات الخطف. وتقوم بعض وكالات الأسفار بتنظيم رحلات إلى هذه الوجهات، بناء على رغبة السيّاح الذين يجذبهم إليها إحساس بالإثارة يولّده الخطر.

جوني بلير، سائح من أيرلندا الشمالية:

زيارة تايلاند رحلة مملة ولا أجني منها شيئا.. أفضل الذهاب إلى وجهات ساخنة مثل العراق أو أفغانستان، على الوجهات السياحية التقليدية.. الخطر يستحق العناء.. وقد سبق وذهبت في رحلة إلى أفغانستان وأفضل ذكرياتي مباراة كرة قدم لعبتها مع أطفال قرب معبد سامانغان البوذي (شمال)، أو ليلة قضيتها في أحاديث حول كوب من الشاي ونارجيلة في مزار شريف كبرى مدن الجنوب

جيمس ويلكوكس من غرب إنكلترا:

دوافع زبائننا كثيرة ومتنوعة وهي الذهاب نحو ثقافة أخرى، والرغبة في فهم التعقيدات الجيوسياسية بصورة أفضل، أو لأنهم قدموا إلى المنطقة في سبعينات القرن العشرين لزيارة المواقع الأثرية.

جون ر. ميلتون (46 عاما) من الولايات المتحدة: الوجهات الخارجة عن المسالك المعهودة أكثر ثراء، نتعرف فيها إلى المجتمعات والثقافات على حقيقتها.

■ أخبار سياحية

◄ الانتقال للعيش في سبع مدن بمقابل

■ سبع مدن حول العالم تقدم فرصا لا تُعوّض للانتقال للعيش فيها، من خلال دفع الأموال للأشخاص، وتعرض عليهم مزايا كثيرة من أجل الانتقال إليها والاستقرار فيها. ومنها ديترويت في ميتشغن الأميركية التي تحاول أن تستقطب السكان من خلال دفع 2.500 دولار للعاملين في الصناعات المختلفة الذين ينوون الانتقال للمدينة.

وتعرض مقاطعة سكاتشيوان، الكندية على حديثي التخرج 20 ألف دولار كندي، للانتقال والعمل فيها.

◄ الصين تدشن ممرا زجاجيا بجبل تيانمن

■ الصين تكشف عن ممر زجاجي جديد ومخيف يلتف حول قمة جبل تيانمن في إقليم مقاطعة هونان جنوب البلاد.

وقد أقيم هذا الممرّ الزجاجي فوق الوادي على ارتفاع 1402 من الأمتار، فيما لا يتجاوز عرضه المتر ونصف المتر، كما يبلغ طول ممر "كويلينج دراجون كليف" 100 متر وهو الثالث من نوعه في منطقة جبل تيانمن، وافتتح الممر يوم الاثنين الأول من شهر أغسطس 2016.

وأصيب الزوار بحالة من الرعب عند المشي على طول الممر الزجاجي حول قمة الجبل، وكان البعض منهم يتجنب النظر إلى الأسفل.

◄ الفنادق الفرنسية تعاني تراجعا

■ وزير السياحة الفرنسي يعلن أن عدد الليالي التي قضاها السياح الأجانب في الفنادق الفرنسية تراجعت بنسبة 10 بالمئة في يوليو مقارنة مع العام الماضي بسبب الهجمات الإرهابية الأخيرة التي شهدتها البلاد.

وقال الوزير ماتياس فيكل إنّ الهجمات جعلت الزائرين، وبشكل خاص، الأثرياء من الولايات المتحدة وآسيا والخليج يخشون زيارة فرنسا.

وتابع السياح القادمين من دول أوروبية أخرى والذين يشكلون نحو 80 بالمئة من الزائرين مازالوا يتوافدون على البلاد. وتركز التأثير في باريس وضواحي العاصمة.

◄ أعلى برج زجاجي يفتتح بمصحة بريطانية

■ مصح برايتون البريطاني الواقع على شاطئ بحر المانش دشن بداية الشهر الحالي، أرفع برج للمشاهدة في العالم سمي بـ"برتش آرويز إي 360.

ويصعد الزوار إلى أعلى البرج في منصّة زجاجية مغلقة تتحرك إلى الأعلى وتنزل إلى أسفل البرج على عمود ارتفاعه 161 مترا وعرضه 4 أمتار فقط حيث تساوي نسبة سمكه إلى طوله 40/1.

ويظهر بحر المانش وجزء من الساحل في مقاطعتي سوسيكس الغربية والشرقية طوله 42 كيلومترا أمام الزوار من أعلى البرج.

◄ فندق في جبال الألب بلا سقف أو جدران

■ فندق جديد في جبال الألب السويسرية يقدم مفهوما فريدا من نوعه، من خلال الاقتصار على سرير واحد، لا تحيط به الجدران، ويوفر للزوار فرصة قضاء ليلة ممتعة في أحضان الطبيعة. وعلى الرغم من أن فندق نول شتيرن يبدو بدائيا للوهلة الأولى، لكنّ بناءه لم يكن بالأمر اليسير، إذا احتاج فريق البناء إلى تسوية الأرض الجبلية، قبل أن يتمّ تثبيت السرير والملحقات المحيطة به.

ويقول المؤسس المساعد للفندق "إن الهدف من هذا الفندق هو وضع الضيوف في مركز التجربة، والتركيز على الأشياء غير الملموسة".

◄ طيران الإمارات تعزز شبكة أيرباص

■ طيران الإمارات تعلن أنها سوف تشغل طائرات الأيرباص إيه 380 لخدمة رحلاتها بين دبي ومدينة غوانزو الصينية، وذلك اعتبارا من 1 أكتوبر 2016. ويأتي ذلك عقب الإعلان عن تشغيل الطائرة العملاقة إلى كل من مدينة ميلانو الإيطالية وجوهانسبرغ في جنوب أفريقيا.

وسوف تنضم غوانزو إلى أكثر من 40 مدينة ضمن شبكة خطوط طيران الإمارات تخدمها هذه الطائرة ذات الطابقين، والتي تحظى بشعبية واسعة. وتشمل قائمة العديد من المدن مثل بكين وشنغهاي وهونج كونج ولندن.

التطبيقات والهواتف الذكية تقلص إبداع المستخدمين

سيطرة التكنولوجيا على البشر تقود القراصنة إلى الاستحواذ على الأدمغة

يرجح العديد من الخبراء أن الطرق التقليدية في الكتابة والإبداع والتعامل مع الكثير من تفاصيل الحياة آخذة في الاضمحلال لتحل محلها الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر والرجال الآليون. وأكدت الدراسات الحديثة أن انخراط المستخدمين في استعمال أجهزتهم الذكية بكل ما تحتوي عليه من تطبيقات بشكل مفرط قطع مع الأشياء الملموسة كالمكتبات العمومية، مشيرة إلى أن الذكاء الاصطناعي أسرع في التعامل مع الأحداث ونقلها وأيسر في التعرف على الأمراض وعوارضها، لكنه مقارنة بالقلم والكتاب فتح ثغرات أمنية أمام القراصنة للسيطرة على الأدمغة بدل تزويدها بالعلم والحكمة.

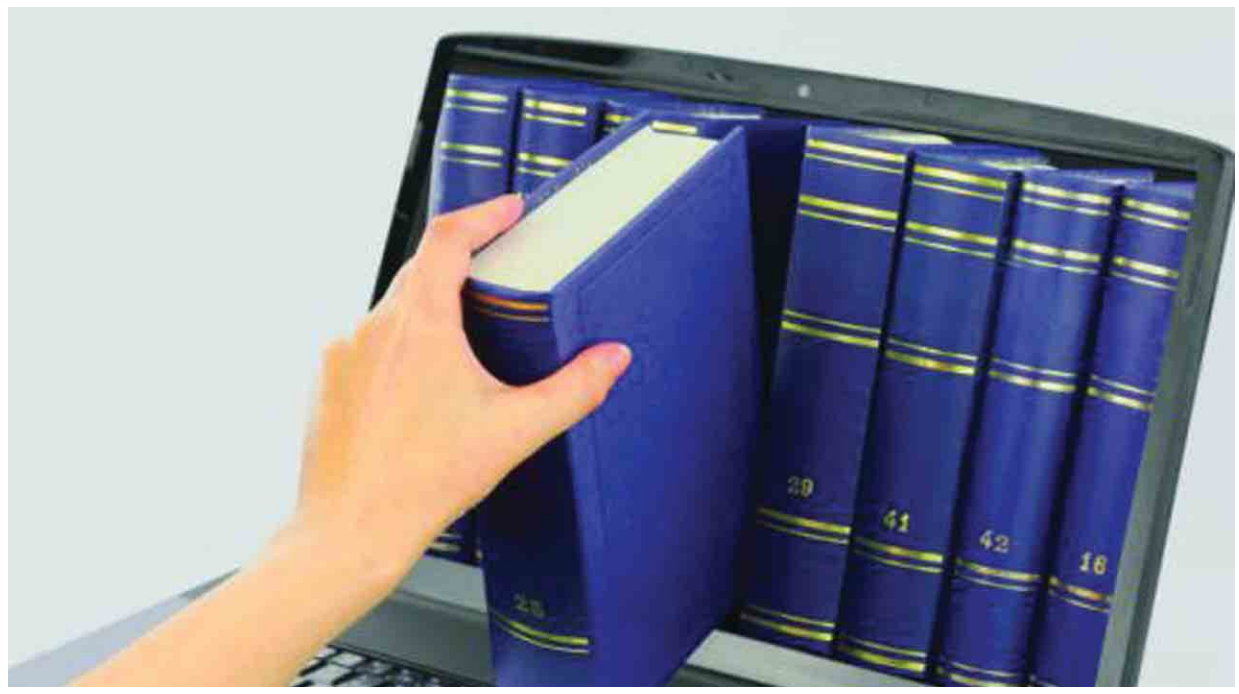

رفوف محركات البحث تعج بالكتب

❏ **لندن** – كشفت دراسات حديثة ظهور وسائط جديدة للكتابة والإبداع نتيجة تنوع التطبيقات ومواقع التواصل الاجتماعي وانخراط الشباب في الكتابة والقراءة من خلال أجهزة الكمبيوتر وتحميل الكتب والبحث عنها عبر محركات البحث الإلكترونية بدل المكتبات العمومية.

ورجحت هذه الدراسات أن يقع القطع مع الإبداع في عصر الهواتف الذكية، معتبرة أن الثورة الكبيرة في الاتصالات والمعلومات أعطت الفرصة لظهور أشكال جديدة من الكتابة لم تكن معروفة من قبل، وظهر ما يعرف باسم التدوين المصغر، حيث يمكن لشخص من خلال هاتفه الذكي كتابة تدوينة من 140 حرفا فقط يقرأها الملايين من المتابعين له على شبكات التواصل الاجتماعي.

وأوضحت الدراسات أن التكنولوجيا قلبت الموازين من عدة جوانب، حتى الجانب الشخصي تغيّر، فهناك الآن كتّاب لم يعودوا يستخدمون القلم بل يكتبون مباشرة على الكمبيوتر، بالإضافة إلى اعتمادهم الكلي على محركات البحث وأشهرها غوغل في تقصي المعلومات، في حين يملك البعض منهم مكتبة كبيرة تحتوي على الآلاف من الكتب والقواميس.

وبدأت الصورة القديمة للكاتب الذي لا يستطيع الكتابة دون إمساك للقلم ورجوع إلى رفوف مكتبته، تضمحل شيئا فشيئا، وتؤكد الأبحاث أن المشكل لا يكمن في مسألة تعامل الكتّاب مع التكنولوجيا، بقدر ما هي مشكلة جيل بأسره دخل الكمبيوتر حياته وجعله متلقيا للمعلومات وباثا لها عبر تدوينه تفاصيل مختلفة من حياته ومن الأحداث التي تدور حوله بشكل آني ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي.

كما أن هذا الجيل لم يعد يخصص وقتا للمطالعة لأنه موزع بين الدردشة على مواقع التواصل الاجتماعي وبين استخدام تطبيقات الهواتف الذكية.

ومع موجة هذا التطور التقني قامت صحيفة "واشنطن بوست" الأميركية، على هامش فعاليات أولمبياد ريو دي جانيرو الحالية، باستخدام برنامج كمبيوتر تم تصميمه داخليا من أجل إعداد مئات التقارير الإخبارية بشأن أحداث الأولمبياد.

وتنشر هذه التقارير الإخبارية على الموقع الرسمي للصحيفة على الإنترنت وكذلك على منصّات البث المختلفة للجريدة مثل حساب الصحيفة على موقع تويتر للتواصل الاجتماعي، دون أيّ تدخل من عنصر بشري.

ونقل الموقع الإلكتروني "ري كود" المعنيّ بأخبار تكنولوجيا المعلومات عن جيريمي جيلبرت رئيس قسم المشروعات الرقمية الجديدة بالصحيفة قوله إن "الفكرة تكمن في استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في إعداد تقارير إخبارية سريعة ومبسطة بشأن نتائج المباريات، وأعداد الميداليات وغيرها من التقارير القائمة على البيانات الإحصائية، بحيث يتفرغ الصحافيون بالجريدة لإعداد التقارير الأكثر أهمية وصعوبة".

وأكد جيلبرت "نحن لا نحاول استبدال المراسلين، ولكننا نحاول إتاحة الوقت أمامهم".

ويعكف فريق من مهندسي الكمبيوتر والصحافيين بالجريدة على متابعة البرنامج الذي يحمل اسم "هيليوجراف" وتشكيله للتأكد من أنه يؤدي المهام الموكلة إليه على النحو المطلوب.

ويقول جيلبرت إن "صحيفة واشنطن بوست لديها طموحات كبيرة في هذا المجال لا تقتصر على وجود برنامج لكتابة التقارير الإخبارية القصيرة".

ولم يقف تأثير ظهور هذه الوسائط عند حد ظهور أشكال جديدة من الكتابة أو التدوين فقط، بل بلغ حد ابتكار باحثين في جامعة هارفارد لقلم سحري لطباعة المعادن بتقنية ثلاثية الأبعاد في الهواء، وصناعة نماذج مختلفة من هذه المعادن بشكل فوري.

ولا يحتاج القلم الذي تم الكشف عنه في وقت سابق من هذا العام إلى أدوات إضافية للعمل، بخلاف الطابعات ثلاثية الأبعاد التقليدية، وبدلاً من ذلك، يستخدم حبراً مصنوعاً من جزئيات نانو الفضة، والتي تتحول إلى الحالة الصلبة بواسطة شعاع ليزر مع خروجها من القلم.

وتمكن صناعة العديد من الأشكال المعقدة والمنحنية باستخدام هذا القلم، والتي يمكن أن تساهم في تعزيز تقنيات جديدة في عالم الأجهزة الإلكترونية القابلة للارتداء.

ويتم ضخ الحبر المعدني عن طريق فوهة القلم، وتساعد الطاقة المنبعثة من شعاع الليزر على تحوّل هذا الحبر إلى الحالة الصلبة، مما يسمح للمستخدم بإنشاء العديد من الأشكال والتصاميم خلال ثوان معدودة بتحريك القلم في الهواء.

ويرى القاص والناقد المصري يوسف الشاروني، أن هناك تطورات على ضوء ما حدث في القرن العشرين، خاصة في الربع الأخير منه حيث تسارعت الاكتشافات، وهو ما نتجت عنه تطورات علمية سريعة في كل مجالات الحياة، مشيرا إلى أن ما تحقق في هذا الصدد من تطورات كان بفضل ثورة الاتصالات والمعلومات، حتى أن العالم أصبح قرية عالمية واحدة وصغيرة، ولم يعد كما كان في الماضي عالما مترامي الأطراف، وذلك بفضل شبكة الإنترنت وتطبيقات هذه الشبكة.

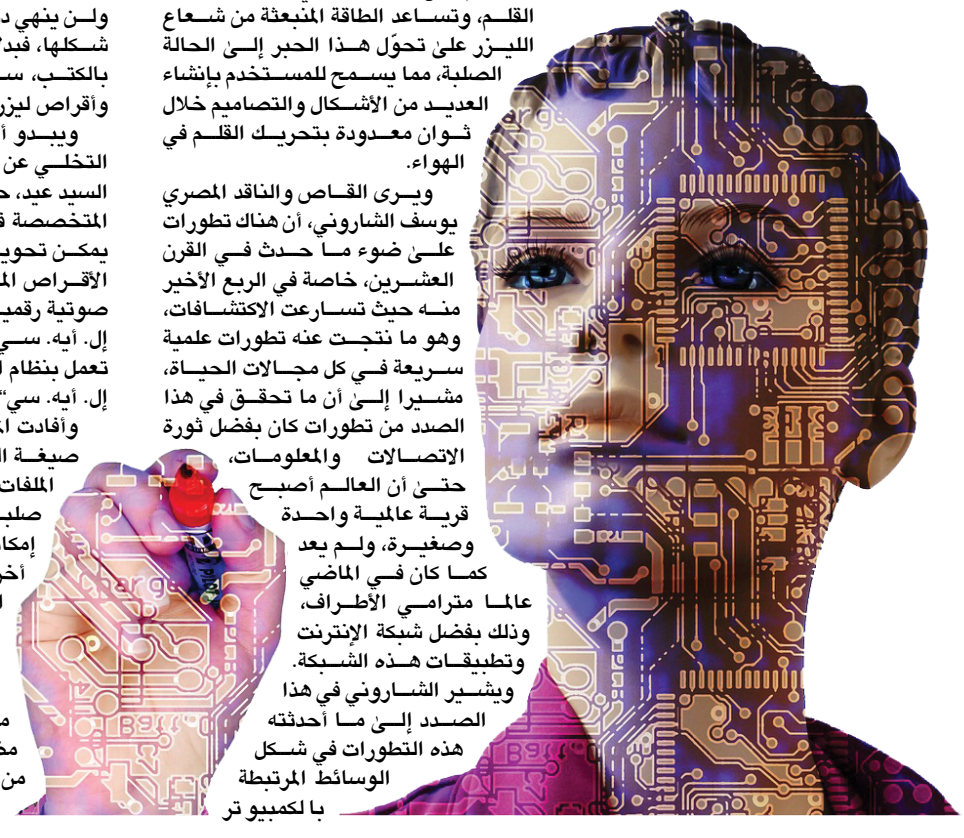

ويشير الشاروني في هذا الصدد إلى ما أحدثته هذه التطورات في شكل الوسائط المرتبطة بالكمبيوتر والآلي والإنترنت من تطورات في أشكال مخرجات الإبداع خاصة القصة، حيث لم تعد القصة مقصورة فقط على شكل القصة المطبوعة التقليدية المعروفة فحسب، بل ظهرت أشكال أخرى حيث بدأ الشباب في تحويلها إلى قصة مرئية أو مسموعة من خلال الوسائط المتعددة والتطبيقات التي تزخر بها الهواتف الذكية.

وكان أحد المخرجين المبدعين قد قدم ما يمكن اعتباره أول فيلم في العالم من تأليف الكمبيوتر، خلال مهرجان الخيال العلمي الذي أقيم مؤخرا في لندن.

وهذا ما يبين أن الذكاء الاصطناعي أخذ حيزا في حياة البشر بعيدا عن الأدوات القديمة، حيث قال مخرج الفيلم في تقديمه للفيلم "كنا نشعر بالفضول لمعرفة ماذا يمكن أن يحدث، فيما لو قمنا بتدريب روبوت ذكيّ على عمل شيء مختلف، وهو كتابة سيناريوهات أفلام الخيال العلمي".

> كتابة تدوينة من 140 حرفا فقط من خلال الهاتف الذكي تحظى بالملايين من المتابعين على شبكات التواصل الاجتماعي

ويعتبر مدير مهرجان الخيال العلمي على خلفية مقابلته مع الروبوت الذي كتب نص الفيلم، وكانت نتيجة المقابلة عبارة عن إجابات غير متناسقة، تجمع بين عبارات لا يربط بينها أي رابط، أن كتابة نصوص أفلام سينمائية ناجحة باستخدام الذكاء الاصطناعي لا تزال أمرا بعيد المنال.

ويرى الناقد المصري محمد السيد عيد، أن الكتابة ستبقى ما بقي الإنسان، ولن تتغير إلا الوسائط التي تنقل الإبداع إلى المتلقين، وبالتالي سيتغير شكل الكتاب لكن لن ينتهي دوره، فإذا كانت الصدارة متوقعة للكمبيوتر، فإن ذلك لن يقضي على المكتبات ولن ينهي دورها، ولكنه يؤدي إلى تغيير شكلها، فبدلا من المخازن والأرفف المكدسة بالكتب، ستحتوي المكتبة على ديسكات وأقراص ليزر.

ويبدو أن الطفرة التكنولوجيا تحاول التخلي عن هذه الأقراص التي أشار إليها السيد عيد، حيث كشفت مجلة "ستريو بلاي" المتخصصة في موضوعات التكنولوجيا أنه يمكن تحويل التسجيلات المحفوظة على الأقراص المضغوطة "سي دي" إلى ملفات صوتية رقمية، أي إلى صيغة الترميز "إف. إل. أيه. سي" بالنسبة إلى الأجهزة التي تعمل بنظام التشغيل ويندوز أو صيغة "أيه. إل. أيه. سي" في حالة أجهزة أبل.

وأفادت المجلة أنه في حال وقع استخدام صيغة الترميز المناسبة، يمكن ضغط الملفات الأصلية الموجودة على أقراص صلبة بنسبة 50 بالمئة تقريبا مع إمكانية تحويلها إلى أيّ صيغة أخرى دون أيّ مشكلات في جودة الصوت.

في الوقت نفسه فإن عشاق الموسيقى الذين ينقلون الملفات المحفوظة بصيغ بالغة المرونة مثل "إم. بي 3" إلى قرص مضغوط، فإنهم لن يتمكنوا من سماع هذه التسجيلات في حالة تشغيلها على مشغل أقراص مضغوطة أو جهاز كمبيوتر. وإذا أعيد تحويل التسجيل الموجود على قرص مضغوط إلى ملف صوتي رقمي مرة أخرى فإن جودة الصوت ستتراجع بشدة وهو الأمر المعروف باسم "فقدان تعاقب الأجيال".

وقال الشاعر المصري شعبان يوسف، أتصور أن مستجدات مثل العولمة تهدف إلى ضرب الثقافة الخاصة لكلّ أمة من الأمم ذات الحضارة، ويبدو أن التطور التكنولوجي لا يضع البشر في خطر من خلال الثقافة فحسب، إذ كشف خبراء من جامعة واشنطن عن قدرة قراصنة الإنترنت على الوصول إلى أدمغتنا عبر قراءة الإشارات العصبية والحصول على معلومات شخصية من خلال أجهزة الكمبيوتر. ويشعر الباحثون بقلق شديد تجاه هذا الأمر، حيث طالبوا المسؤولين بتمكين إجراءات الخصوصية ومعايير الأمن من أجل منع تسلل القراصنة إلى داخل الدماغ البشري.

ويستخدم قراصنة الإنترنت واجهة الدماغ الحاسوبية المستخدمة على نطاق واسع في المجال الطبي وغيرها من الصناعات بما فيها التسويق، من أجل تسجيل ردة الفعل اللاإرادية للدماغ.

وعلى الرغم من أن هذه التقنية وجدت في البداية من أجل تحسين حياة الإنسان، ولكن يبدو أنها وصلت إلى الأيدي الخطأ التي تعبث فسادا من خلالها.

ويقول باحثون في الجامعة إن الوقت ينفد حاليا وعلى المسؤولين تعزيز الأمن من أجل وقف أولئك الذين يريدون استخدام عقولنا لمحاربتنا.

وقال الخبير، هوارد تشيزك "إن لم نعالج هذه المشكلة الخطيرة بسرعة، ستخرج الأمور عن السيطرة".

وأوضح تشيزك عند تشغيل لعبة فيديو قد نرى شعارات لعلامات تجارية مألوفة تظهر على الشاشة ثم تختفي، حيث يضع القراصنة مثل هذه الصور في اللعبة ويسجّلون استجابة الدماغ اللاإرادية لهم باستخدام "بي سي أي" الواجهة العصبية المباشرة التي يمكن ارتداؤها وهي مزودة بأقطاب متصلة بجهاز الكمبيوتر.

وأشار تشيزك إلى إمكانية استخدام هذه التكنولوجيا يوما ما في الدعاية، بغاية جمع المزيد من المعلومات عن العملاء، كما يمكن تحديد ردّة فعل المستهلك تجاه الإعلان عن سيارة جديدة مثلا أو صورة للبيتزا لمعرفة ما يرغب به المستهلك.

والجدير بالذكر، أن تقريرا جديدا أظهر إنفاق أصحاب الهواتف الذكية أكثر من 80 بالمئة من وقت استعمالهم للأجهزة الذكية ضمن خمسة تطبيقات.

ويستمد التقرير بياناته من دراسة حديثة أجرتها مؤسسة فورستر للأبحاث اعتمدت فيها على مزيج من المعايير مثل تتبع السلوك والتبليغات الشخصية التي يقوم بها المستخدم، حيث توضّح الدراسة تركيز معظم وقت استخدام الهواتف الذكية على عدة تطبيقات محددة.

وتعتبر هذه التطبيقات الأكثر شعبية بالنسبة إلى مستخدمي الأجهزة المحمولة، وذلك على الرغم من وجود الملايين من التطبيقات المتاحة لمستخدمي نظام "أندرويد" و"أي أو إس" و"بلاك بيري" و"ويندوز فون" وغيرها من الأنظمة.

وشكلت تطبيقات فيسبوك وغوغل التطبيقات الأساسية والأهم لمستخدمي الهواتف المحمولة، بالإضافة إلى تطبيقات أخرى مثل واتس آب وسناب شات.

جديد التكنولوجيا

❏ الشركة المصنعة للأحذية الذكية "فيكسول" تبتكر أحذية مرفقة بشاشات "إل أي دي" متكاملة وأجهزة استشعار للعبة بوكيمون غو.

وسيزود الجزء الخلفي من الحذاء فوق الكعب بشاشة قادرة على عرض صور متحركة بالأسود والأبيض. وسيدمج في هذه الأحذية الذكية أيضا محرك اهتزاز وأجهزة استشعار للإشارة إلى مكان البوكيمون (مكان اختبائه، حيث يمكنك أن تجد الكرات وغيرها من لوازم اللعبة) وغير ذلك من الأحداث ذات الصلة باللعبة. وتمكن إعادة شحن بطارية الحذاء عن طريق محطة شحن لاسلكية، وتستمر البطارية في العمل لمدة 8 ساعات.

❏ فريق من الباحثين في الولايات المتحدة يبتكر نوعية من الأجهزة الإلكترونية التي يمكن أن تنفجر ذاتيا بعد انتفاء الغرض منها، وبالتالي يمكن استخدامها للحفاظ على الأسرار العسكرية على سبيل المثال ومنع وقوعها في أيدي الأعداء. وتندرج هذه الأجهزة في إطار تقنية جديدة يطلق عليها اسم "الإلكترونيات العابرة"، وهي أجهزة يمكنها تنفيذ مجموعة متنوعة من المهام إلى أن تتعرض للضوء أو الحرارة أو مادة سائلة، فتقوم عندئذ بتفجير نفسها ذاتيا.

وكتب فريق البحث الذي شارك في الدراسة أنه "بعكس الأجهزة الإلكترونية التقليدية التي يتمّ تصميمها للعمل لفترات طويلة من الوقت، فإن الصفة الفريدة والرئيسية للإلكترونيات العابرة هي قدرتها على العمل لفترة قصيرة محددة قبل أن تدمر نفسها ذاتيا بشكل كامل".

❏ شركة مايكروسوفت تقوم بتطوير تطبيق "بيكس" من أجل تحسين الصور، التي يتم التقاطها بواسطة الأجهزة الجوالة المزودة بنظام أبل "آي أو إس" بدءاً من الهاتف الذكي "آيفون إس 5".

وأوضحت الشركة الأميركية أن التطبيق يعتمد على خوارزميات لتحسين الصورة ويقوم بإجراء الجزء الأكبر من عمليات تحرير الصورة، حيث يقوم بتحديد أفضل صورة تم التقاطها من بين الصور المتتابعة، كما يتمّ تعديل الوجوه، التي تمّ التعرف عليها بشكل أفضل في المشهد أو أن يتم تحريرها بشكل لاحق.

❏ شركة "إتش بي" تكشف النقاب عن حقيبة "باوراب" والتي تبدو وكأنها حقيبة ظهر عادية بينما يمكنها شحن لاب توب شحنة كاملة أو شحن الهاتف الذكي 10 مرات، وهذا بفضل البطارية المدمجة في الحقيبة بسعة 22400 ملّي أمبير، إذ تم تصنيع الحقيبة من قماش التهوية وشاشات لمراقبة الحرارة ضمانا لعدم تعرضها للحرارة المرتفعة.

وأفادت إتش بي أنها حصلت على موافقة الطيران الاتحادي، بعد أن وقع تصنيف البطارية المدمجة في الحقيبة بقوة 84 واط/ساعة.

❏ شركة بريطانية ناشئة تطوّر تقنية جديدة تقوم بمسح عروق إصبع المتسوّق، للحصول على خارطة فريدة من نوعها لكل فرد، وربط هذه المعلومات مع بطاقة الائتمان أو الحساب المصرفي، للسماح للشخص بالدفع ببساطة من خلال وضع إصبعه في ماسح ضوئي بحجم الجيب بدلا من البطاقات الائتمانية العادية، ومن المنتظر اختبار هذه الميزة مستقبلا في ملهى ليلي في لندن، كما تخطط الشركة للتعاون مع مجموعة من المطاعم لدعم التقنية الجديدة.

وكانت شركة "ماستر كارد" للبطاقات الإلكترونية أكدت أنه بإمكان مستخدميها الاعتماد على صور السيلفي عند الشراء.

أصحاب اللياقة العالية أكثر كفاءة في التخلص من الحرارة وفي تبريد الجسم

التدريب المكثف يزيد حجم الغدد وقدرتها على إفراز العرق

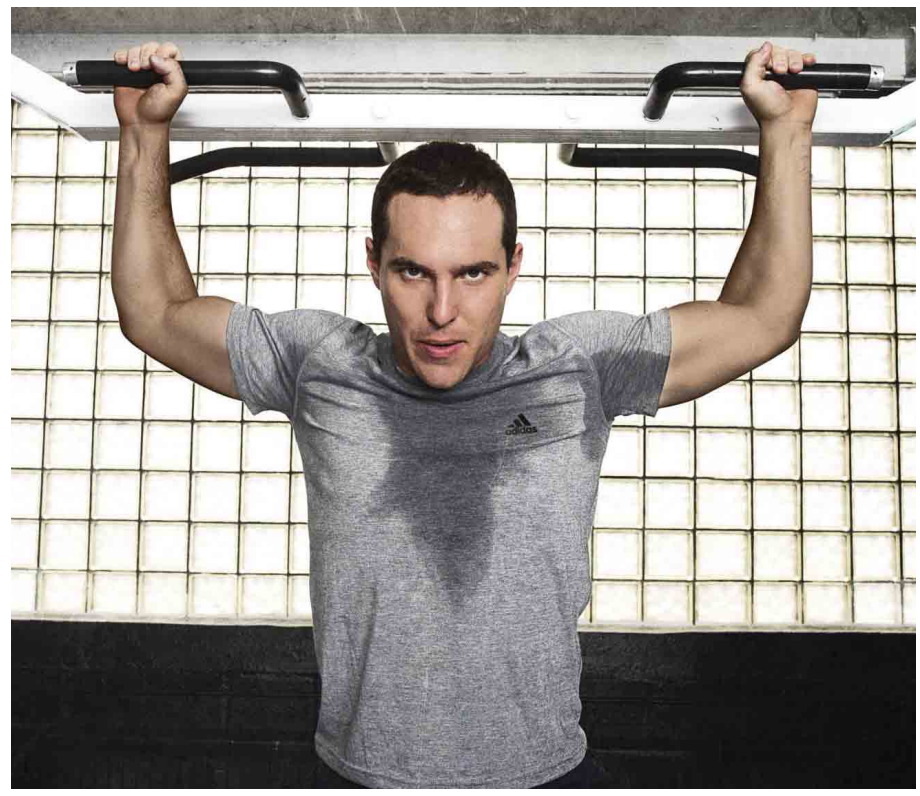

كلما كان تصريف الحرارة أسرع كلما زادت قوة الأداء

تؤثر شدة الجهد البدني ومستوى اللياقة البدنية في معدلات التعرق، لا سيما عند ارتفاع درجات الحرارة ونسبة الرطوبة. ويساعد النشاط المنتظم على تدريب الجسم على سرعة التخلص من الحرارة وإنجاح عملية التبريد لاستكمال بقية التمارين الرياضية دون الشعور بالإعياء منذ الوهلة الأولى.

❑ **لندن** – كشفت دراسات حديثة أن أصحاب اللياقة العالية يتعرقون بشكل أكبر ويتخلّصون من الحرارة بصورة أكثر كفاءة من ذوي اللياقة المنخفضة، حيث يؤدي التدريب البدني في الجوّ الحار إلى زيادة حجم الغدد العرقية وإمكاناتها على إفراز العرق. وعلى الرغم من أهمية التعرّق وفاعليته في التخفيف من ارتفاع درجة حرارة الجسم، إلا أن التعرق المستمر، خاصة أثناء الجهد البدني طويل الأمد، يؤدي إلى فقدان كمية كبيرة من سوائل الجسم، حيث يمثل الماء أكثر من 99 بالمئة من محتوى العرق. وإذا لم يتم تعويض السوائل المفقودة، فإن النتيجة هي حدوث جفاف للجسم يقود إلى آثار سلبية على جهاز التحكم الحراري، حيث تنخفض قدرة الجسم على إفراز العرق ويقل ضخ الدم إلى الجلد.

> هناك تأثير سلبي لارتفاع درجة الحرارة الخارجية أو زيادة الرطوبة النسبية على مستوى الأداء البدني مرتفع الشدة

وقال البروفيسور إنغو فروبوزه من المركز الصحي التابع للجامعة الرياضية بمدينة كولونيا في غرب ألمانيا "يجب على الرياضيين بذل مجهود أقل فقط للحصول على أداء مماثل، على سبيل المثال عند الصعود على الدرج حتى الطابق السادس . كما أن وظيفة تنظيم درجة الحرارة لدى أصحاب اللياقة العالية تعمل بشكل أفضل بكثير من الأشخاص الذين لا يمارسون الرياضة.

وفي غرفة الساونا يمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح؛ إذ يتصبّب العرق من كل مسام أجسام الأشخاص المُدرّبين الذين اعتادوا الذهاب إلى غرف الساونا فور دخولهم، أما الأشخاص الجُدد فلا يتعرّقون تقريباً. وأضاف الخبير الألماني إنغو فروبوزه أن "وظيفة تنظيم درجة الحرارة تكون أسوأ لدى الأشخاص المبتدئين؛ إذ لا يكاد الجسم يتخلّص من الحرارة. وهذا يماثل أيضاً ما يحدث أثناء ممارسة الرياضة". فمع كل حركة يقوم الجسم بتوليد حرارة من خلال حرق الطاقة. وكلّما استمر ذلك لفترة أطول وبشكل مكثّف، فإنه يتم إنتاج المزيد من الحرارة في الخلايا.

وأوضح الخبير الرياضي أنه "لغرض الحفاظ على قدرة الأداء، يجب تصريف الحرارة في أسرع وقت ممكن عن طريق الجلد لأن الخلايا والجسم لا يمكنهما تحمّل الحرارة". وأضاف "لا يعمل محرك عملية الأيض إلا في ظل درجة حرارة الجسم الطبيعية؛ إذ يستطيع الأشخاص الرياضيون تحقيق معدلات أداء عالية. وعلى العكس من ذلك فإن سخونة الجسم لا تعتبر من مثبّطات القدرة على الأداء فحسب، بل إنها تُمثل خطورة على الجسم مثل الحمّى التي نعرفها جميعاً".

ولهذا يُمكّن الأشخاص الرياضيين من تنظيم درجة الحرارة بشكل أفضل بكثير، ومن ثم فإنهم يتعرقون بشكل أسرع وأكثر عند قيامهم بأداء مماثل مقارنة بغير الرياضيين.

يشار إلى أن غير الرياضيين يمكنهم إفراز نحو 0.8 لتر تقريباً من العرق في الساعة، في حين تصل كمية إفرازات العرق لدى الأشخاص الرياضيين إلى ثلاثة لترات. ورغم ذلك ترتفع درجة حرارة الجسم في كثير من الأحيان لدى الرياضيين من 39 إلى 40 درجة، إلا أنها لا تظهر بوضوح إلا في وقت متأخر، وعندئذ يصبحون أقلّ قدرة وكفاءة في الأداء.

ويفسّر الأطبّاء أن مجرد التعرض، فترة طويلة، للجوّ الحار عالي الرطوبة، دون أيّ جهد بدني يذكر، يعد كافياً لأن يؤدي إلى عجز الجسم عن المحافظة على درجة حرارته عند المستوى الاعتيادي، لذا فإن القيام بجهد بدني لمدة طويلة سيزيد، دون شك، من العبء الملقى على آلية التحكم الحراري. ويؤدي ذلك بالتالي إلى زيادة إنتاج الحرارة من الجسم بمقدار أعلى من قدرة الجسم على التخلّص منها، ممّا يعرّض الفرد بعد ذلك إلى الإصابات الحرارية، خاصة إذا لم يكن متأقلماً على التدريب البدني في الجوّ الحار.

ولمعرفة حجم إنتاج الطاقة الحرارية أثناء الجهد البدني في الجو الحار، يجدر أن نشير إلى أن إنتاج الحرارة من الجسم أثناء الراحة يعادل 1.25 كيلو سعرة حرارية في الدقيقة لشخص متوسط الوزن، بينما يرتفع ذلك أثناء الجهد البدني التحملي (كالماراثون مثلاً) إلى أكثر من 15 كيلو سعرة حرارية في الدقيقة، أي ما يوازي 1000 كيلو سعرة حرارية في الساعة تقريباً.

وتشير البحوث إلى أن ارتفاع درجة حرارة الجسم الداخلية يعتمد على الشدة النسبية للجهد البدني، حيث وجدت إحدى الدراسات الحديثة أن شدة الجهد البدني منسوبة إلى الاستهلاك الأقصى للأكسجين وهي العامل المؤثر على ارتفاع درجة حرارة الجسم أثناء الركض على السير المتحرك لمدة 60 دقيقة، لدى مجموعة من المشاركين في البحث. فهل يؤثر ارتفاع درجة الحرارة الخارجية سلباً على الأداء البدني؟

من المؤكد أن ارتفاع درجة الحرارة الخارجية إذا تزامن مع زيادة معدل شدة الجهد البدني سوف يلقي عبئاً إضافياً على جهاز التحكم الحراري والجهاز الدوري معاً. لكن السؤال المطروح هو هل هناك تأثير سلبي على الأداء البدني جراء ارتفاع درجة الحرارة الخارجية؟ بالطبع هناك تأثير سلبي لارتفاع درجة الحرارة الخارجية أو زيادة الرطوبة النسبية على مستوى الأداء البدني مرتفع الشدة، خاصة في المسابقات التي تتطلب عنصر التحمل، أو تلك التي تدوم لفترة طويلة (أكثر من 15 دقيقة). ويعتقد نظرياً أن السبب في انخفاض الأداء البدني في الجوّ شديد الحرارة ناتج عن حدوث تنافس بين العضلات العاملة والجلد على الدم الصادر من القلب (أي على نتاج القلب، وهو كمية الدم التي يضخها باللتر في الدقيقة). فالعضلات العاملة تتطلب ضخ أكبر كمية من نتاج القلب المحمّل بالأكسجين إليها، لتتمكن من أداء الانقباض العضلي اللازم للجهد البدني بفاعلية، بينما نجد أن الجلد يحتاج إلى زيادة الدم المتجه إليه حتى يتمكن من القيام بعملية التبريد الضرورية لخفض درجة حرارة الجسم. كما يتأثر الجهاز القلبي الدوري من جرّاء الجهد البدني طويل الأمد في الجوّ الحار، خاصة عندما لا يتمّ تعويض السوائل المفقودة من خلال العرق، حيث من الممكن أن يحدث انخفاض في كمية العائد الوريدي وهو الدم العائد إلى القلب عبر الأوردة، نتيجة للتوسع الشديد في الأوعية المحيطية جرّاء ضخ الدم إلى الجلد كإجراء لخفض درجة حرارة الجسم. ويقود انخفاض العائد الوريدي إلى انخفاض الضغط والعبء على القلب، مما يؤدي بعد ذلك إلى انخفاض في الضغط الشرياني (بسبب انخفاض نتاج القلب مع بقاء الأوعية الدموية في حالة توسع). وعند هذه المرحلة، فإن الجسم سيقوم بحماية التوازن الداخلي له (أي المحافظة على الضغط المركزي) على حساب التحكم الحراري، والنتيجة هي انخفاض كمية الدم المتجهة إلى الجلد، وكذلك انخفاض كمية العرق بغرض ترشيد سوائل الجسم. فترتفع نتيجة لذلك درجة الحرارة الداخلية للجسم بما يصاحب ذلك من تعب وإعياء مع احتمال التعرض للإصابات الحرارية إذا لم يتم التوقف عن أداء الجهد البدني.

وعلى الرغم ممّا سبقت الإشارة إليه من تغيرات ملحوظة في الجهاز الدوري بسبب ارتفاع درجة الحرارة الداخلية للجسم كنتيجة للجهد البدني في الجو الحار، فإن العديد من الدلائل العلمية الحديثة يشير إلى أن الأسباب الرئيسية لانخفاض الأداء البدني في الجوّ الحار لا تكمن في التغيرات الحاصلة في الجهاز الدوري، بل تكمن في الجهاز العصبي المركزي، حيث يعتقد أن ارتفاع درجة الحرارة الداخلية للجسم فوق حدّ معين يؤدي إلى تثبيط الإيعاز المحفز للعضلات والقادم من الدماغ. والنتيجة هي انخفاض مستوى الأداء البدني والشعور بالتعب المركزي مع ظهور الأعراض الأخرى المصاحبة للجهد البدني في الجو الحار، كالشعور بالغثيان، والدوخة. والاعتقاد السائد هو أن هذه الأعراض، بما في ذلك تدنّي قوة العضلات على إنتاج القوة الانقباضية، تمثل نوعاً من الحماية للجسم قبل أن يصل به الأمر إلى حالة من الهبوط الدوري أو الفشل الكلوي اللذين يمكن أن يحدثا جرّاء الإصابة بالضربة الحرارية.

أما أثناء الجهد البدني المنخفض إلى معتدل الشدة الذي لا يدوم طويلاً، فلا يُعتقد أن الأداء البدني يتأثر سلباً بشكل ملحوظ بسبب ارتفاع درجة الحرارة الخارجية لدى الشخص الذي لا يعاني من جفاف في الجسم، حيث تشير البحوث في هذا الصدد إلى أن الجسم البشري يكون قادراً على إعادة توزيع الدم من المناطق غير العاملة أثناء الجهد البدني كالأحشاء والكليتين وضخه إلى الجلد بغرض التبريد دون حدوث نقص ملحوظ للدم المتجه إلى العضلات العاملة، ودون الحاجة إلى زيادة ملحوظة في حجم نتاج القلب.

وجدير بالذكر أن حجم الغدد الدرقية لدى الأشخاص المتدرّبين والمتأقلمين مع الجوّ الحار أكبر مما هو لدى الأشخاص غير المتدربين، مما يعني أنها تستجيب للتدريب البدني كغيرها من أجهزة الجسم الأخرى. وللتدليل على أن تبخّر العرق يعد أنجع آليات فقدان الحرارة أثناء الجهد البدني في الجوّ الحار، تجدر الإشارة إلى أن الغدد الدرقية لرياضي متدرّب يمكن لها أن تنتج ما مقداره 30 مليلتر من العرق في الدقيقة (أي 1.8 لتراً في الساعة) وينتج عن عملية تبخر مليلتر واحد من العرق فقدان حراري من الجسم مقداره 0.6 كيلو سعرة حرارية، أي أنه في ساعة واحدة يمكن فقدان ما يتجاوز 1000 كيلو سعرة حرارية.

> السبب في انخفاض الأداء البدني في الجو الحار ناتج عن تنافس العضلات العاملة والجلد على الدم الصادر من القلب

كما أن كل العرق الذي يفرزه الجسم لا يتم تبخّره فعلياً، وبالتالي يؤدي إلى فقدان الحرارة أو إلى تبريد الجسم، بل إن بعضاً من العرق يتم مسحه من الجسم أو يسقط كقطرات على الأرض. وتشير معظم الدراسات التي أجريت على العديد من الرياضيين في مختلف الرياضات التحمّلية إلى أنهم قد يفقدون كميات من السوائل عن طريق العرق، تتراوح ما بين لتر إلى لترين في الساعة، أي ما يوازي تقريباً 5 و6 بالمئة من وزن الجسم.

ويقول طبيب الجلد آدم فريدمان في مركز طب الأمراض الجلدية في نيويورك، "يعرّف التعرق بأنه أفضل آلية داخلية لتنظيم درجة حرارة الجسم". ففي الحقيقة، الوظيفة الرئيسية للعرق هي تبريد الجسم بينما ترتفع درجة حرارة الجسم الداخلية أثناء ممارسة الرياضة، والجلوس في حمام بخار أو العمل في الحديقة في يوم حار.

ويضيف فريدمان، "التعرق يساعد الجسم على التخلص من الحرارة الفائضة حتى لا ترتفع درجة الحرارة ويصاب الشخص بالأمراض".

والتعرق هام جدا في عملية تبريد الجسم الطبيعية لدرجة أن عدم القدرة على التعرق يمكن أن تعتبر حالة صحية خطرة. وارتفاع درجة الحرارة الزائد له تأثيرات مضادة على القلب ووظائف الجسم الأخرى. ويؤكد الأطباء بأن المتعرقين يساعدون على طرد ومقاومة البكتيريا سيئة السمعة، المعروفة بأنها مسؤولة عن صعوبة معالجة بعض الإصابات. ويوضح فريدمان، "يلعب العرق دورا هاما في صد البكتيريا والفطريات الخطيرة". ذلك لأن العرق يحتوي على "النيتريت"، التي تعمل فور وصولها إلى سطح الجلد على التحول إلى "أكسيد النتريك"، وهو غاز فعال ذو خصائص قوية في مكافحة الجراثيم و الفطريات.

ويتابع فريدمان "يحتوي العرق أيضا على مضاد حيوي طبيعي أو مضاد للميكروبات يعرف باسم 'ديرميسيدين'، الذي يمكن أن يقتل أيّ جراثيم أخرى على سطح الجلد. ويساعد التعرق الجسم على التخلص من السموم بشكل طبيعي". وأظهر بحث سابق بأن العرق يحتوي على العديد من الأنواع المختلفة من المركبات، ويضم كميات صغيرة من المعادن السامة، مثل الكادميوم والألمنيوم والمنغنيز. ولهذا السبب يعتبر التعرق نوعا من العلاج الطبيعي للتخلّص من السموم.

يذكر أن الجلد يحتوي على 2 الى 5 مليون غدة عرقية وينتج أكثر العرق في الغدد العرقية التي تنفتح مباشرة إلى الجلد، بينما توجد السموم نموذجيا في عمق الجلد. ولكن مع التعرق تبدأ هذه السموم بالخروج إلى السطح من خلال المسامات، سوية مع أيّ ترسبات. وكل ذلك التطهير من السموم يمكن أن يعطي نظام المناعة دفعة قوية ضد الالتهابات.

هل تؤدي ثقافة «التنازل» إلى حل أزمة العنوسة في البلدان العربية

العوامل الاقتصادية والضغوطات الاجتماعية أبرز أسباب العزوف عن الزواج

باتت مشكلة العنوسة تؤرّق العديد من المجتمعات العربية، خاصّة بعد تفاقمها، بسبب تردّي الأوضاع الاقتصادية التي تمرّ بها بعض الدول حاليا. ومن أجل محاربة استفحالها ظهرت مبادرات متنوّعة تدعو إلى الحدّ من ارتفاع تكاليف الزواج، وتخفيف "المهور" عن كاهل الشباب، والقضاء على أزمة انتشار العنوسة. المبادرات اقتربت من جوانب، كان محرّما تقريبا في السابق الاقتراب منها، مثل التزام العريس بمهر كبير و"شبكة" (هدية من الذهب تقدم للعروس)، ومنزل مؤثث بأحدث التقنيات، وحفل عرس يتحدث عنه الجميع. لكن هل المرأة العربية مؤهلة لثقافة "التنازل" عن تلك الأشياء؟ وهل ذلك في صالحها؟ وهل يخفّض بالفعل نسبة العنوسة؟ ولماذا تقبل الفتاة هذا الاتجاه؟

شيرين الديدامووني
كاتبة من مصر

❏ أطلق شباب في الأردن حملة "معيش غير دبلتين تتجوزيني؟" من خلال صفحة على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) وجاءت هذه الحملة كمحاولة لتغيير بعض العادات والتقاليد، وسط ارتفاع أسعار الذهب، والتضييق على ثقافة "المظاهر" ومساعدة الشبان الذين يقعون ضحية لهذه الثقافة في ظل أوضاع اقتصادية تزداد سوءا.

وفي السعودية أطلق شباب "هاشتاغ" على موقع "تويتر"، «الزواج_المختصر، وحصد أعلى نسبة مشاركة خلال الأسابيع الماضية، وصل عددها إلى أكثر من مليون مشاركة.

> الحالة المادية وغلاء المهور وارتفاع تكاليف المعيشة لم تعد من أسباب العنوسة الرئيسية، بل إن هناك أسباباً جديدة تؤثر على معدلات عنوسة الشباب والفتيات، مثل تغير مفهوم الارتباط والزواج

وطالب مغردون شاركوا في "هاشتاغات" حملت عناوين مختلفة ومضمونها واحد للحد من الإسراف، وأهمية تقبّل جميع أفراد المجتمع للفكرة بنشر التجارب الشخصية وتعميمها عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ووجّه أصحاب الحملة رسالتهم إلى مشايخ القبائل وعقلاء المناطق في المملكة، باختصار حفل العرس على أقارب العريس والعروس في المنزل، والتوقف عن تكاليف التجمّعات والتبذير في الزواج. تلك المبادرات لم تكن الأولى من نوعها بالسعودية فقد سبقتها مبادرة الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة بتوجيه المسؤولين لعقد اجتماع بشيوخ القبائل لإعداد وثيقة لمعالجة ارتفاع المهور والحدّ من الإسراف في الزواج.

ولم تكن مصر بعيدة عن تلك الحملات فقد انتشرت أخيرا مبادرات ودعوات واسعة مثل "شبكة فضة"، و"بلاها شبكة"، و"ماتشتروش دهب"، للتسهيل على الشباب، وإعفائهم من شراء المشغولات الذهبية، والاكتفاء بخاتم الزواج، بجانب إلغاء بعض أنواع "الرفاهيات" من أثاث المنزل والاهتمام بالأساسيات.

حسب القائمين على بعض المبادرة في عدة محافظات مصرية، فإن الهدف حل مشكلة 13.5 مليون شاب وفتاة أدرجهم تقرير الجهاز المصري المركزي للمحاسبات (تابع للحكومة) ضمن من تعدّاهم سنّ الزواج.

وبدأت الأصوات ترتفع مطالبة بإلغاء "الشبكة"، وتحدث أئمة المساجد في خطب الجمعة والدروس الأسبوعية، واستشهدوا بأحاديث نبوية وآيات قرآنية عن وسطية الدين، وطالبوا الأهالي باختيار "أصحاب الخلق والدين" للزواج من بناتهم.

وأوصى قساوسة ورهبان خلال عظاتهم في الكنائس بعدم المغالاة في قيمة "الشبكة"، والاكتفاء بقطع محدودة من المصوغات الذهبية أو الاستغناء عنها، تخفيفا على الشباب المقبل على الزواج.

وأكدت أمنة نصير أستاذة الفقه والعقيدة بجامعة الأزهر على ضرورة تيسير إجراءات الزواج للحدّ من العنوسة، مثل الاكتفاء بـ"شبكة" من الفضة، أو خاتمين فقط، بالإضافة إلى عقد القران في المساجد وإلغاء الأفراح التي تكلّف الآلاف من الجنيهات. وعند فسخ الخطوبة تعود له، وإذا كان الفسخ بعد العقد يعود نصفها فقط، وإذا خلا بها تبقى للزوجة، هكذا تقول التقاليد.

وقد أجرى المركز المصري لبحوث الرأي العام "بصيرة"، استطلاعا حول مدى موافقة الفتيات على تسهيل بعض عادات وتقاليد الزواج، أظهر أن 61 بالمئة من الفتيات المصريات يوافقن على الزواج بدون "شبكة"، و38 بالمئة يوافقن على الزواج بدون مهر، فيما توافق 3 من كل 4 فتيات غير متزوجات على الزواج بدون سفر لقضاء شهر العسل.

ولم يتوقف الأمر عند التأييد، بل وصل إلى اتهام الأصوات المطالبة بالتيسير لمن ترفضن التنازل عن "الشبكة" أو المهر بأنهن تنظرن للزواج ويعتبرنه بيعا وشراء.

وأوضحت مها عبدالستار استشارية العلاقات الأسرية أن المقارنة بين المجتمعات العربية والغربية مغلوطة تماما، لأن اختلاف الثقافات ينتج عنه اختلاف الطقوس وبالتالي اختلاف الحقوق والواجبات. وقالت لـ"العرب" إنها لا تدعم المغالاة في البنود المادية للزواج، لكن يجب أن يكون هناك حدّ أدنى من الحقوق، وهناك فرق بين تيسير الزواج، والزواج بدون ثمن، مشددة أن "ما يأتي رخيصا أو بدون ثمن يذهب أيضا كذلك".

هذه النوعية من النصائح لم تجد صداها عند فتيات تجاوزن سن الثلاثين، لأن وصول المرأة إلى هذا العمر يجعلها مضطرة لتبنّي ثقافة "التنازل" للهروب من شبح العنوسة، وتتراجع شيئاً فشيئاً مستبدلة قناعتها السابقة بأخرى نابعة من رضا داخلي أو مؤثّر خارجي، رغبة منها في تكوين أسرة وإنجاب الأطفال والهروب من شبح الضغوط الاجتماعية التي قد تواجهها.

كثرة الحلي تثقل كاهل الرجل وتعمق عنوسة المرأة

وفي رأي فتيات التقتهم "العرب" أن التنازل ليس نقصا أو تقليلا من شأنهن أو قبحا في صفاتهن، بل على العكس هن في موقع قوة بإرادتهن التي جعلتهن يتنازلن عن شيء، مقابل تحقيق نتيجة إيجابية وهي التخلص من العنوسة.

وقالت سامية الساعاتي أستاذة علم الاجتماع لـ "العرب" إن تبنّي الفتيات العربيات لسلسلة من التنازلات لن يقضي كما يعتقدن على ظاهرة العنوسة. ونوّهت إلى أن غلاء المهور وارتفاع تكاليف المعيشة لم تعد من أسباب العنوسة الرئيسية، بل إن هناك أسباباً جديدة تؤثر على معدلات عنوسة الشباب والفتيات، مثل تغيّر مفهوم الارتباط والزواج لدى هؤلاء الشباب والفتيات.

المشكلة أن كثرة الاندماج في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، جعلت هناك عالما افتراضيا كبيرا للشباب، باتوا يعيشون فيه نفسياً وعاطفياً، ويرتبطون به إلى حد الاكتفاء والاستغناء عن الحياة الواقعية المتمثلة في الزواج.

ارتفاع تكاليف الزواج أصعب امتحان للعرسان

طارق بالحاج محمد
باحث في علم الاجتماع

❏ الزواج اليوم، وفي مجتمع يعيش على إيقاع العصر وتراجع قيم القرابة والقيم التقليدية الجامعة بين الناس وطغيان قيم الفردية والفردانية، أصبح مجرد محطة في الحياة. وتحوّلنا من مفهوم الزواج كرابطة إلى مفهوم الزواج كعقد اجتماعي وقانوني يبحث فيه عن أكبر عدد من الضمانات.

وللأسف فإن التحولات التي حدثت في المجتمع التونسي لم تواكبها تحولات في الذهنية والعقلية والنظرة إلى الزواج. ففي زمن ما بعد الحداثة مازلنا نصرّ على الزواج بعقلية القرون الوسطى. ونفس المرأة التي رضيت بالعيش مع صديقها في ظروف كفاف لا يتوفر فيها الحد الأدنى من الضروريات، ترفض أن تعيش معه كزوجة في ظروف أفضل من ذلك لأن الزواج بالنسبة إليها مرتبط بالاستعراض والرفاه والصورة الاجتماعية.

فالتحول من منطق الصداقة إلى منطق الزواج يكشف نفاق المجتمع والشرخ الكبير بين الخيار الشخصي والصورة الاجتماعية. ففي تونس مازال الزواج في أغلبه ليس خيارا شخصيا فقط بل أصبح خيارا عائليا واجتماعيا. وحتى وإن بدأ شخصيا وبإرادة حرة، فسرعان ما سينقلب إلى مناسبة اجتماعية مكلفة وشبه مستحيلة حين تتدخل العائلة وتفرض شروطها.

في مجتمع استعراضي يقدّس المظهر أكثر من الجوهر، ويعطي الأولوية للصورة أكثر من المشروع، ويشترط الوليمة قبل العزيمة، ويدعو للحق وهو ليس من أهله ويدّعي الحكمة وهو ليس منها في شيء، وتحكمه النزوة أكثر من الجدوى ليس غريبا أن يجد طيف كبير من شبابنا وشاباتنا صعوبة جمة في إتمام خطوة الزواج نظرا لكلفتها المشطة.

ليس غريبا أيضا أن تصل نسبة الإناث غير المتزوجات في سن الخصوبة نصف الإناث في تونس، وأن تبلغ نسبة الفتيات غير المتزوجات بين سن 30 و34 سنة عتبة 30 بالمئة بما يعنيه ذلك من خطر تهرّم السكان واتساع قاعدة الكهول. فللظروف الاقتصادية دخل كبير في ذلك تعززها ثقافة اجتماعية سائدة تعطل حلم طيف كبير من الشباب.

عندما يتحول الزواج إلى انتحار مادي

لمياء المقدم
كاتبة من تونس مقيمة في هولندا

❏ زرت القاهرة منذ أيام في إطار العمل. أثناء جلوسي في بهو الفندق بعد عودتي من الاجتماعات شاهدت ما لا يخطر على بال أحد. في الأيام الخمسة التي قضيتها في الفندق ذي الخمسة نجوم حضرت صفقات وترتيبات ومشاورات عويصة ودقيقة جدا بين مسؤولي الفندق وزوّاره ممّن يرغبون في إقامة حفلات خطوبتهم أو زواجهم في الروف، أو سطح الفندق المطلّ على النيل. أرقام خيالية لا تخطر على بال أحد، وتفاصيل تبدأ من أصغر الأشياء مثل لون غطاء الطاولة وتصل إلى أنواع المأكولات وطريقة عرضها، وتفاصيل كثيرة أخرى لا يقوى خيالي البسيط على تذكرها.

قضيت خمسة أيام في متابعة ما يحدث، وأنا لا أكاد أصدق أن هناك من ينفق أموالا بهذا الحجم على عرسه، والغريب أنني عندما سألت أحد العاملين في الفندق عن نوعية الزبائن الذين يستعينون بخدماته، قال إنهم ليسوا من الأثرياء، بل إن أغلبهم من الموظفين وأبناء الطبقة الوسطى، وإن "لأثرياء لهم أماكنهم".

لا أكاد أفهم، حقيقة، المتعة التي يجدها شخص في إنفاق كل هذه الأموال على حفل تظل ديونه تطارده وتنغّص عليه حياته لسنوات طويلة. أتفهّم طبعا رغبة الأطراف المحتفلة بمناسبة فريدة ومميزة جدا في أن تجعلها ذكرى خالدة وفرصة تبهر الحضور، وأتفهم رغبتهم أيضا في تقديم كل غال وثمين من أجل جعلها تبدو سعيدة ومبهرة وتخليدها في ذاكرة كل من حضرها، لكن ما لا أفهمه هو هذه القوة الاجتماعية الضاغطة التي تدفعهم إلى نوع من "الانتحار" المادي، فالشخص الذي ينفق الملايين من أجل يوم واحد، يقضي سنوات متعسرا متأففا مرهقا بالتكاليف والديون.

هذه الحادثة دفعتني للتفكير في شبابنا في المنطقة العربية بأكملها الذين يعانون من تكاليف الزواج الباهظة من مهر، وهدايا، وحليّ، ومصروفات لا أول ولا آخر لها، مما جعل بعضهم يعزف تماما عن الزواج، في حين انشغل البعض الآخر بمحاولة إيجاد حل لهذه العثرة التي تقف أمام مستقبل كل شاب، مثل إطلاق مبادرات هدفها الحد من تكاليف الأفراح الباهظة، والمهور الخيالية التي تطالب بها بعض العائلات كمبادرة "الزواج المختصر" في السعودية، و"التخلي عن الشبكة" في مصر، وهي مبادرات شجاعة انتشرت على سائل التواصل الاجتماعي، وتحظى بدعم الكثير من الشباب والأهالي على حد سواء، رغم التشكيك في نتائجها الفعلية على أرض الواقع.

وسواء أتت هذه المبادرات بنتائج حقيقية أم تحولت إلى حركة احتجاجية لا غير، فإنها تعبّر بشكل أو بآخر عن حجم المعاناة والعراقيل التي يجدها شباب اليوم في وضع أول خطوة على طريق استقرارهم ومستقبلهم، وحاجتهم الملحّة إلى مدّ يد العون لهم وتسهيل أمور حياتهم.

في تونس انتشرت منذ فترة بادرة "أحمر شفاه" التي تحث على الزواج من أوروبيات ونبذ التونسيات اعتراضا على ارتفاع سقف مطالبهن، ورغم عدم جديّتها إلا أنها أثارت الكثير من الاحتجاج من قبل البعض ولقيت على الجانب الآخر قبولا في صفوف آلاف المتضررين من قيود وأعراف اجتماعية وثقافية مفروضة عليهم بقوة رجعية، فالظروف ليست الظروف والحياة ليست الحياة، والبشر ليسوا هم البشر، وما كان صالحا في وقت ما، لم يعد صالحا لوقت أصبحت فيه المرأة والرجل كلاهما مسؤول عن حياته وخياراته وأولوياته.

لكن الظاهرة برمتها تبقى منطقية ومتسقة مع السياق الاجتماعي والاقتصادي الذي تعيشه بلداننا العربية، والذي تطغى عليه عقلية الاستهلاك السهل، وحالة الفراغ والتشبث بالمظاهر الزائفة، وعلاجها يستوجب علاج المؤثرات والدوافع الخلفية لها، فالعائلة التي ترى في زواج ابنتها صفقة يجب أن تعقد بأفضل الشروط وتحقق أكبر المكاسب لا يمكنها أن تستوعب رأيا بديلا يدعوها إلى "اختصار" الزواج إلى ما يشبه المناسبة الخاصة. كذلك الفتاة أو المرأة التي تنظر إلى نفسها باعتبارها غنيمة أو "شاة" فإنها تنتظر مقابلا يعادل ما صرفته على نفسها من اهتمام وتدليل ورعاية في انتظار من يدفع أكثر. في النهاية لا يجب أن نلوم الرجل على احتقاره وتعدّيه على حقوقها، فمن تُشترى بالمال أو بالذهب، تتحول إلى متاع يحق له التصرف فيه وفق مشيئته.

توجد ألف طريقة لجعل الفرح مميزا وخاصا جدا، دون أن يتحوّل إلى انتحار مادي، وتوجد ألف طريقة للتعبير عن رغبة رجل في امرأة وتمسكه بها دون أن يشتريها بمال كما تشترى الدواب، وتوجد ألف طريقة أخرى للكسب دون أن نضطر إلى بيع بناتنا لمن يدفع أكثر، فلنساعد بناتنا وأبناءنا على بدء حياة بسيطة وحقيقية تشبه عصرهم وأولوياتهم وطريقة تفكيرهم، لا عصر الجواري والنخاسين.

التونسية لا تقدم تنازلات رغم الغلاء

زواج الأقارب شهر عسل ينتهي بأمراض وراثية

الإصابة بالأمراض النفسية المتوارثة تتزايد لدى أبناء زواج الأقارب

زواج الأقارب أحد أهم أسباب العديد من الأمراض الوراثية المختلفة التي تنتشر في المجتمعات العربية والتي تعتبر زواج بناتها أو أبنائها من الغرباء أو من خارج القبيلة أو العائلة مسلكا غير مقبول اجتماعيا.

زواج الأقارب يتجذر في عدد كبير من المجتمعات العربية

❑ **القاهرة** – ينتج عن زواج الأقارب زيادة فرص تعرض الأبناء لأمراض وراثية خطيرة، أخطرها العته المنغولي وسرطان الدم، بالإضافة إلى احتمالات التصاق التوأم من الرأس أو البطن، حيث لا يشعر الزوجان من الأقارب بكوارث مثل هذه الزيجات إلا بعد انتهاء شهر العسل، واكتشاف أن الجنين في بطن الزوجة مهدد بالأمراض الوراثية.

وأظهرت دراسات طبية حديثة، ارتفاع نسب الوفاة بين حديثي الولادة للأزواج الأقارب، لتصل إلى 77 بالمئة بين أبناء العمر الواحد، وكلما تباعدت صلة القربى أخذت النسبة في الانخفاض لتقترب من 69 بالمئة، وتوشك أن تنعدم تقريبا بين الأزواج الغرباء.

وفي هذا السياق تعتبر سامية الخشاب، أستاذة علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة أن اختيار شريك الحياة عملية وثيقة الصلة بالمجتمع الذي تتم فيه، كما تشير إلى تجذر ظاهرة زواج الأقارب في عدد كبير من المجتمعات العربية، لدرجة أنه في بعض المجتمعات يتم استئذان ابن العم قبل تزويج ابنة عمه من شخص غريب، فإذا أبدى رضاه عن زواجها سارت الأمور في سلام، وإذا حدث العكس كانت ابنة عمه من نصيبه.

وأشارت الخشاب إلى انتشار زيجات الأقارب في "الأسر الممتدة"، أي متعددة الأجيال، والتي تتمتع بمستوى اقتصادي مرتفع، لذلك تسعى هذه الأسر للمحافظة على كيانها الاقتصادي وحفظ ملكيتها من الزوال والتفتيت، بالزواج بين أفراد العائلة الواحدة.

> زواج الأقارب يزيد من نسبة الإصابة بالأمراض الوراثية من وجهة نظر البعض، إلا أنه يساهم في تأصيل بعض الصفات الجميلة والمحببة في الأجيال الجديدة، كمضاعفة نسبة الذكاء والجمال وطول العمر

من ناحيتها، تحذر نسرين الأبيض، أستاذة طب الأطفال بالقصر العيني بالقاهرة، من تعرض أبناء زواج الأقارب إلى الإصابة بالعته المنغولي بنسب أكبر من غيرهم، وكذلك تعرض أجنة هذه الزيجات لحدوث ما يعرف بتكسر الدم، الذي يؤدي إلى الصفراء فيما بعد الولادة، وينتج ذلك عن اختلاف المعامل بين الأب والأم، أي أن يكون أحدهما سالبا والآخر موجبا، وتقول حول ذلك "نضطر في هذه الحالات التي نكتشفها متأخرا للأسف وبعد تمام الزواج إلى حقن الأم بأمصال معينة تحميها وتحمي الجنين، وأحيانا لا نجد أمامنا بدا من التدخل الجراحي للتخلص من الأجنة المشوّهة، أو المصابة بأمراض خطيرة يصعب التغلب عليها بعد الولادة".

وتضيف الأبيض أن الأم الحامل في هذه الحالات تخضع لإشراف طبيّ مرهق، وصيانة لصحة طفلها وسلامتها، وبرغم ما يقال حاليا عن إمكانية العلاج بالجينات وفتح المجال أمام زواج الأقارب بلا رهبة، إلا أن نوعية العلاج هذه ليست متاحة التطبيق في الوقت الراهن، والأمر لم يتجاوز مرحلة التجريب والاستنتاج، لذا فتجنّب المخاطر من البداية هو الحل الأسهل والأسلم.

لكن أحمد شوقي، زميل كلية الأطباء الملكية بلندن، يختلف مع الطرح السابق، ويقول "الدراسات الحديثة أكدت أن زواج الأقارب ليس المسؤول الأول والوحيد عن إصابة الأبناء بالأمراض الوراثية الناتجة عن انتقال الصفات المرضية المتنحية من الأبوين، وهو أمر لا ينتج عن زواج الأقارب فقط، وإنما يرتبط بمدى انتشار العامل الوراثي المرضي المتنحي بين أفراد الأسرة من ناحية والمجتمع ككل من ناحية أخرى"، مشيرا إلى أنه إذا كانت نسبة انتشار العوامل المرضية كبيرة بين أفراد المجتمع أكثر منها في الأسرة الواحدة، أصبح زواج الأقارب لا يمثل أدنى خطورة في هذه الحالة، كما في مرض الأنيميا المنجلية الذي تتعاظم فرص انتشاره لدى أطفال زيجات القربى إذا كان العامل المرضي الوراثي منتشرا بين الأسرة الواحدة بصورة أكبر من انتشاره في المجتمع الخارجي.

ويضيف شوقي "لكل عملة وجهان، فإذا كان زواج الأقارب يزيد من نسبة الإصابة بالأمراض الوراثية من وجهة نظر البعض، فإنه أيضا يساهم في تأصيل بعض الصفات الجميلة والمحببة في الأجيال الجديدة، كمضاعفة نسبة الذكاء والجمال وطول العمر".

أما أحمد فؤاد نور، الأستاذ بالأكاديمية الطبية لجراحة الأورام، فيقول "إن الأمراض التي تصيب أطفال زواج الأقارب محددة تقريبا، وهي مدرجة في العديد من الإحصائيات العالمية والمحلية، وتنحصر في أمراض الدم والأورام السرطانية والأنيميا الحادة، وكذلك أمراض الصدر والحساسية".

وأوضحت الدراسات أن إصابة هؤلاء الأبناء بالأمراض الوراثية، يؤثر بالسلب على حالتهم النفسية ويجعلهم عرضة للاكتئاب والتوتر، وأيضا لقائمة طويلة من الأمراض النفسية والعصبية، والحل المجدي الذي يمكن الاعتماد عليه قبل إتمام هذه الزيجات إذا كان لا مفرّ منها، هو إجراء الفحص الطبي قبل الخوض في إجراءات الزواج، لتجنب العديد من المشكلات والأمراض الوراثية التي تهدد مستقبل هذه الأسرة الصغيرة، لأنّ الفحص يساعد في العلاج المبكر لبعض الأمراض التي استطاع الطب أن يمتلك مفاتيحها.

ويؤكد على ضرورة هذا الفحص برغم نفقاته الباهظة، والتي لا تلائم إمكانات الكثيرين، ولكن هناك قضاء أخفّ من قضاء، ونأمل أن تحاكي دولنا العربية، الدول الأجنبية المتقدمة كفرنسا وأميركا، من حيث توفير مراكز طبية متقدمة لإتمام هذه الإجراءات بنفقات يسيرة تناسب ظروف الجميع.

وعن احتمالية انتقال الأمراض النفسية بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، يقول محمد عبدالسلام، أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة "إن فرصة الإصابة بالمرض النفسي المتوارث تتزايد لدى أبناء زواج الأقارب، إذا كانت جذورهما المشتركة لها تاريخ مع المرض، وليس بالضرورة أن يعاني أحدهما من الأعراض الظاهرة للمرض النفسي، حيث يكفي أن يكون حاملا له في جيناته الوراثية، ومن أشهر الأمراض القابلة للتوريث نجد الصرع والتخلف العقلي والفصام وذهان الهوس والاكتئاب، وهنا يلتقي الجين الضعيف لدى كل من الأبوين لتنتج عنهما جينات جديدة أكثر قوة، وبالتالي أقدر على إصابة أبناء هذه الأسر".

صيانة الصداقات

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❑ قرأنا الآلاف من المقالات وحضرنا الكثير من البرامج التلفزيونية التي تتحدّث عن المشاكل الزوجية وكيفية تجاوزها وصيانة الحب، لكن قليلا ما قرأنا أو شاهدنا بحوثا جادة في صيانة الصداقة التي هي من أرقى العلاقات الإنسانية وأكثرها دواما، لكن للأسف فإن الكثير من الصداقات تتعرض لانتكاسات كبيرة لدرجة القطيعة التامة، وفي حالات كثيرة تتحوّل مشاعر المحبة والمودة بين الصديقين إلى مشاعر كره ونفور، كما لو أن الصداقة تصاب بدورها بما يُشبه السكتة القلبية، وفي السنوات الأخيرة وتحديدا منذ بداية الربيع العربي انهارت صداقات عديدة وانقلبت إلى عداوات بسبب المواقف المتباينة للصديقين حول ما يجري على الأرض أي قراءة الأحداث، ولم يجد أيّ من الصديقين مانعا في بتر صداقتهما التي قد يتجاوز عمرها الربع قرن، مُضحيين بأهم ما يجمع الناس مع بعضهم البعض وهي المواقف الإنسانية.

فمهما اختلفت آراؤنا يجب أن تكون الأولوية في العلاقة الإنسانية هي المودة والمشاركة والإحساس بأننا نتشارك الوطن والمصير، وقد شهدت انهيار العديد من الصداقات الرائعة منذ بداية الثورة السورية، حيث تحوّل أعز الأصدقاء إلى ألدّ الأعداء بسبب مواقفهم المتباينة من الثورة السورية! وأتساءل بألم ودهشة كيف أمكن للصديقين أن يُضحيا بذكريات أي كانتا تقضيان في العمل وقتا أكثر ممّا تقضيه كل واحدة منهما مع أسرتها، وكم كنت أحس بسعادة حين أحضر باكرا إلى المشفى الوطني وتدعواناني للفطور وشرب الشاي، كانتا رائعتين بالمحبة الراسخة التي تجمعهما وبمحاولة تغطية كل منهما على الأخرى في حال تأخرت عن الدوام، لكن هذا العمر المديد للصداقة نُسف تماما لأن ابن كل منهما اختار –أو بتعبير أدق– زُج في قدر لا يستطيع رده، وبضربة ساحر شرير تحولت الصداقة بينهما إلى عداوة شرسة! وكنت أتساءل بسذاجة الأطفال: كيف أمكنهما أن يُطوّحا بأكثر من عشرين سنة صداقة رائعة كانت مضربا للمثل، وكيف تعنفني وتعاتبني صديقتها لأنني أمّنت عدة إبر فاليوم لأمّ ثكلى. وقلت لها محاولة امتصاص غضبها "لكنها صديقة عمرك وتشاركتما ذكريات ومواقف رائعة كثيرة ورقصت كل منكما في عرس صديقتها فأين ذهب كل هذا المخزون من الحب والصداقة؟"، ردت بحقد وبرود "لكن ابنها مجرم ويقتل المتظاهرين وهي أمّه".

أحببت أن أعطي هذا المثال الحي لأنه يُلخّص الآلاف من المواقف المشابهة والتي حصلت للأسف لدى أعلى الناس مرتبة فكرية وثقافية، كل طرف اختلف مع الآخر سياسيا طوّح بصداقة مديدة ورائعة، وأنا أؤمن أن أساس العلاقات بين البشر وأكثرها قوة ورسوخا هي تلك العلاقة الإنسانية والمودّة والتعاطف، الإحساس أننا جميعا أخوة وشركاء في الوطن والمصير، ولم توجد أسرة واحدة في دول العالم العربي التي داهمها الربيع العربي ومشاركة حياتية مديدة بسبب موقف سياسي مهما كان؟ ومع الوقت تتسع الفجوة بين الصديقين وتمرّ الأيام والأشهر ولا أحد منهما يتخذ موقف المبادرة في القيام بالخطوة الأولى نحو كسر حاجز الصمت والتعنت تجاه حق الصداقة عليهما، حق سنوات من المحبّة والدعم النفسي والمعنوي وربما المادي أيضا بين الصديقين، ولا أنسى أبدا يوم قصدتني ممرضة –وكنت لا أزال أعمل طبيبة عيون في المشفى الوطني في اللاذقية– وطلبت مني أن أؤمّن لها عدة إبر من الفاليوم (المخدر القوي) لأن صديقتها فقدت ابنها في الحرب السورية وتحول الشاب ذو العشرين ربيعا إلى ورقة نعي، أمّه انهارت وتحولت إلى إنسانة شلّها الألم وطرحها خائرة القوى في سريرها تئن مطالبة بابنها، ورغم صعوبة تأمين عدة إبر من الفاليوم فقد تعاطفت مع الأم الثكلى واستطعت أن أؤمن لها عدة إبر فاليوم من المشفى، وفي اللحظة ذاتها وبعد أن غادرت، صعقتني ممرضة أخرى –من طائفة مختلفة– وعاتبتني بغضب لم تستطع السيطرة عليه قائلة لي كأنها تُجرّمني وتحاسبني على جريمة قمت بها إذ قالت لي "كيف تؤمنين إبر فاليوم لتلك الإنسانة التي كان ابنها يقتل المتظاهرين؟!"، وأنا لست من النوع حاضر البديهة، صعقتني الدهشة والذهول ووجدتني أتذكر صداقتها مع تلك الأم الثكلى حيث تشاركتا في دراسة التمريض لأكثر من أربع سنوات، تشاركتا غرفة واحدة وأحلاما واحدة وأسرارا واحدة ثم تم فرزهما معا إلى قسم العينية إلا وتأذت خاصة في سوريا وليبيا واليمن، حتى أن الكثير من الإخوة تحولوا إلى أعداء وانقطعت العلاقة بينهما تماما.

الصداقة ثروة حقيقية لا تعادلها ثروة، ويجب أن يعي كلٌ منّا أهمية وروعة أن يكون لديه صديق يدعمه ويحس به ويحاوره، لقد خسرنا الكثير من الإحساس بالأمان إلى الخسائر المادية إلى الفقر وانهيار العملة، وداهمتنا مشاعر الإحباط واليأس، وافتقدنا كليّا لأيّ شكل من أشكال الفن والإبداع السينمائي والمسرحي وحفلات الطرب الأصيل، وقهرتنا الكهرباء الشحيحة وأذلتنا وكذلك المياه التي قد تنقطع أياما، لم يبق من عزاء لنا سوى الصداقات الحقيقية، أن أنظر للآخر كأنه مرآتي ومرآة روحي وبأنه يُشاركني مشاعر الألم والخسارة والإحباط.

كيف نسمح بذبول الصداقات المتينة والداعمة والتي لم يعد لنا من عزاء غيرها. يجب أن نصون صداقاتنا الأصيلة كما نعتني بنبتة، وعار علينا أن نبتر تلك الصداقات على أساس خلاف سياسي لأن أساس التعامل بين البشر إنساني. كلنا نتشارك المصير الإنساني نفسه، فلنكن أوفياء لصداقاتنا ونعتني بها وننمّيها لأنه لم يبق لنا غيرها داعما في هذا الوجود الجحيمي والواقع الوحشي.

طبق اليوم

كبد متبل (مشرمل)

*** المقادير:**

- 500 غرام من كبد العجل مقطعة إلى شرائح.
- نصف حبة ليمون حامضة.
- حبة فلفل أحمر متوسطة الحجم.
- باقة بقدونس وقزبر.
- 2 فصوص ثوم.
- ملعقة صغيرة مملوءة كمون.
- ملعقة صغيرة مملوءة فلفل أحمر حلو.
- ملعقة صغيرة مملوءة فلفل حار (اختياري).
- 3 ملاعق كبيرة خل.
- 4 ملاعق كبيرة زيت زيتون.
- 2 ملاعق كبيرة زيت دوار الشمس.
- ملح.
- 80 غراما من الزيتون الأخضر منزوع النوى.
- قشرة نصف ليمونة حامضة مقطعة مربعات صغيرة.

*** طريقة الإعداد:**

- تشوى شرائح الكبد في مقلاة مقاومة للالتصاق لمدة 15 إلى 20 ثانية من كل جهة.
- يزال جلد الكبد ويقطع إلى قطع صغيرة.
- تقطع الأعشاب والفلفل، لب الليمونة الحامضة والثوم ويوضع الكل في مفرمة كهربائية. يفرم الكل للحصول على تتبيلة (شرمولة) متجانسة.
- في إناء طبخ على نار هادئة، تسكب الزيوت والخل والتوابل والشرمولة، وتطهى الشرمولة على نار هادئة لمدة 4 إلى 5 دقائق.
- يضاف الكبد ويستكمل الطهي على نار هادئة مع التحريك برفق لمدة 5 إلى 8 دقائق حتى تتخثر الصلصة ثم يضاف الزيتون الأخضر.
- يقدم الكبد المتبل (المشرمل) مزينا بقشر الليمون الحامض مع صلصة الطماطم.

موضة

«صوفيا والإله» تعكس أنوثة المرأة

❑ أزاح المصمم حسين بظاظا اللثام عن مجموعته الجديدة من أزياء الهوت كوتور لموسم خريف وشتاء 2017 بعنوان "صوفيا والإله"، حيث تأثر بظاظا بأسطورة من العصور الوسطى والتي تحكي قصة صوفيا الخيميائية التي أصبحت من الآلهة.

اهتم المصمم اللبناني بالتفاصيل الدقيقة في التطريز والترصيع لتعكس وحدات مؤثرة في سرده للقصة الأسطورية. وكانت النتيجة النهائية مجموعة من التصاميم المتقنة.

تميزت المجموعة بالرموز الهندسية والرسوم والمعادلات وتعززت تقنية الدانتيل التي يشتهر بها بظاظا، من خلال مزيج من التطريزات والترصيعات بالخرز والنقوش.

تنوّعت الفساتين بين الطويلة والقصيرة، وصُمّمت القصّات في المجموعة لتبرز جسم المرأة وتعكس أنوثتها، من التنانير الواسعة الطولية والفساتين المنتفخة، والياقات العالية التي تترادف مع الفخامة المطلقة وطرق لفّه للأقمشة بلمسات في غاية الحرفية.

كبار الدوري الإنكليزي يغزون سوق الانتقالات الصيفية

صفقة تحول بوغبا إلى المان يونايتد الأغلى عالميا

أنفقت أندية الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم أموالا طائلة في سوق الانتقالات الصيفية من أجل تدعيم صفوفها استعدادا للموسم الجديد. إذ أصبح انتقال الفرنسي ذي الأصول الغينية بول بوغبا من النادي الإيطالي يوفنتوس إلى نظيره الإنكليزي مانشستر يونايتد، الصفقة الأغلى في تاريخ كرة القدم.

□ **لندن – حسم مانشستر يونايتد الإنكليزي الساعي لاستعادة الألقاب محليا وأوروبا صفقة نجم وسط منتخب فرنسا ويوفنتوس بطل الدوري الإيطالي في المواسم الخمسة الماضية، ليصبح أغلى لاعب في تاريخ كرة القدم.**

وأعلن مانشستر يونايتد أن بول بوغبا وقّع عقدا انتقل بموجبه إلى صفوفه لمدة 5 سنوات. وقدّرت وسائل الإعلام البريطانية صفقة عودة بوغبا إلى ناديه السابق بنحو 89 مليون جنيه إسترليني (105 ملايين يورو).

وكشف يوفنتوس لاحقا أن قيمة صفقة انتقال نجمه الفرنسي إلى مانشستر يونايتد بلغت رقما قياسيا عالميا وصل إلى 105 ملايين يورو (116 مليون دولار)، كما تحقق الصفقة حوافز إضافية بقيمة خمسة ملايين يورو. وجاء في بيان للنادي الإيطالي "يؤكد نادي يوفنتوس أن بول بوغبا أكمل انتقاله إلى مانشستر يونايتد مقابل 105 ملايين يورو ستدفع خلال سنتين". وتابع "إن الصفقة جعلت بوغبا أغلى لاعب في تاريخ كرة القدم".

وحطّمت صفقة انتقال بوغبا إلى المان يونايتد الرقم القياسي السابق لأغلى الصفقات الكروية في العالم والتي أبرمها ريال مدريد الأسباني حين تعاقد مع الويلزي غاريث بيل من توتنهام الإنكليزي عام 2013 حيث قدّرت الصفقة حينها بـ85 مليون جنيه إسترليني (نحو 100 مليون يورو). وقال بوغبا بدوره "إنه النادي الأنسب لي لتحقيق كل ما آمل في تحقيقه في هذه اللعبة"، مضيفا "أنا سعيد بالانضمام إلى يونايتد. كان له دائما مكان في قلبي وأنا أتطلّع فعلا للعمل مع جوزيه مورينيو".

> صفقة انتقال بوغبا إلى يونايتد حطمت الرقم القياسي السابق لأغلى الصفقات الكروية في العالم والتي أبرمها ريال مدريد الأسباني حين تعاقد مع الويلزي غاريث بيل من توتنهام الإنكليزي عام 2013

ومهّد مدرّب مانشستر يونايتد البرتغالي جوزيه مورينيو لحصول فريقه على بوغبا بقوله بعد التتويج بلقب درع المجتمع عقب الفوز على ليستر سيتي 2–1 "أخيرا، حصلنا عليه".

وأضاف "سينضم بوغبا إلى فريق ناجح فاز في مباراتيه الأخيرتين الرسميتين، واحدة في نهائي كأس إنكلترا نهاية الموسم الماضي والثانية في درع المجتمع".

وتابع مورينيو "أمر رائع أن ينتقل لاعب بمثل مستواه الكبير إلى صفوفنا، لكنّي أعتقد بأن مانشستر هو النادي المثالي لبوغبا لأنه سيساعده على الارتقاء إلى المستوى الذي يبغي الوصول إليه". وكان الدولي الفرنسي ترك في 2012 فريق "الشياطين الحمر" لأنه لم يقتنع مدرّبه آنذاك الأسكتلندي أليكس فيرغوسون، مقابل 800 ألف جنيه.

وأصبح بوغبا رابع انتدابات مانشستر يونايتد للموسم الجديد عقب تعاقده مع المدافع العاجي إريك بايي، ولاعب الوسط الأرميني هنريك مخيتاريان والمهاجم السويدي زلاتان إبراهيموفيتش في سعيه الدؤوب لاعتلاء منصات التتويج محليا وقاريا.

بداية مبكرة

خاض بوغبا (23 عاما) 7 مباريات فقط مع مانشستر يونايتد بين 2011 و2012 ولم يسجل فيها أيّ هدف، ولعب مع يوفنتوس 178 مباراة بين 2012 و2016 سجل فيها 34 هدفا، وتوّج مع الفريق الإيطالي بلقب الدوري في المواسم الأربعة الماضية، وفاز معه بكأس السوبر الإيطالية في 2013 و2015.

دوليا، شارك بوغبا مع منتخب فرنسا الأول في 38 مباراة سجل فيها ستة أهداف، وكان من ركائز تشكيلة المدرب ديدييه ديشان في كأس أوروبا الأخيرة التي وصل فيها منتخب الديوك إلى المباراة النهائية قبل أن يخسر أمام البرتغال 0–1 بعد التمديد. لكنّ نجوميته بدأت مبكرا فمثّل منتخبات فرنسا للفئات العمرية تحت 17 سنة وتحت 18 سنة وتحت 19 سنة وتحت 20 سنة.

وبدأ عشق لاعب الوسط بوغبا لكرة القدم حين كان في السادسة من عمره حيث لعب مع رواسي-أو-بري (1999–2006) قبل الانتقال في الفرق العمرية لتورسي (2006–2007) ولوهافر (2007–2009) ثم عملاق "أولدترافورد" (من 2009 حتى 2011 مع الفريق الرديف و2011–2012 مع الفريق الأول)، ومنه إلى يوفنتوس.

ويعترف بوغبا بأنه يتعيّن عليه بذل المزيد من الجهود ليصل إلى مصاف الكبار ويقول "يجب أن أجيد توقيت صعودي إلى منطقة الخصم بشكل أفضل"، مضيفا "يجب أن أهاجم وأن أدافع، لكن الأهمّ هو أن أنتبه لطريقة لعبي. أنا لست متحررا في المنتخب بالقدر الذي أنا عليه مع فريقي". ويتميز النجم الفرنسي بلياقته البدنية الهائلة وتقنياته العالية وقراءته الجيدة للعب إضافة إلى تسديداته القوية.

استثمار يونايتد

هل بإمكان نادي مانشستر يونايتد الإنكليزي العريق استرداد استثماره في الصفقة القياسية التي أنجزها وشهدت انتقال لاعب الوسط الفرنسي بول بوغبا من يوفنتوس؟ الإجابة هي نعم بحسب الاختصاصيين لكن شرط تألق النجم الجديد في صفوف فريقه. فمانشستر يونايتد يستطيع الاعتماد على بيع عدد هائل من القمصان التي تحمل اسم بوغبا في الأيام القليلة المقبلة وفي المدى المنظور، لتعزيز صورة اللاعب، وإمكانية بيعه بثمن أعلى في السنوات المقبلة حسب حركة السوق. وقد يكون الفريق الإنكليزي يحذو حذو ريال مدريد الأسباني في هذا المجال الذي اعتمد على مجرة النجوم "غالاكتيكوس" ما جعله أغنى ناد في العالم مع إيرادات وصلت إلى 577 مليون يورو عام 2015 حسب شركة "ديلويت" للتدقيق.

ويقول الخبير الاقتصادي باستيان درو "إنها تماما كذلك، ما يقوم به مانشستر يونايتد مماثل لما قام به ريال مدريد في السنوات الأخيرة".

ويشير درو أيضا إلى التعاقدات التي أبرمها النادي الإنكليزي مع "شخصيات جذابة" أمثال المدرب جوزيه مورينيو والنجم السويدي زلاتان إبراهيموفيتش وخصوصا بوغبا والتي من شأنها أن تضاعف "عملية بيع المنتجات"، كما حصل في ريال مدريد مع نجوم أفذاذ أمثال البرتغالي كريستيانو رونالدو والكولومبي جيمس رودريغيز المنتقلين إلى الفريق الملكي مقابل 91 و80 مليون يورو على التوالي.

وأضاف درو "استردّ ريال مدريد استثماره برونالدو بعد سنتين أو ثلاث من خلال بيع القمصان فقط، ومانشستر يونايتد يسير على الطريق ذاته خاصة أنه ماركة عالمية معروفة في مختلف أنحاء العالم، وبالتالي نستطيع أن نتصور أن يتم استرداد المبلغ الذي دفعه لقاء التعاقد مع بوغبا خلال ثلاث سنوات كحدّ أقصى".

ويملك بوغبا رصيدا شعبيا هائلا لدى عشاق الكرة المستديرة، فهو ثامن أكثر اللاعبين بيعا للقمصان التي تحمل اسمه وتحديدا 667 ألف قميص ليوفنتوس العام الماضي.

ولا شك فإن الرقم واعد على الرغم من أن الفرنسي لا يزال يتخلف عن زميله في مانشستر يونايتد إبراهيموفيتش (السابع بـ865 ألف قميص مع باريس سان جرمان)، وواين روني (السادس، بـ877 ألف قميص)، لكنه لا يزال بعيدا عن الرقم القياسي المسجّل باسم النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي في صفوف برشلونة (1.958.000 مليون).

وإضافة إلى بيع القمصان، فإنّ قدرات التسويق التي يحظى بها بوغبا تبدو القاطرة الأخرى لجلب الإيرادات لفريقه الجديد. فبفضل تسريحات شعره الخيالية، وكذلك الشعبية التي يتمتع بها لدى عنصر الشباب والملايين من المتابعين على مواقع التواصل الاجتماعي (6.9 على إنستغرام)، فإن بوغبا يبدو على شاكلة الأيقونة ديفيد بيكهام من الناحية التسويقية ما يعني بأنه لاعب قادر على "جلب قيمة اقتصادية مضافة" حسب ليونيل مالتيزي الاختصاصي في التسويق الرياضي. لقد فهم مسؤولو مانشستر يونايتد ذلك تماما، وحسب صحيفة "ليكيب"، فإن اللاعب الذي سيحصل على أجر سنوي مقداره 13 مليون يورو بعد حسم الضرائب، تخلّى عن حقوق الملكية الخاصة بصورته والتي تقدّر سنويا بنحو 45 مليون يورو.

ويقول مالتيزي "سيدفع مانشستر يونايتد باتجاه عملية تسويق ضخمة لبوغبا"، وبفضل بوغبا يأمل النادي في جلب شركات رعاية إضافية وبالتالي إيرادات جديدة والأهمّ من ذلك سحب البساط من تحت عملاقي الكرة الأسبانية ريال مدريد وبرشلونة اللذين يعتمدان على نجميهما ميسي ورونالدو.

وأبرز مثال على ذلك الشراكة بين أديداس ومانشستر يونايتد التي تعتبر الأغلى في العالم (940 مليون يورو على 10 سنوات) ويمكن أن ترتفع مع قدوم الفرنسي الذي ترعاه أديداس أيضا.

ويقينا لو نجح بوغبا في استغلال القدرات الهائلة التي يتمتع بها خلال مسيرته في صفوف الشياطين الحمر، فإن قيمته في السوق سترتفع دون أدنى شك ويمكن لفريقه التخلّي عنه بعد خمس سنوات على سبيل المثال مقابل مبلغ مماثل أو ربما أكثر.

ويقول الاختصاصي في اقتصاد الأندية فلاديمير أندريف "لا تمكن مضاعفة قيمة انتقال بوغبا 10 أو 20 مرة، لكن تستطيع أن تكسب 5 أو 10 بالمئة وبالتالي مجال التطور موجود لكنه ليس ضخما".

> بوغبا أصبح رابع انتدابات مانشستر يونايتد للموسم الجديد عقب تعاقده مع المدافع إريك بايي، ولاعب الوسط هنريك مخيتاريان والمهاجم زلاتان إبراهيموفيتش في سعيه الدؤوب لاعتلاء منصات التتويج محليا وقاريا

تعاقدات كبار إنكلترا

● **مانشستر يونايتد: تعاقد مع بول بوغبا من يوفنتوس مقابل 89 مليون جنيه إسترليني، وهنريك مخيتاريان من بوروسيا دورتموند مقابل 26 مليون جنيه إسترليني، وإيريك بيلي من فياريال مقابل 30 مليون جنيه إسترليني، وزلاتان إبراهيموفيتش من باريس سان جيرمان في صفقة انتقال حر. ورحل عن الفريق فيكتور فالديز إلى ميدلسبره في صفقة انتقال حر وآشلي فليتشر إلى ويستهام في صفقة انتقال حر.**

● **مانشستر سيتي: تعاقد مع جون ستونز من إيفرتون مقابل 47.5 مليون جنيه إسترليني، وإيلكاي جوندوجان من بوروسيا دورتموند مقابل 20 مليون جنيه إسترليني، وليروي ساني من شالكه مقابل 37 مليون جنيه إسترليني، ونوليتو من سيلتا فيغو مقابل 13.8 جنيه إسترليني. ورحل عن الفريق سيكو فوفانا إلى أودينيزي مقابل 3.5 جنيه إسترليني، وتم فسخ عقد مارتين ديميكيليس.**

● **أرسنال: تعاقد مع لاعب الوسط السويسري غرانيت تشاكا من صفوف بوروسيا مونشنغلادباخ الألماني مقابل 35 مليون جنيه إسترليني، والمهاجم الياباني تاكوما أسانو من سانفي هيروشيما في صفقة لم يكشف عن قيمتها، وروب هولدينغ من بولتون في صفقة أيضا لم يكشف عن قيمتها. ورحل عن صفوف أرسنال توماس روسيسكي وماثيو فلاميني وميكيل أرتيتا.**

● **تشيلسي: تعاقد مع ميشي باتشواي من مرسيليا مقابل 33.2 مليون جنيه إسترليني، ونجولو كانتي من ليستر سيتي مقابل 30 مليون جنيه إسترليني. ورحل عن الفريق محمد صلاح منتقلا إلى روما مقابل 12 مليون جنيه إسترليني، وستيب باريتشا إلى أودينيزي مقابل 3 مليون جنيه إسترليني، وبابي ميسون ديلوبودجي إلى سندرلاند مقابل 8 مليون جنيه إسترليني.**

● **ليفربول: تعاقد مع ساديو ماني من ساوثهامبتون مقابل 34 مليون جنيه إسترليني، وجورجينيو فينالدوم من نيوكاسل مقابل 25 مليون جنيه إسترليني، ولوريوس كاريوس من ماينز مقابل 4.7 مليون جنيه إسترليني، وراجنار كلافان من أوجسبورج مقابل 4.2 مليون جنيه إسترليني، وأليكس مانينجر من أوجسبورج في صفقة انتقال حر وجويل ماتيب من شالكه في صفقة انتقال حر.**

● **ليستر سيتي: تعاقد مع أحمد موسى من سيسكا موسكو مقابل 16.6 مليون جنيه إسترليني، ونامباليس ميندي من نيس مقابل 13 مليون جنيه إسترليني، وبارتوس كابوستكا من كراكوفيا مقابل 7.5 مليون جنيه إسترليني. ورحل عن الفريق نجولو كانتي إلى تشيلسي مقابل 30 مليون جنيه إسترليني.**

جماهير الأهلي المصري تطالب برحيل المدرب الهولندي

يول لم يستفد من الصفقات الجديدة فخسر «الشياطين» مرتين

لن يمر تعادل الأهلي المصري أمام زيسكو الزامبي، الجمعة، مرور الكرام، بعد أن صبت الجماهير جام غضبها على مجلس الإدارة، برئاسة محمود طاهر، وطالبت برحيل الهولندي مارتن يول المدير الفني للفريق، بسبب اقتراب الفريق من توديع دوري أبطال أفريقيا، نتيجة الأداء المخيب لآمال محبي النادي.

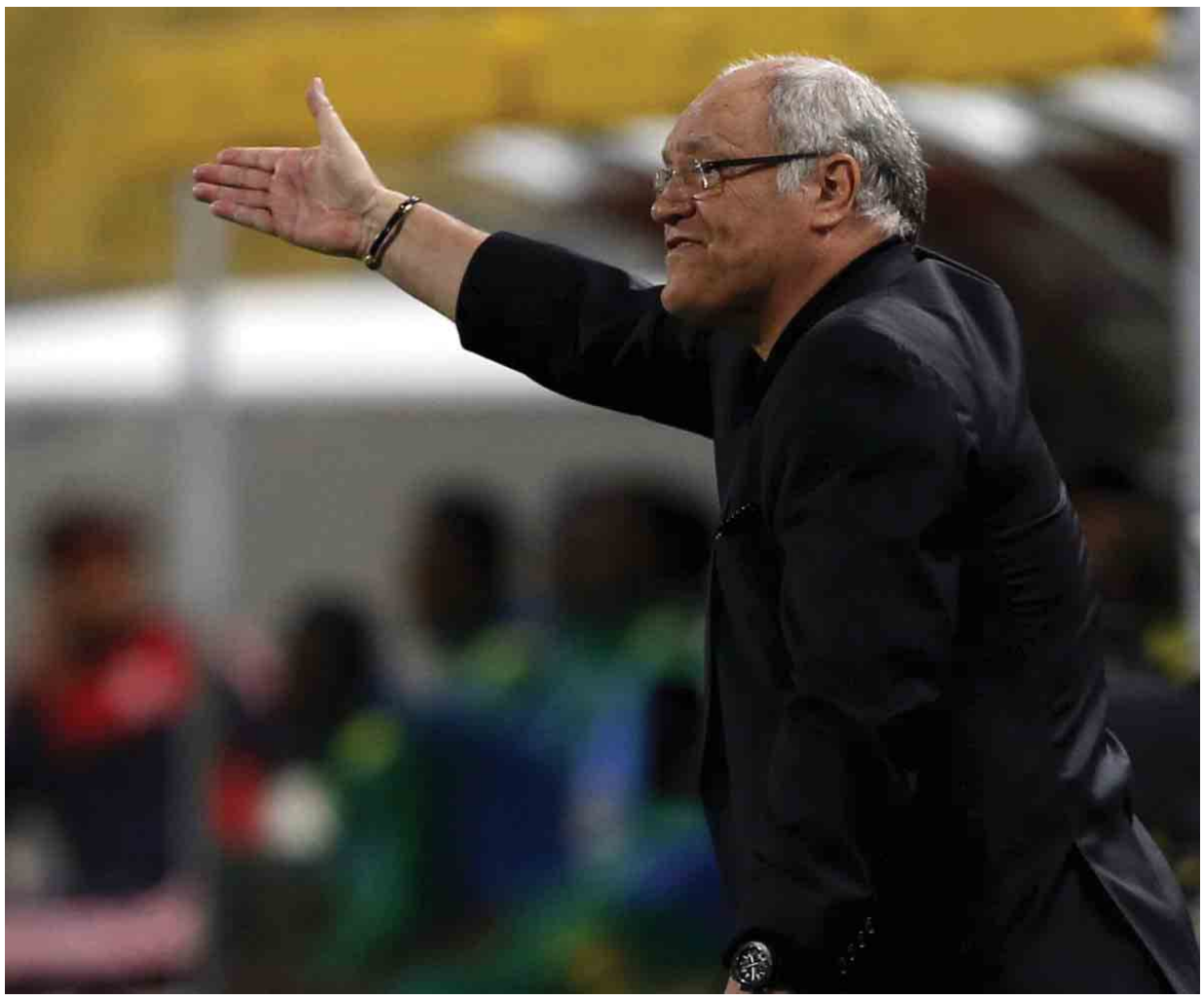

انتهى العسل

عماد أنور

❏ تسير تصريحات المدير الفني لفريق الأهلي المصري الهولندي مارتن يول على العكس من رغبة جماهير الأهلي المطالبة برحيله إثر التعادل الأخير للفريق المصري أمام زيسكو الزامبي في منافسات دوري أبطال أفريقيا، إذ أنه يقول بأنه لا يزال باق في منصبه، وأنه سعيد ويشعر بالراحة النفسية مع الفريق، وهو التصريح الذي علقت عليه ملايين الجماهير بسخرية، وقالت "إن مدرب الأهلي يحقق الراحة النفسية على حساب سعادة الجماهير"، وطالبت أغلب التعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي برحيل المدرب الهولندي.

وبات رحيل يول عن الأهلي، مسألة ضرورية لا تحتمل التأجيل، خاصة بعد أن تعرضت حافلة فريق الكرة للاعتداء، في أثناء رحلة العودة إلى القاهرة من ملعب بتروسبورت بمدينة السويس عقب مباراة زيسكو بدوري الأبطال والتي انتهت بهدفين لكل فريق، ما يشير إلى حالة الغضب العارم التي وصلت إليها الجماهير.

وتعرض يول خلال خروجه من ملعب المباراة إلى هجوم من أحد المشجعين، ما دفع المدرب المعروف عنه هدوء الأعصاب الشديد، للاعتداء على المشجع، ولم يسبق للمدرب الهولندي الانفعال بهذه الطريقة من قبل، حتى في أحلك لحظات الفريق.

وعلمت "العرب" من مصدر داخل مجلس إدارة الأهلي، اقتراب يول من الرحيل، وأن هناك توجها شديدا لتولي المدرب المصري حسام البدري مسؤولية الإدارة الفنية للفريق، في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وبات محمود طاهر رئيس النادي في موقف لا يحسد عليه، بعد أن ظل متمسكا بوجود يول رغم النتائج المتواضعة للفريق.

وكشفت تصريحات رئيس الأهلي مساندته للرجل، ما أدى إلى وجود حالة انقسام داخل المجلس، بعد أن أشار البعض إلى أن وجود مارتن يول يعدّ إهدارا لأموال النادي.

واستشهد فريق الرافضين لبقاء يول، بأنه لم يستفد من الصفقات الجديدة التي كبدت خزينة الأهلي ما يقرب من مليونين ونصف المليون دولار، وتعمد الاحتفاظ ببعض اللاعبين الجيدين على دكة البدلاء، ما يضع المجلس في موقف حرج أمام الرأي العام. ومن الأسباب التي ربما تعجل برحيله أيضا، هي المغالاة في بعض الطلبات، وإن كانت إدارة النادي لبت له ما أراد، من صفقات جديدة، فإن أغلب أعضاء المجلس يرفضون طلبه بالتجديد للثنائي حسام غالي وعماد متعب، بعد تراجع مستوييهما، خاصة أنهما من أصحاب العقود ذات القيمة المادية المرتفعة.

وتعددت أخطاء المدرب الهولندي خلال الفترة الأخيرة رغم بداياته الناجحة في أول مشواره مع الأهلي والذي بدأه في فبراير الماضي وقيادته للفريق في استعادة لقب الدوري الممتاز، مع ذلك فشل في الفوز بلقب كأس مصر وخسر أمام الزمالك (3–1)، ما أثار غضب الجماهير، حيث تعد مباراة الأهلي والزمالك بطولة خاصة بالنسبة إلى جماهير الناديين، وما زاد من حالة الغضب عدم قدرة المدرب على إيجاد حلول بديلة في مباراة الغريم التقليدي، حيث وقف مكتوف الأيدي لا يدري ماذا يفعل.

الأغرب هي تصريحات مارتن يول، حيث ألمح في أعقاب خسارة الفريق في مباراة نهائي الكأس، أن اتفاقه مع مجلس الإدارة كان يخص الحصول على لقب الدوري، وقد أوفى بوعده، وكأن المدرب الهولندي لا يعير البطولات الأخرى أيّ اهتمام.

وأكدت مباريات الفريق الأخيرة، في دوري أبطال أفريقيا، عدم قدرة يول على إيجاد حلول بديلة إذا تعرض الفريق للتكتل الدفاعي، وأصر على وضع تشكيل سيء، فتعمد إشراك صبري رحيل بديلا للوافد الجديد التونسي علي معلول أحد أبرز اللاعبين الذين يجيدون مركز الجناح الأيسر في أفريقيا، إضافة إلى تمسكه بوجود عمرو جمال وحيدا في مركز الهجوم، ولم يتمكن اللاعب من ترجيح كفة الفريق في أي مباراة، وجاءت معظم الأهداف عن طريق لاعبي الوسط والدفاع.

وفي تقييم لأداء المدرب الهولندي، يرى خالد بيبو، لاعب الأهلي السابق، أن يول اعتمد فقط على مجموعة اللاعبين الأساسيين والجاهزين، مثل، عبدالله السعيد ووليد سليمان ومن قبلهم رمضان صبحي قبل رحيله إلى ستوك سيتي الإنكليزي، ولم يسع لإيجاد البديل، وقد تأثر الفريق بغياب صبحي، ثم عبدالله السعيد للإصابة، وحتى وليد سليمان فقد أدى مباراة الزمالك مصابا، وعند خروجه تراجع نشاط الفريق.

وأضاف لـ"العرب" أن الأهلي يمتلك بدائل عديدة، غير أن يول لا يجيد توظيفها، فهو إلى الآن لم يستفد من صالح جمعة أو أحمد الشيخ أو عمرو السولية، ولم يجد حلولا لعلاج حالة العقم التهديفي التي أصابت المهاجمين طوال الموسم.

والمدرب الذي يكبّد خزانة الأهلي 200 ألف دولار شهريا، وضع محمود طاهر في وجه المدفع، وقد ألقى العامري فاروق، وزير الرياضة المصرية الأسبق، باللوم على رئيس الأهلي في ما وصل إليه فريق الكرة، وقال "عليه إدراك قيمة النادي الأهلي، وعدم الاستهانة بنتائج الفريق"، وأوضح أن الأهلي فريق بطولات ولم يعتد على تلك الهزائم المتكررة، والظهور بهذا الأداء المخزي.

وأشار عضو مجلس إدارة الأهلي السابق، إلى أن قرار رحيل الهولندي مارتن يول بات أمرا حتميا وفرض عين على مجلس الإدارة، لأن التباطؤ يكبّد النادي خسائر مادية ومعنوية، ويزيد من حالة الاحتقان الجماهيري.

ولفت إلى أن العناد لن يفيد، ويجب على "طاهر ورفاقه الاعتراف بأن يول لم يكن الاختيار الأنسب، لأنّ الأهلي ليس حقل تجارب.. لو لم يحدث ذلك، فعلى طاهر تسليم الراية إلى أشخاص آخرين يقدّرون قيمة النادي".

> تعادل الأهلي المصري أمام زيسكو الزامبي وخروجه من دوري أبطال أفريقيا يعجل بالاستجابة للمطلب الجماهيري بضرورة رحيل مارتن يول

فيلبس يستعيد إدمانه الأول

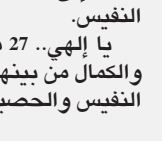

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ هو ليس كارل لويس ذلك العداء الأميركي الأسطوري الذي ألهب حماس الجميع في أولمبياد سنة 1984، وليس بالجامايكي يوسيان بولت ملك سباقات السرعة منذ سنة 2008، هو ليس أيضا الجمبازية لاريسا لاتينيا القادمة من الاتحاد السوفييتي والتي حازت على 18 ميدالية خلال خمسينات القرن الماضي وستيناته، بل هو أسطورة السباحة في العصر الحديث الأميركي مايكل فيلبس الذي عاد أكثر شبابا وعنفوانا خلال الأولمبياد الحالي المقام بريو دي جانيرو البرازيلية.

شيء لا يصدّق وإنجازات خرافية حققها هذا السباح سيحفظها التاريخ، وربما لن يجرأ أو يقدر أيّ رياضي غيره على مزاحمته وإزاحته من على العرش.

من كان يعتقد بعد أولمبياد لندن 2012 أن فيلبس قد انتهى وولّى زمنه نهائيا فقد أخطأ، ومن كان يراهن أن الكحول ستبعده عن شغفه الأول فهو مخطئ أيضا، فببساطة وبكل روح متفانية عاد فيلبس، عاد أقوى من ذي قبل، عاد كي يواصل تدوين اسمه بأحرف من ماء لا ينضب في المسبح الأولمبي بريو، كي يقول أنا هنا.. لم أنته بعد ولم أرم المنديل، عاد كي يعزّز إنجازه الخرافي ويحصد ميداليات ذهبية جديدة أوصلت عدّاده إلى القلادة رقم 22 من المعدن النفيس.

يا إلهي.. 27 ميدالية بالتمام والكمال من بينها 22 من المعدن النفيس والحصيلة مرشحة للارتفاع في آخر سباقاته ضمن الأولمبياد اللاتيني، وإذا جمعنا عددا كبيرا للغاية من الدول والبلدان المشاركة منذ عقود طويلة في المحفل الأولمبي وأحصينا ميدالياتها لتفوّق عليها فيلبس جميعا.

من أنت أيها البطل الخرافي؟ وكيف توصّلت إلى تحقيق هذه الأرقام العصية والمستحيلة على البقية؟

هو من قال "أعتقد أنه لا يوجد مستحيل فقط الإنسان يحتاج إلى خيال واسع وإرادة من حديد"، هو فيلبس الذي تعلم أصول السباحة وقواعدها وشغف بها منذ الطفولة، فانطلق مسرعا ومتفوقا ومنطلقا في أحواض السباحة في بلاده قبل أن يبدأ رويدا رويدا في بسط نفوذه في جميع المسابقات العالمية والأولمبية، وبدأ الحصاد الوفير..

ميدالية بعد ميدالية وتتويج يأتي بعده تتويج ومشاركة أولمبية ناجحة تليها مشاركة أنجح، بدءا بأولمبياد أثينا 2004 وصولا إلى الأولمبياد الحالي، والمسيرة لم تتوقف بعد، فمن يدري ربما يظهر من جديد بعد أربع سنوات في أولمبياد طوكيو؟

هذه المسيرة توقفت في السابق لأكثر من سنتين وتحديدا بعد أولمبياد لندن 2014، حيث آثر فيلبس الخروج من الباب الكبير والاعتزال في قمة عطائه، والحال أنه لم يتجاوز في تلك الفترة سن السابعة والعشرين.

ظن هذا السباح خلال برهة ليست بالقصيرة من الزمن أنه بات من "عظماء" الرياضة السابقين، وعاش على وقع نجاحاته التاريخية، حاول أن يعيش حياته الجديدة بعيدا عن أحواض السباحة، مارس رياضة الغولف، وكرّس معظم أوقاته للإعلانات ونشط في مجال العمل الخيري، لكنه لم يجد نفسه.

هرب من نفسه وواقعه الجديد فعاقر الخمر وأدمنه، لكن بمثل سرعته الفائقة في المسابح، فإنه أدرك أن هذا الطريق لا يليق به، خاصة بعد أن تعرّض للبعض من العقوبات العام الماضي عندما تم القبض عليه بسبب قيادته المفرطة لسيارته تحت تأثير الكحول.

عاد البطل الأسطوري وقرّر أن يرتدي حلة السباحة من جديد ويعود مثل ذلك الصيّاد الذي يغطس بسرعة جنونية لالتقاط المحّار، فهو صائد ماهر وغطاس شاطر لا يتقن سوى لغة حصد الألقاب والميداليات، لقد تراجع عن قرار الاعتزال.

قاده الشوق إلى المسابح لإدمان عشقه السرمدي، أي عشق المسابقات والمنافسات والتتويجات.

تدرب بانتظام وجهد يستحقان الإشادة، ليعود اليوم مرة أخرى في ثوب البطل الذي لا يقهر، فقارع السباحين الأكثر شبابا وحيوية وهزم أغلبهم ليجني عددا جديدا من الميداليات.

فمن يقدر عليك أيها المدمن الشغوف، صاحب السطوة والحظوة وملك المسابح الأولمبية؟

طبعا لكل عمر وحقبة زمنية ظروفها ومتطلباتها وأحكامها، لكن فيلبس المتحمس دوما والثائر والمدمن تغلب على نفسه واختار أن يكون في الرواق الذي يحبّذه، رواق التنافس والتسابق واحتلال المراكز الأولى في أحواض السباحة في أقوى البطولات العالمية.

لقد قاده هذا الإدمان اللذيذ لرياضة يستلذها المتسابق والمشاهد على حدّ سواء إلى أن يعزز مركزه في القمة، قمة أساطير الرياضة في العالم والكون والتاريخ، فمن يقدر عليك أيها المدمن؟

الأرجنتينيون يسعدون بعودة ميسي

❏ **بوينوس آيرس** – أعاد حب الوطن ليونيل ميسي، أفضل لاعب في العالم خمس مرات، إلى صفوف منتخب الأرجنتين لكرة القدم، بعد أن كان أعلن اعتزاله اللعب دوليا أواخر يونيو الماضي إثر خسارة نهائي كوبا أميركا أمام تشيلي بركلات الترجيح.

وقال ميسي في بيان كشفت عنه الشركة التي تدير أعماله "راودتني أفكار كثيرة في ليلة النهائي تلك، وفكرت جديا بالاعتزال، ولكن حبّي لوطني وهذا القميص عظيم جدا".

وكان مدرب منتخب الأرجنتين الجديد إدغاردو باوزا ذكر في وقت سابق أنه سيتحدث مع ميسي قبل إعلان الأسماء التي ستشارك في مباراتي الأوروغواي وفنزويلا مطلع الشهر المقبل، ضمن تصفيات مونديال روسيا 2018، والتقى باوزا مع ميسي الأربعاء الماضي في برشلونة سعيا إلى إقناعه بالعودة عن اعتزاله.

وأعلن ميسي اعتزاله اللعب دوليا إثر خسارة منتخب الأرجنتين نهائي كوبا أميركا في 26 يونيو الماضي أمام نظيره التشيلي بركلات الترجيح (أهدر ميسي نفسه إحدى الركلات)، بعد عام من خسارة نهائي 2015 أمام تشيلي بالذات. وسبق لميسي أن خسر أيضا مع منتخب الأرجنتين نهائي كأس العالم 2014 أمام ألمانيا بهدف وحيد بعد التمديد.

وسيعلن باوزا التشكيلة التي ستواجه الأوروغواي وفنزويلا في 1 و6 سبتمبر القادم ضمن تصفيات كأس العالم، وقال باوزا للصحافيين، الجمعة، لدى عودته إلى بوينوس آيرس "أشعر أن ميسي يريد الانضمام إلى المنتخب".

وتولى باوزا مهمة قيادة الجهاز الفني لمنتخب الأرجنتين خلفا لجيراردو مارتينو الذي استقال من منصبه بعد خسارته نهائي كوبا أميركا، وتحتل الأرجنتين المركز الثالث في تصفيات أميركا الجنوبية المؤهلة إلى المونديال برصيد 11 نقطة، بفارق نقطتين عن الأوروغواي والإكوادور.

وأحدث إعلان ميسي الاعتزال دوليا أزمة في الأرجنتين أكبر من خسارة نهائي كوبا أميركا، حيث تمنى عليه محبوه العودة إلى المنتخب وفي مقدمتهم الرئيس الأرجنتيني ماوريسيو ماكري.

استجاب لنداء الوطن

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

النحافة شرط استمرار المذيعات في التلفزيون المصري

لم تعد النحافة قرارا اختياريا بالنسبة إلى مذيعات التلفزيون المصري، بعد صدور قرار بالتخلص من الوزن الزائد بالنسبة إليهن إجباريا، إذا أردن الاستمرار في عملهن، حيث يكون الشكل العام لكل مذيعة مناسبا لظهورها على الشاشة.

أميرة فكري

لا مكان لأوبرا وينفري في التلفزيون المصري

❏ **القاهرة** – أصدرت صفاء حجازي رئيسة اتحاد الإذاعة والتلفزيون في مصر أخيرا، قرارا بإيقاف 8 مذيعات عن العمل لمدة شهر لحين القيام بـ"ريجيم" من أجل الظهور على الشاشة بمظهر لائق مرة أخرى، وهددت بمنعهن من العمل التلفزيوني نهائيا، إذا انتهت المهلة المحددة دون الوصول إلى نتائج إيجابية في خفض الوزن.

ومنذ الإعلان عن قرار الإيقاف، لم يتوقّف الجدل الحقوقي والإعلامي في مصر، حيث وصفت منظمات نسوية القرار بأنه "يمثل مزيدا من التمييز ضد المرأة، فلم يسبق لأيّ رجل أن تعرّض لمضايقات بسبب زيادة وزنه".

ويأتي استبعاد مذيعات الوزن الزائد ضمن حملة واسعة للتخلص من البدانة عند السيدات العاملات في اتحاد الإذاعة والتلفزيون، ولا يقتصر الأمر على زيادة الوزن فقط، بل يشمل بروز أجزاء من الجسم بشكل يشي ببدانته مثل الأكتاف العريضة، حيث تلقت بعض المذيعات لفت نظر (وهي أقل عقوبة في القانون) بسبب بدانة الجزء السفلي من أجسادهن.

وما أثار المزيد من الغضب داخل المنظمات النسوية، أنه تم نشر أسماء وصور المذيعات اللاتي جرى وقفهن عن العمل، ما يرخي بظلال سلبية على حياتهن الشخصية والعائلية، ويجعلهن مادة للسخرية بسبب زيادة الوزن وعدم الصلاحية للعمل التلفزيوني.

وكانت صفاء حجازي، صاحبة القرار، تعرضت نفسها لقرار مشابه في عام 2007، ومنعت من الظهور بسبب قرار من قطاع الأخبار بمنع المذيعات صاحبات الوزن الزائد من الظهور لتقديم نشرات الأخبار الرئيسية، بعد أن عملت 17 عاما ضمن فريق المقدمين الرئيسيين لنشرات الأخبار.

وترى منى مصطفى، عضو الاتحاد النوعي للنساء في مصر، أن القرار يعكس "التمييز الشديد" ضد المرأة، والكارثة أنه جاء من "امرأة" وليس من رجل، ومشكلة المجتمع المصري أنه يقيّم المرأة بجسدها وملابسها وشكلها، وليس من خلال عقلها وخبرتها، ما يجعلها تخسر كل معركة قائمة على المهنية والكفاءة. واستشهدت مصطفى بالإعلامية السمراء أوبرا وينفري، مقدمة البرامج الأميركية الشهيرة، بأنها "لا يمكن في مجتمع مثل مصر أن تظهر هذه المذيعة المتألقة على الشاشة، لكن هناك انفتاح تجاه المرأة لا يعتمد التقييم فيه على الشكل أو الوزن، بقدر ما يجرى الاختيار بناء على المهارات والخبرة والكفاءة.. لذلك وينفري ناجحة للغاية".

ورأت إحدى المذيعات اللاتي تعرضن للوقف عن العمل بسبب زيادة الوزن، طلبت عدم نشر اسمها، أن القرار ضد حقوق الإنسان، بيد أن هناك مذيعين رجالا في التلفزيون يتمتعون بأوزان مضاعفة، ولا يستطيع أحد الاقتراب منهم وكأن البدانة تهمة للنساء فقط.

من جانبها، قالت نادية خليل، أستاذة الإعلام بالمعهد العالي للإعلام في القاهرة، إن "زيادة الوزن بشكل لافت ليس حرية شخصية، ومهنة المذيع تحتاج مواصفات محددة، ويتطلب أن يظهر الإعلامي بشكل لائق، وهذه قواعد لا بدّ من اتّباعها، فارتداء الملابس المثيرة واللافتة والمريبة ليس حرية شخصية للمذيعة، فهناك اشتراطات محددة لهذه المهنة".

الجميلة إيما واتسون تواجه وحشا في هوليوود

❏ **لندن** – تعود قصة الجميلة والوحش الرومانسية الشهيرة إلى الشاشات السينمائية بعد آخر تناول لها في فيلم الرسوم المتحركة الذي عرض عام 1991، ويحمل عنوان "الجميلة والوحش".

وتجسد دور الأميرة بطلة سلسلة أفلام "هاري بوتر" إيما واتسون، فيما يجسّد دور الأمير الشاب الوجه الفني الجديد دان ستيفنز، بالإضافة إلى لوك إيفانس، إيوان مكريغور، إيان مكالين، إيما ثامبسون، وستانلي توشي، والفيلم من إخراج بيل كوندون الذي أخرج "دريم غيرلز" عام 2006 الذي ترشح لثماني جوائز أوسكار فاز باثنتين منها.

ويروي الفيلم القصة المعروفة لدى القراء والمشاهدين والتي لا تزال أحداثها مرتبطة بأذهان عشاق القصص الرومانسية حول حب الوحش للأميرة التي تساعده على التخلص من السحر الذي يحوله إلى كائن قبيح، والقصة مقتبسة عن كتاب يحمل الاسم ذاته للكاتبة الفرنسية الشهيرة جان ماري دي بيمونت.

وتدور أحداث الفيلم في فرنسا في القرن الثامن عشر، عندما يتحول أحد الأمراء إلى وحش دميم على يد ساحرة رفض أن يضيّفها في قلعته، ولم تكتف بتحويله وإنّما حوّلت كل عاملي القصر من الخدم إلى أدوات منزلية على أن يعودوا لحالتهم الطبيعية إذا ما تعلم الأمير كيف يحبّ.

وعلى الجانب الآخر فتاة تدعى بل، كانت تعاني من الوحدة وعدم تفهم أهل القرية البسيطة لأحلامها وطموحاتها، ويلتقي الوحش ببل عندما تذهب للقصر لتحرير والدها موريس المحتجز من قِبل الوحش، وهنا تقوم بتحرير والدِها مقابل أن تُحتجز مكانه، ويوما بعد يوم تكتشف أن الوحش يملك قلبا طيّبا رغم ملامحه البشعة.

وتحمل ثيمة الفيلم الذي يتناول الحب على اختلاف أشكاله، فكرة ارتباط الإنسان بحبيبه من دون شروط أو قيود، وتعيد القصة الشهيرة ذكريات الطفولة والقصص المصورة.

ويأتي الفيلم ضمن خطة لشركة ديزني الأميركية لتحويل حكاياتها الخيالية إلى أفلام روائية تعيد فيها سحر الماضي بمعالجة واقعية، وتراهن بهذه الاقتباسات على نجاحها شبه المضمون، خاصة وأنها نجحت في مشروعها عام 2015 عن طريق فيلم "سندريلا" الذي كان عودة موفقة لقصة ساندريلا الشهيرة، وتابعت العام الحالي إنجازاتها بتقديمها واحدا من أفضل أفلام 2016 هو فيلم "جانغل بوك" المقتبس عن قصة ماوغلي.

سيجار بطول ملعب هدية لكاسترو في عيده التسعين

❏ **هافانا** – قدم الكوبي خوسيه كاستيلار المعروف بـ"كويتو" والحائز على خمسة أرقام قياسية في موسوعة "غينيس"، سيجارا بطول 90 مترا تم تصنيعه خصيصا لمناسبة العيد التسعين لفيدال كاسترو السبت، ما قد يمنحه رقما قياسيا سادسا في هذا المجال.

وقال "كويتو" خلال تقديم هذا المنتج إن "طول السيجار يبلغ 90 مترا لمناسبة احتفال قائدنا بعيد ميلاده التسعين"، وأوضح "كويتو" أنه لا يعرف شخصيا الزعيم الكوبي الذي تنحّى عن السلطة قبل عشر سنوات وأقلع عن تدخين السيجار قبل ثلاثين عاما.

وأضاف هذا الاختصاصي في لفّ السيجار منذ سنّ الرابعة عشرة "أظن أنه ليس على بينة (بهذه المبادرة)، هو توقف عن التدخين منذ سنوات طويلة، غير أن ما نقدمه له يمثل جهدنا الخاص لإحياء ذكرى ميلاده".

ومنذ الثاني من أغسطس الجاري، خصص "كويتو" مدعوما من مجموعة مساعدين حوالي اثنتي عشرة ساعة يوميا لإعداد هذا السيجار العملاق.

وكانت ممثلة السفارة البريطانية في هافانا ليسلي ساندرسون موجودة في مراسم إطلاق هذا السيجار تمهيدا للمصادقة المستقبلية على الرقم القياسي.

وحقق خوسيه كاستيلار رقمه القياسي الأول في أبريل 2001 مع سيجار بطول 11.04 مترا، ليواصل بعدها تحطيم رقمه هذا مع إنتاجه سيجارا بطول 14.86 مترا (مايو 2003) و20.41 مترا (أبريل 2005) و45.38 مترا (مايو 2008) و81.80 مترا (مايو 2011).

ويعد السيجار من أبرز الصادرات الكوبية بعد النيكل والأدوية والسكر، وقد بلغت مبيعات هذا المنتج 428 مليون دولار سنة 2015.

صباح العرب

حكيم مرزوقي

العبرة بالمشاركة

❏ خشيت على أحد السباحين من الغرق، وهو يصارع مياها بلا أمواج، يتنفس تحت الماء، ويكابد على نفسه محاولا التعلق بقدم آخر منافس برمائي، تفصل بينه وبين بريق الميداليات مسافة لا تقدر بالأمتار، ولا تدرك باللهاث.

سهل أن تحمل علم بلادك في استعراض الوفود المشاركة ضمن حفل الافتتاح، لكنّ المهمّة الأصعب، هي أن تتمكّن من رفعه في منصة التتويج، وتجعل منه أعلى من مجرد بيرق، وأكبر من قطعة قماش.

العرب مازالوا يبررون كل خيبة مسعى بكلمة "العبرة بالمشاركة"، وهكذا نتشارك جميعا في هذه "العبرة" التي لم أجد لها تفسيرا، وهي تشبه طريقة الذين يظنون بأنّ مجرّد زيارة البقاع المقدسة، ولو بقلوب مليئة بالضغائن وسجلات طويلة من الجرائم، تكفل لهم الجنة والعتق من النار.

تذكرني "العبرة بالمشاركة" بتعليق مذيع عربي على نوع من المصارعة الحرة، والتي بدا واضحا أنه -مثلي- يجهل أبسط قواعدها وأحكامها، بل وربما كان يشاهدها لأول مرة في حياته، أمّا سبب حشر أنفه ولسانه في ميكروفون التعليق، هو أنّ اللاعب المنافس للأميركي، من بلد المذيع وربما ابن ربعه وعشيرته.

أطنب المذيع في مدح وتشجيع "ابن ديرته" مروان، إلى درجة أنه شبّه المنازلة بالفتح العربي لديار الغرب، ووعد جمهور المشاهدين بسحق هذا المنافس المتطاول، وقبل أن يتم زمجرته، هوى "المتطاول" على مروان بضربة لا تبقي ولا تذر، بطحته أرضا، وجعلته يستغيث.. وبعد صمت مطبق، كنت قد خلت أثناءه أن الضربة طالت المذيع أيضا، خرج علينا صاحبنا بصوت متهدّج، وعلّق قائلا "لاحظوا أعزائي المشاهدين قوة تحمّل مروان، وبسالته في الصمود أمام غطرسة هذا الذي تسوّل له نفسه النيل من كبريائنا، مروان لم يغادر الحلبة يا أعزائي الجمهور، مروان لم ينهزم، فهيهات أن ينال هذا السافل من كرامتنا".

أما كان الأجدر بهذا المذيع أن يضيف إلى حماسته وعروبته، شيئا من المعرفة والتحلّي بالنزاهة، وهل كان أولى بمروان الإعداد والتدريب قبل أن يحمل صورة حاكم بلاده.

ما يجعل الهزيمة أثقل هو المكابرة والرعونة والتعصب القاتل، فمن يمارس الرياضة بغير روحها، هو كمن يتردد على دور العبادة دون إيمان، أو يعلن الانتصار قبل بدء المعركة التي لم يعدّ لها شيئا، أو بعد هزيمة صريحة.. أو فلنقل "دون أن يخوض المعركة، أصلا".

يذكرني ما تقدم بالنكتة التي كان يتداولها التوانسة، حول أن الزعيم الليبي الراحل قد تحدى بورقيبة إن كان يرضى بالدخول معه في سباق، فعلها بورقيبة وقبل بالتحدّي، شرط أن يعلن الإعلام الرسمي التونسي النتيجة، والتي جاءت كالآتي "حلّ بورقيبة ثانيا، أما القذافي فقد جاء في مرتبة ما قبل الأخير".